المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

التعريف بالمؤلف/

المحامي / احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديريه ذى سفال ثم بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام(مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية الشريعه والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعه وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعه اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء لكتاب "المفاهيم القرآنية من سورة ق"

إلى من كان القرآنُ ربيعَ قلبه، ونورَ صدره، وجلاءَ همه، وذهابَ غمه...

إلى خيرِ البشرِ وأشرفِ المرسلين،
سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ،
الذي كان خُلُقه القرآن،
وكان يتزودُ من سورة "ق" في المجامع الكبرى،
فيخطب بها ويُصلي،
فيُوقِظُ بها القلوبَ النائمة،
ويهزّ بها النفوسَ الغافلة،
ويثبتُ بها اليقينَ في القلوبِ المؤمنة.

عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم،
ما تلا التالون آياتِ القرآن،
وما تدبّر المتدبّرون كلماتِ الفرقان.

إلى صحابته الكرام، رضوان الله عليهم،
الذين تلقوا هذه السورة بقلوبٍ واعية،
وعقولٍ متدبّرة،
فعاشوا مع آياتها،
وتحلّوا بمفاهيمها،
وصبروا على ما قيل فيهم وفي نبيهم،
وسبّحوا بحمد ربهم بالغدو والآصال،
حتى أتتهم سكرة الموتِ بالحق،
وكان خروجهم إلى الله ِ خروجَ الفائزينَ الناجحين.

إلى كل قلبٍ يتوقُ إلى اليقين،
وكلّ نفسٍ تبحثُ عن الطمأنينة،
وكلّ عقلٍ يحاولُ فهمَ آياتِ الله ِ في نفسه وفي الآفاق،
وكلّ داعيةٍ يحملُ همّ الدعوةِ إلى الله،
وكلّ مؤمنٍ يريدُ أن يحوّلَ تلاوته للقرآن إلى حياةٍ تعاش،
وسلوكٍ يُمارَس،
ويقينٍ يتجذّرُ في أعماقِ الروح.

إلى من يقرأ هذه السورة في الفجر،
فيُشرقُ يومُه بنورِ اليقين،
ومن يقرؤها في الجمعة،
فتكونُ له موعظةً وتذكرةً وعبرة،
ومن يقرؤها في الليل،
فتُحدّثه عن قربِ الله ِ منه،
وعلمِه بوسوسته،
وسجلاتِ الرقيبِ العتيدِ التي لا تغفلُ عن قوله وفعله.

إلى من يرى في كلّ قطرةِ مطرٍ آيةً على البعث،
وفي كلّ نبتةٍ تنبُتُ من الأرضِ الميتةِ دليلا ً على الخروجِ من القبور،

وفي كلّ غروبِ شمس وطلوعها ذكرى لقدرةِ اللّه ِ المطلقة،
وفي كلّ نخلةٍ باسقةٍ رمزاً للثباتِ والعطاء والشمم.

إلى من يخافُ وعيدَ اللّه،
فيتدبّرُ آياتِ الوعيدِ في القرآن،
ويُقبِلُ على التوبةِ والإنابة،
ويسعى إلى جنةٍ عرضُها السماواتُ والأرضُ،
أُعدّت للمتقينَ الأوابينَ الحفيظينَ الخاشعين بالغيب.

إلى أبي وأمي،
اللذين غرسا في قلبي حبّ القرآن،
وعلّماني أن أقرأه بتدبرٍ وخشوع،
وأن أجعله دستورَ حياتي ومنهاجَ عملي،
أسأل اللّه أن يغفرَ لهما ويرحمَهما،
كما ربّياني صغيراً،
وعلّماني ما لم أكن أعلم.

إلى جميع زوجاتي وأولادي،
شركاءَ دربي، وسندَ عمري،
أهديهم هذه المفاهيمَ كي تكونَ لهم:
نوراً في ظلماتِ الفتن،
وثباتاً في زمنِ الشبهات،
وطمأنينةً في بحرِ القلق،
وزاداً إلى اللّه ِ يومَ الخروجِ من القبور.

إلى إخواني في اللّه،
من حملوا همّ الدعوةِ إلى اللّه،
وصبروا على أذى المكذبين،
وتسلّحوا باليقين،
وتزوّدوا بالصبر والتسبيح،
وكان القرآنُ زادَهم وطريقهم ونجاتهم.

إلى كلّ من يبحثُ عن الحقيقة،
ويشعرُ بالقلقِ الوجودي،
ويتساءلُ عن معنى الحياةِ والموتِ والمصير،
أقدّمُ له هذه الرحلةَ في رياضِ سورةِ "ق"،
لعلّ اللّه َ أن يشرحَ صدرَه،
ويُبدِّدَ شكّه،
ويملأَ َ قلبَه باليقينِ الذي لا يتزعزع.

إلى الذين أحبوا القرآنَ وتدبّروه،
والذين يجلسون مع آياته في خلواتهم،
ويبكون خشيةً من وعيده،
ويشتاقون إلى نعيمه،
ويتمرّغون في رحمته،
أقدّمُ هذه الصفحاتِ كزادٍ لهم في رحلتهم الإيمانية.

وإلى كلّ قارئٍ حملَ هذا الكتاب بين يديه،
وأرادَ أن يفهمَ سورة "ق" فهماً يتجاوزُ التلاوة إلى التطبيق،
ويتجاوزُ الحفظَ إلى التدبُّر،
ويتجاوزُ المعرفة إلى التحوُّل،
أقولُ له:

هذا الكتابُ ثمرةُ تأمُّلٍ طويل،
ورحلةِ تدبُّرٍ مع آياتِ الله،
ومحاولةٍ صادقةٍ لاستنباطِ كنوزِ هذه السورةِ العظيمة،
أتمنّى أن تجدَ فيه ما يروي ظمأك،
ويُطفئ حيرتك،
ويقودَك إلى ربِّك.

اللّهم اجعل هذا العملَ خالصاً لوجهك الكريم،

لا نبتغي به إلا رضاك،
ولا نقصدُ به إلا قُربك،
واجعله شاهداً لنا لا علينا،
وزاداً لنا في طريقنا إليك،
وحجةً لنا يومَ نلقاك.

اللّهم تقبّله منا بقبولٍ حسن،

كما تقبّلتَ من عبادك الصالحين،
واجعلنا من الذين يستمعون القولَ فيتّبعون أحسنه،
ومن الذين يخافون وعيدَك فيعملون بطاعتك،
ومن الذين يشتاقون إلى لقائك فيستعدُّون له خير استعداد.

اللّهم انفعنا بالقرآن، وبارك لنا فيه،
واجعله ربيعَ قلوبنا، ونورَ أبصارنا،
ودواءَ أسقامنا، وذهابَ همومنا وأحزاننا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بقلم: أحمد عبد الرزاق مربوش العامري

بسم الله الرحمن الرحيم

بطاقة تعريفية بكتاب "المفاهيم القرآنية من سورة ق"

أولا ً: التعريف بالكتاب

١. / عنوان الكتاب: المفاهيم القرآنية من سورة ق.
٢. / موضوع الكتاب: استنباط المفاهيم التربوية، النفسية، الفكرية، والعملية من آيات سورة ق، وربطها بالواقع المعاصر لبناء الشخصية المؤمنة المتكاملة.
٣. / طبيعة الكتاب: كتاب تربوي إيماني تطبيقي، يجمع بين التفسير الموضوعي والتدبر العملي، ويهدف إلى تحويل آيات القرآن إلى برنامج حياة ومنهج عمل، وليس مجرد تأمل نظري.
- المؤلف: أحمد عبد الرزاق مربوش العامري.
- مراجعة وتدقيق: الأستاذ منير عبده عثمان الصلوى.

ثانياً: محتوى الكتاب وأغراض المؤلف وأهدافه

- أغراض المؤلف وأهدافه:
1. استخراج المفاهيم والقيم القرآنية الكامنة في سورة ق لتكون أساساً لبناء الشخصية المسلمة.
2. ربط العقيدة بالسلوك، وتقديم القرآن كحل عملي لمشاكل الحياة اليومية والنفسية والفكرية.
3. تقديم فهم متكامل للسورة من خلال الربط بين آياتها ومقاطعها، وكذلك بينها وبين السور الأخرى) كالحجرات.(
4. إثبات قدرة الله على البعث والنشور، وتثبيت عقيدة اليوم الآخر في القلوب.
5. تدريب القارئ على منهجية التفكر والتدبر في آيات القرآن وآفاق الكون.
6. توجيه الدعاة والمربين إلى الأسلوب الأمثل في التعامل مع الناس وتذكيرهم بالله.

ثالثا: محاور الكتاب) أقسامه الرئيسية(

يدور الكتاب حول محورين رئيسيين متكاملين من سورة ق، وكل منهما يشتمل على عدة مباحث:

- القسم الأول: ترسيخ العقيدة بالبراهين الكونية والتاريخية
- المبحث الأول: بداية السورة والبناء العقدي: ويتناول الآيات من١) -(٥، ويركز على:
- التناسب مع خاتمة سورة الحجرات.
- دلالة الحرف المقطع) ق (كصدمة إيقاظ.
- القسم بالقرآن المجيد وجواب القسم.
- التعجب من تكذيب المشركين للبعث.
- المبحث الثاني: أدلة البعث في الكون: ويتناول الآيات من٦) -(١١، ويركز على:
- النظر في بناء السماء وتزيينها وإحكامها.
- النظر في مد الأرض وإلقاء الرواسي وإنبات النبات.
- بيان أن ذلك "تبصرة وذكرى".
- المبحث الثالث: الأدلة التاريخية على سنن الله: ويتناول الآيات من١٢) -(١٥، ويركز على:
- قصص الأمم السابقة المكذبة) نوح، عاد، ثمود، فرعون، قوم لوط، أصحاب الأيكة، تبع.(
- إثبات قانون إلهي ثابت: أن التكذيب بالحق يؤدي إلى الهلاك.
- المبحث الرابع: البرهان العقلي الأسمى: ويتناول الآية(١٥) ، ويركز على قياس الأولى: "أفعيينا بالخلق الأول".
- المبحث الخامس: المراقبة الإلهية الدقيقة: ويتناول الآيات من١٦) -(١٨، ويركز على:
- علم الله بالوسوسة وقربه من الإنسان) أقرب من حبل الوريد.(
- تسجيل الأقوال من قبل الملكين الرقيب والعتيد.
- القسم الثاني: مشاهد اليوم الآخر والجزاء
- المبحث الأول: الموت والحشر: ويتناول الآيات من١٩) -(٢٢، ويركز على:
- سكرة الموت بالحق وتوبيخ الغافلين.
- النفخ في الصور ومجيء كل نفس معها سائق وشهيد.
- انكشاف الغطاء ورؤية الحقائق.

- المبحث الثاني: المحاكمة الإلهية وصفات المجرمين: ويتناول الآيات من٢٣) -(٢٦، ويركز على:
- شهادة القرين) الشيطان.(
- الأمر بإلقاء المجرمين في جهنم.
- صفات أهل النار: "كل كفار عنيد، مناع للخير، معتد، مريب".
- المبحث الثالث: مشهد النار والجنة: ويتناول الآيات من٢٧) -(٣٥، ويركز على:
- تبرؤ الشيطان من أتباعه وقطع الأعذار.
- عدم تبديل القول ونفي الظلم عن الله.
- سؤال جهنم "هل من مزيد".
- وصف الجنة وأهلها: المتقين، الأوابين، الحفيظين، الخاشين بالغيب.
- نعيم الجنة وما فيها من أمان وخلود وتحقيق للرغبات و "مزيد" من فضل الله.
- المبحث الرابع: التوجيه الختامي: ويتناول الآيات من٣٦) -(٤٥، ويركز على:
- إعادة ذكر الأدلة والعبرة لأولي الألباب.
- الأمر بالصبر على أذى المكذبين.
- الأمر بالتسبيح في أوقات اليوم والليل وأدبار السجود.
- الأمر بالاستماع لنداء المنادي يوم القيامة.
- الإعلان النهائي: "إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير"، وإثبات أن الحشر يسير على الله.

رابعاً: منهجية الكتاب

1.المنهج الموضوعي: ينظر إلى سورة ق كوحدة متكاملة، ويربط بين آياتها المختلفة لفهم السياق العام والرسالة الشاملة.
2.المنهج التكاملي: يدمج بين التفسير) اللغوي والعقدي (والتدبر) النفسي والتربوي(، مع تطبيقات حياتية عملية.
3.المنهج الحواري: يعتمد على طرح الأسئلة التحليلية والنفسية والتربوية، ثم الإجابة عليها، مما يجعل القارئ شريكاً في عملية التدبر.
4.المنهج التطبيقي) التنزيل على الواقع(: يركز بشدة على كيفية تحويل الآيات إلى واقع عملي من خلال خطوات عملية، وتمارين، وأسئلة تطبيقية، ومشاريع تحسينية للذات والمجتمع.
5.الربط البيني: يربط الآيات ببعضها البعض، ويربطها بالسور الأخرى) كالحجرات (لتكوين صورة أشمل ، ويربطها أيضاً بمفاهيم نفسية واجتماعية حديثة.

خامساً: ما يمتاز به الكتاب عن بقية التفاسير

1.التركيز على "المفاهيم" وليس فقط "المعاني": لا يكتفي بشرح معاني الكلمات، بل يستخرج المفاهيم الكبرى التي تبنى عليها الشخصية والحضارة.
2.الطابع التطبيقي العميق: إنه كتاب للعمل والتغيير، وليس للمطالعة فقط .يقدم خطوات عملية وتدريبات حياتية يومية.
3.معالجة القضايا النفسية المعاصرة: يخاطب هموم العصر) القلق، الاضطراب الفكري، الوحدة، الشعور بالعبث (ويقدم لها حلولاً قرآنية جذرية.
4.اللغة المعاصرة والمشوقة: يستخدم أسلوباً شيقاً قريباً من القلب والعقل، مع طرح أسئلة استفهامية وتخييلية تجذب القارئ وتوقظ همته.
5.نظرة شاملة للسورة: يقدم صورة متكاملة للسورة من بدايتها إلى نهايتها، مبرزاً الوحدة الموضوعية والترابط العجيب بين آياتها، وكأنها بناء واحد محكم.

سادساً: أسلوب المؤلف

1.أسلوب خطابي مباشر: يستخدم ضمير المخاطب) أنت (بكثرة، مما يجعلك تشعر بأن الآية تخاطبك أنت شخصياً.
2.أسلوب السؤال والجواب: هو الأداة الرئيسية في كتابه، حيث يطرح أسئلة كثيرة تثير التفكير ثم يجيب عنها بتفصيل.
3.الاستعارات والتشبيهات التعليمية: يستخدم صوراً بلاغية) مثل حرف) ق (كجرس إنذار، والكون ككتاب مقروء (لتقريب المعاني إلى الأذهان.
4.التكرار والإلحاح التربوي: يعيد طرح القيم والأفكار الرئيسية في مواضع مختلفة من السورة،

لتثبيتها في النفس.
5.الانتقال السلس: ينتقل بمهارة من التحليل العقدي إلى الرسائل التربوية إلى التطبيقات العملية، محققاً بذلك تكاملاً رائعاً في العرض.

سابعاً: الجمهور المستهدف

الكتاب موجه لكل مسلم:

- يبحث عن تدبر عميق وحقيقي للقرآن.
- يواجه تحديات فكرية أو نفسية أو سلوكية في حياته.
- يرغب في بناء شخصيته وتربية أسرته على أسس قرآنية.
- يسعى إلى اكتشاف حلول عملية لمشاكله من خلال الوحي.
- يريد أن يفهم دينه فهماً يغير حياته، لا مجرد معلومات نظرية.
- مناسب للدعاة والمربين والمعلمين وطلاب العلم وعامة الناس.

ثامناً: لماذا يجب أن تقرأ هذا الكتاب؟

1.لتعيش مع سورة ق وكأنها رسالة خاصة من الله إليك، وليست مجرد سورة تقرؤها وتختمها.
2.لتتعلم كيفية تحويل عقيدتك) في الله، واليوم الآخر، والقدرة المطلقة (إلى سلوك عملي في حياتك اليومية.
3.لتجد إجابات قرآنية مقنعة ومحررة للعقل عن أسئلة البعث، والمصير، والعدالة الإلهية.
4.لتفهم سر العلاقة الخفية بين سورة الحجرات وسورة ق، وكيف أن الأخلاق بحاجة إلى يقين البعث لتثبت.
5.لتعرف كيف تتعامل مع الأذى والكذب، وكيف تربي نفسك على الصبر والتسبيح والمراقبة الدائمة لله.
6.لتخرج من رحلة التدبر هذه وأنت تمتلك "دستوراً" جديداً للطمأنينة، والعمل، والفكر الرشيد.
7.لأنه كتاب فريد في نوعه، يختلف عن كتب التفسير التقليدية، ويقدم القرآن كمنهج حياة شامل.

تاسعاً: مخرجات الكتاب) ماذا ستتعلم أو تحصل عليه بعد قراءته؟(

1.يقيناً راسخاً بباللهّ وقدرته المطلقة وعلمه الشامل وقربه منك.
2.فهمًا عميقاً لحقيقة الموت والبعث والجزاء، وكيفية الاستعداد لهذا اليوم.
3.تطبيقات عملية لمواجهة القلق، والاضطراب النفسي، والشكوك الفكرية، والضغوط الاجتماعية.
4.منهجاً واضحاً في التعامل مع الناس) الدعوة، الرد على الشبهات، الصبر على الأذى، التعامل بالرفق.(
5.خريطة طريق روحية) الصبر والتسبيح والذكر (تعينك على الثبات وزيادة الإيمان.
6.مهارات حياتية جديدة: مثل مهارة التفكير بالنهايات، وإدارة الغضب، والمراقبة الذاتية، والاستعداد للطوارئ.
7.رؤية جديدة ومتقدة للكون وللحياة، تجعلك تنظر إلى كل شيء من حولك كآية تدل على الله.
8.أدوات عملية لتزكية النفس) محاسبتها، مراقبتها، تدريبها.(

عاشراً: أقوال مأثورة بلسان المؤلف) مقتبسة من الكتاب(

- "سورة الحجرات هي "مدرسة السلوك"، وسورة "ق" هي "مدرسة اليقين"."
- "حرف (ق) ليس مجرد صوت، بل هو محطة توقف، وإعلان تحدي، ونداء يقظة."
- "إن أول خطوة في التربية الناجحة هي أن توجد "االستعداد النفسي"."
- "دستور الطمأنينة: أن الله يعلمك ويحفظك، فال تقلق .دستور العمل: أن كل شيء يسجل، فاتقن وأخلص .دستور الفكر: أن الحق واضح، فاتبعه وال تداهن، لئال تقع في المرج."
- "لقد أخصصك في كتابي، فلا تضيع نفسك في مرج الدنيا."
- "الكون ليس مجرد مادة صماء، بل صار مسجدًا واسعًا، كل ذرة فيه تسبح بحمد ربها."
- "إذا كنت تريد أن تعيش جنة الدنيا، فاعلم أنها قرب من الله، وأن العذاب الأكبر هو البعد عنه."
- "اصدق الله يصدقك، وتوكل عليه يكفك، واصبر على أذاهم يجزك."

الخلاصة النهائية

كتاب "المفاهيم القرآنية من سورة ق" هو دعوة لتجديد العلاقة مع القرآن، وتحديداً مع سورة "ق". إنه ليس تفسيراً تقليدياً، بل هو دورة تدريبية متكاملة في بناء اليقين، وإدارة الذات، ومواجهة تحديات الحياة بأسلوبه الشيق وتطبيقاته العملية، يساعد المؤلف القارئ على تحويل كلمات القرآن إلى حياة، وحياة القرآن إلى واقع ملموس، ليصبح المؤمن أكثر قوةً ورسوخاً في إيمانه، وأكثر قدرة على العطاء والتأثير في محيطه.

بسم الله الرحمن الرحيم
بطاقة تعريفية تفصيلية بسورة ق

أولا ً: عدد آيات السورة

سورة ق هي من السور المكية التي نزلت على النبي محمد ﷺ في مكة المكرمة، ويبلغ عدد آياتها خمس وأربعون آية باتفاق علماء العد والقراءات القرآنية .هذا العدد يجعلها في عداد السور المتوسطة طولا ً، فهي ليست من السور الطوال التي تزيد على مائة آية، وليست من السور القصار التي تقل عن عشر آيات، بل هي في منزلة وسطى تجمع بين الإحكام والإيجاز، مما يجعلها مناسبة للتلاوة و التدبر والحفظ، كما أنها تحمل في طياتها معاني عظيمة تتناسب مع حجمها المتوسط الذي لا يمل القارئ ولا يثقله.

ثانيا: مكان نزول السورة

تجمع كتب التفسير وعلوم القرآن على أن سورة ق من السور المكية الخالصة، أي أنها نزلت على النبي ﷺ في مكة المكرمة قبل الهجرة النبوية الشريفة .وهذه المكية لا تدخلها شبهة من المدنية، ولا يوجد فيها أي قول بالمدنية أو ببعض الآيات المدنية، مما يجعل هويتها المكية ثابتة باتفاق .ونزولها في مكة له دلالة بالغة الأهمية، لأن البيئة المكية كانت بيئة المواجهة العقائدية الأولى، حيث كان المشركون ينكرون البعث والنشور ويستهزئون بفكرة إحياء الموتى، فجاءت هذه السورة لتضرب لهم الحجج القاطعة وتقدم لهم البراهين الساطعة التي تثبت قدرة الله المطلقة على الإعادة بعد الإماتة، كما كانت بيئة مكة تعج بالجدال الفكري حول قضية النبوة، فجاءت السورة لتثبت صدق النبي ﷺ بما تحمله من أدلة كونية وتاريخية وعقلية.

ثالثا: ترتيب السورة

الترتيب في المصحف المرتل: تأتي سورة ق في الترتيب الخمسين بين سور المصحف الشريف، حيث تسبقها سورة الحجرات التي تهذّب السلوك الاجتماعي وتنظم العلاقات بين المؤمنين، وتليها سورة الذاريات التي تتحدث عن البعث والجزاء وتأكيد وعد الله .وهذا الترتيب له دلالاته الإعجازية، فسورة الحجرات ختمت ببيان علم الله الشامل، ثم جاءت سورة ق لتفتتح بالقرآن المجيد وتفصل ما أجمل في ختام الحجرات، وكأنها تطبيق عملي لما سبقها من تأديب وتهذيب، وهذا من لطائف التناسب القرآني الذي أبدعه المولى سبحانه في ترتيب سور المصحف.

الترتيب من حيث النزول: هي السورة الرابعة والثلاثون في ترتيب النزول، حيث نزلت بعد سورة المرسلات التي تضمنت الحديث عن القيامة وأهوالها، وقبل سورة البلد التي تتحدث عن مكابدة الإ نسان في سبيل الله ومسؤولياته .وهذا الترتيب النزولي يضعها في منتصف العهد المكي تقريباً، في فترة اشتداد الصراع الفكري بين النبي ﷺ والمشركين، حيث كانت قضية البعث هي المحور الأهم في ذلك الجدال، فجاءت هذه السورة لتحسم الجدل وتقطع الشك باليقين، وتقدم الأدلة التي لا تقبل الجدل على إمكانية البعث وتحقيقه.

رابعا: أسماء السورة وسبب التسمية

الاسم الأساسي: سورة "ق"، وهو اسم توقيفي ثبت عن النبي ﷺ والصحابة الكرام، وقد ورد في الأ حاديث النبوية تسميتها بهذا الاسم، كما كان النبي ﷺ يقرؤها في خطبة الجمعة والعيدين ويسميها بسورة "ق" .وهذا الاسم مأخوذ من الحرف المقطع الذي افتتحت به السورة في قوله تعالى: ﴿ق وَالقرآنِ المَجيدِ﴾.

حكمة التسمية: تسمية السورة بحرف "ق" تحمل في طياتها إشارات بلاغية وإعجازية عظيمة، فهذا الحرف هو أحد الحروف المقطعة التي تحدى الله بها العرب وهم أرباب الفصاحة والبيان، ليدلهم على أن هذا القرآن من عند الله، وأنه مؤلف من حروف يتكلمون بها، ومع ذلك يعجزون عن الإتيان بمثله، كما أن حرف "ق" يحمل في نطقه معنى الوقف والثبات، وكأنه دعوة للقارئ أن يقف عند حدود الله ويتدبر أوامره ونواهيه، ولا يتجاوزها إلى ما حرم الله.

اسم آخر: تعرف السورة أيضاً باسم "سورة الباسقات"، وهذا الاسم مأخوذ من قوله تعالى في الآية العاشرة: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾، حيث وصف الله النخل بالباسقات أي الطويلات الشامخات،

وجمع بين منظرها البهيج وثمرها النضيد المصفوف، وفي هذا الاسم إشارة إلى جمال خلق الله وإتقانه، ودعوة إلى التأمل في هذا النبات الذي يرمز إلى العزة والثبات والعطاء الذي لا ينقطع، وهو صورة من صور المؤمن الذي يثبت على الحق ويعطي الخير بلا كلل ولا ملل.

خامساً: أسباب نزول السورة وبعض آياتها

الآية الثامنة والثلاثون: نزلت هذه الآية الكريمة رداً على مقولة اليهود التي زعموا فيها أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع، وهو ما يعرف عندهم بيوم السبت .وقد جاءهم الرد القرآني الحاسم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾. فالله سبحانه ينفي عن نفسه صفة التعب والإعياء، بل هو القوي المتين الذي لا تلحقه مشقة ولا يعتريه لغوب ولا فتور، والخلق عنده كلمحة بصر أو أقرب، فكيف يستريح وهو الذي لا تغلبه سنة ولا نوم؟

الآية الخامسة والأربعون: نزلت هذه الآية توجيهاً إلهياً للنبي ﷺ وللمؤمنين من بعده، وتحديداً لمهمة الداعية ودوره في دعوة الناس إلى الله، حيث قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾. فأمر الله نبيه بأن يكون دوره هو التذكير بالقرآن، لا الإكراه على الإيمان، ولا الجبر على اتباع الهدى، لأن الإيمان لا يقوم على القسر والإجبار، بل على القناعة والاقتناع والخشية من وعيد الله .فمن كان قلبه حياً وخاف وعيد الله فهو المستحق للتذكير والمنتفع به، أما من أعرض واستكبر وعاند، فقد جعله الله في ضلال بعيد، ولا ينفع معه الجدال والعنف، وإنما الواجب هو البلاغ المبين، والهداية بيد الله وحده، وهو أعلم بمن يستحقها وبمن لا يستحقها.

سادساً: الأجواء التي نزلت فيها السورة

نزلت سورة ق في بيئة مكية مشحونة بالتحديات الفكرية والعقائدية، حيث كان المشركون يعيشون في قمة الكبر والعناد، مستنكرين فكرة البعث والنشور، ساخرين من قول النبي ﷺ بأن الله سيعيد الخلق بعد الموت، وكانوا يقولون في استغراب واستبعاد: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾. وكانت هذه البيئة المكية تمتاز بقوة الجدل والمناظرة، وبالتفاخر بالأنساب والقبائل، وبالتعلق الشديد بالدنيا وزينتها، الأمر الذي جعلهم يعيشون في غفلة عن الموت وما بعده، ويظنون أنهم مخلدون في هذه الحياة الدنيا، لا حساب ولا عقاب ولا بعث ولا نشور.

وفي خضم هذه الأجواء الصعبة، نزلت السورة تحمل رسالة قوية واضحة، تزلزل القلوب وتوقظ النفوس وتفند حجج المشركين، وتقدم لهم الأدلة القاطعة التي تثبت قدرة الله المطلقة على البعث، بدءاً من خلق السماوات والأرض، مروراً بإنزال الماء المبارك الذي يحيي الأرض الميتة، وانتهاءً بذكر الأمم السابقة التي كذبت رسلها فأهلكها الله، وكأن السورة تقول لهم: انظروا حولكم، وتأملوا في آيات الله في أفاقكم وأنفسكم، وتذكروا مصير من سبقكم من المكذبين، فإن كنتم عقلاء فستوقنون بالبعث، وإلا فأنتم في ضلال بعيد.

سابعاً: أهداف وغايات السورة

تسعى سورة ق إلى تحقيق مجموعة متكاملة من الأهداف والغايات التي تخدم بناء العقيدة الإيمانية الصحيحة وتعميقها في القلوب، ويمكن إجمالها في النقاط التالية:

أولاً: ترسيخ عقيدة البعث والجزاء في النفوس، وإقامة الحجة القاطعة على منكريها بثلاثة أنواع من الأدلة: الأدلة الكونية التي تدعو إلى النظر في خلق السماوات والأرض والنبات، والأدلة التاريخية التي تستعرض مصير الأمم السابقة المكذبة، والأدلة العقلية التي تستند إلى قياس الأولى وهو أن من قدر على الخلق الأول فهو على الإعادة أقدر.

ثانياً: إثبات التوحيد الخالص لله سبحانه، وأنه وحده المحيي المميت، ووحده الرازق المدبر، ووحده الذي إليه المصير، وأن كل ما سواه من آلهة مزعومة لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً، ولا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت.

ثالثاً: تثبيت النبي ﷺ وتسلية قلبه على ما يلقاه من أذى المشركين وتكذيبهم، وإعلامه بأنه ليس

مسؤولا ً عن إيمانهم، وأن مهمته هي التذكير بالقرآن لمن يخاف وعيد الله، وأن الله هو الحسيب و الوكيل، وسيجزيه خيراً على صبره ويقينه.

رابعاً: تحذير المكذبين والمعاندين من عاقبة أمرهم، وبيان أن سنة الله في الأمم السابقة واحدة، وهي أن التكذيب بالحق يؤدي إلى الهلاك والعذاب، وأن وعيد الله حق لا محالة، وأنه سيأتي يوم لا ينفع فيه الندم ولا التوبة.

خامساً: تربية المؤمنين على المراقبة الدائمة لله، والإحساس بعلمه الشامل وقربه العميق، وتسجيل الملا ئكة لكل أقوالهم وأفعالهم، مما يدفعهم إلى تقوى الله في السر والعلن، والاستعداد ليوم الحساب.

سادساً: تقديم المنهج العملي للثبات على الحق في زمن الفتن والتحديات، من خلال الأمر بالصبر على أذى المكذبين، والتسبيح بحمد الله في آناء الليل وأطراف النهار، واللجوء إلى القرآن الكريم مصدراً للهداية والتذكير والطمأنينة.

ثامناً: القضايا والموضوعات التي تعالجها السورة

تعالج سورة ق مجموعة واسعة من القضايا الأساسية التي تهم عقيدة المسلم وحياته، وتتناولها بمنهج محكم ومتكامل، ومن أبرز هذه القضايا:

قضية البعث والنشور: وهي القضية المركزية التي تدور حولها السورة كلها، حيث ترد على منكري البعث بكل أنواع الأدلة، وتفند شبهتهم التي زعموا فيها أن إعادة الخلق بعد الموت أمر مستبعد، وتبين لهم أن الله الذي خلقهم أول مرة من العدم قادر على إعادتهم من التراب، بل إن الإعادة أهون من الا بتداء، وأن الحشر على الله يسير، مهما كان العدد وكثرت الذرّات.

قضية القدرة الإلهية المطلقة: تبرز السورة قدرة الله المطلقة من خلال آياته في الكون، فهي تدعو إلى النظر في السماء كيف بنيت وزينت بغير عمد، وفي الأرض كيف مدت وألقيت فيها رواسيها، وفي الماء المبارك كيف ينزل من السماء فيحيي الأرض الميتة وينبت فيها من كل زوج بهيج، وفي النخل الباسقات ذات الطلع النضيد، كل ذلك ليقرر في القلب يقيناً راسخاً بأن الله على كل شيء قدير، وأن أمر البعث بالنسبة له كلمحة بصر أو أقرب.

قضية العلم الشامل والمراقبة الدقيقة: تؤكد السورة على علم الله المحيط بكل شيء، سراً وعلناً، ظاهراً وباطناً، وتصور قربه العميق من الإنسان بحيث يكون أقرب إليه من حبل وريده، وتخبر عن تسجيل الملائكة لكل قول يلفظه الإنسان، مما يزرع في النفس مراقبة ذاتية دائمة، ويجعل المؤمن يستحضر دائماً أنه مراقب محاسب، فيرتفع سلوكه وتتطهر أعماله.

قضية سنة الله في الأمم السابقة: تستعرض السورة نماذج من الأمم السابقة التي كذبت رسلها ونبيها، كقوم نوح وعاد وثمود وفرعون وقوم لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع، وتبين أن الله أخذهم أخذ عزيز مقتدر، وأن مصير المكذبين واحد مهما تنوعت أسباب عذابهم، وهذا يحمل درساً بليغاً للمكذبين في كل زمان ومكان، أن سنة الله لا تتغير ولا تتبدل، وأن التكذيب بالحق يؤدي إلى الهلاك.

قضية الجزاء واليوم الآخر: تصور السورة مشاهد القيامة بأسلوب مهيب ومفصل، بدءاً بسكرة الموت التي تأتي بالحق، ثم النفخ في الصور، ثم مجيء كل نفس معها سائق وشهيد، ثم المحاكمة الإلهية حيث ينكشف الغطاء ويرى الإنسان حقيقة ما كان يغفل عنه في الدنيا، ثم مصير الفريقين، الجنة للمتقين، والنار للكافرين المعاندين، كل ذلك ليكون تذكيراً وتحذيراً واستعداداً لهذا اليوم العظيم.

قضية المنهج الدعوي والتربوي: تقدم السورة منهجاً واضحاً للدعوة إلى الله، يقوم على التذكير بالقرآن ، والموعظة الحسنة، والرفق واللين، وعدم الإكراه على الإيمان، والصبر على أذى المكذبين، وترك النتائج لله وحده، مع الالتزام بالتسبيح والذكر في أوقات اليوم والليل، فهذا هو الطريق الموصل إلى الثبات والنجاح في مهمة الدعوة.

تاسعاً: المفاهيم المستخلصة من السورة

تستخرج من سورة ق مفاهيم عديدة تبني الشخصية المؤمنة وتوجه سلوكها، ويمكن إجمالها في النقاط التالية:

مفهوم العلم المطلق: أن علم الله شامل لكل شيء، صغيراً كان أم كبيراً، وهو لا يغفل عن ذرّة في الأرض ولا في السماء، وأن هذا العلم هو أساس العدل الإلهي، فلا يضيع عنده عمل صالح ولا يخفى عليه عمل طالح، وهذا المفهوم يمنح المؤمن الطمأنينة والثقة بأن الله يراه ويعلم حاله ويجازيه على عمله.

مفهوم القرب الإلهي: أن الله أقرب إلى الإنسان من حبل وريده، وهو قرب علم وإحاطة وقدرة ورحمة ، وليس قرباً مكانياً، وهذا المفهوم يزيل الوحشة ويبدد القلق، ويجعل المؤمن يشعر بأنه ليس وحيداً في هذه الحياة، بل معه ربه العالم بحاله، القريب منه، الذي يسمع دعاءه ويرى حاله ويجيب سؤاله.

مفهوم المراقبة الذاتية: أن هناك ملائكة تراقب الإنسان وتكتب أقواله وأفعاله، وأن كل لفظ يلفظه يكون قد سُجل في صحيفته، وهذا المفهوم يدفع المؤمن إلى ضبط لسانه، وحفظ جوارحه، وتنقية كلامه، والابتعاد عن الغيبة والنميمة والكذب واللغو، لأنه يعلم أن كل ذلك سيكون بين يديه يوم القيامة ، إما حجة له أو عليه.

مفهوم الصبر والتسبيح: أن طريق الثبات على الحق في زمن الفتن والأذى هو الصبر الجميل، و التسبيح بحمد الله في آناء الليل وأطراف النهار، وأن الصبر يغذيه التسبيح، والتسبيح يثمر الصبر، وهما معاً يمنحان المؤمن القوة والطمأنينة والقدرة على مواجهة التحديات، فالذي يصبر ويسبح ينتصر على أعدائه، ويظفر برضا ربه.

مفهوم يسر الحشر: أن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأن إعادة الخلق وبعثهم من قبورهم وحشرهم إليه هو أمر يسير عليه، مهما كان عددهم وكثرت أعدادهم، لأن قدرته لا تحدها حدود، وقوته لا تنقصها مشقة، وهذا المفهوم يبدد كل استبعاد لوقوع البعث، ويزرع في القلب يقيناً راسخاً بأن هذا اليوم آت لا محالة، وأن الاستعداد له هو عين العقل والحكمة.

عاشراً: خصائص السورة

تتميز سورة ق بمجموعة من الخصائص التي تجعلها فريدة في موضوعها وأسلوبها وغايتها، ومن أبرز هذه الخصائص:

خصائص عقدية: أنها سورة العقيدة بامتياز، حيث تركز على إثبات أركان الإيمان الثلاثة: الإيمان بالله، والإيمان بالرسل، والإيمان باليوم الآخر، وتقدم لكل ركن منها الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، وتفند شبهات المنكرين بكل حكمة وقوة، وتقرر العقيدة الإسلامية في أبهى صورها.

خصائص كونية: أنها تدعو إلى النظر في آيات الله في الكون، وتحث على التفكر والتأمل في خلق السماوات والأرض والنبات والمطر، وتجعل من الظواهر الطبيعية أدلة ملموسة على قدرة الله، مما يربط بين الإيمان والعلم، ويفتح آفاق البحث والاكتشاف في الكون من منظور إيماني.

خصائص تاريخية: أنها تستعرض نموذجاً متنوعاً من الأمم السابقة المكذبة، وتستخلص من قصصهم عبراً وعظات، وتؤكد على أن سنة الله واحدة في كل العصور، وأن التكذيب بالحق يؤدي إلى الهلاك و العذاب، وأن الإيمان بالله ورسله هو طريق النجاة والفلاح.

خصائص نفسية: أنها تخاطب أعماق النفس البشرية، وتعالج أعمق مشاعرها من خوف وقلق واغتراب، وتقدم لها الطمأنينة من خلال الإيمان بالله وقربه وعلمه، وتزرع فيها الأمل من خلال وصف الجنة ونعيمها، وتثير فيها الخوف من خلال وصف النار وعذابها، محققة بذلك التوازن النفسي الذي يحتاجه الإنسان في رحلة حياته.

خصائص تربوية: أنها تقدم منهجاً عملياً لتربية النفس وتزكيتها، من خلال الصبر على الأذى، والتسبيح والذكر، والمراقبة الذاتية، والاستعداد للقاء الله، وتعلم الإنسان كيف يكون رسول سلام وخير في محيطه، وكيف يواجه التحديات بثبات ويقين.

الحادي عشر: ما انفردت به السورة

انفردت سورة ق عن غيرها من السور بميزات متعددة تجعلها ذات طابع خاص، ومن أهم هذه

المميزات:

افتتاحها بالحرف المقطع) ق (وأداء القسم بالقرآن المجيد: وهذا الأسلوب لم يرد بهذه الصياغة إلا في هذه السورة، حيث جمعت بين الحرف المقطع والقسم بالقرآن في مستهل الآية الأولى، وفي ذلك من الإعجاز البياني والبلاغي ما يلفت الأنظار ويهز القلوب، ويعلن عن عظمة هذا الكتاب الذي أقسم به رب العالمين.

وصف حال المنكرين بأنهم في أمر مريج: أي مختلط ملتبس مضطرب، وهذا وصف دقيق لحال كل من يكذب بالحق في أي زمان، فهو يعيش في حيرة وارتباك، لا يجد له مستقراً، ولا يصل إلى يقين يطمئن به، وهذا الوصف من خصوصيات السورة التي تصور الحالة النفسية للمكذبين بدقة فائقة.

الإشارة إلى نفي التعب عن الله: في قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾، وهي إشارة قرآنيّة فريدة ترد على عقيدة اليهود التي زعمت استراحة الله في اليوم السابع، وتقرر أن الله لا تمسه مشقة ولا يعتريه لغوب ولا كلل، مهما عظم خلقه أو كثرت مهماته، وهذا المفهوم لم يرد بهذا الوضوح في سورة أخرى بنفس السياق.

تخصيص التذكير بمن يخاف وعيد: في قوله: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾، وهذا توجيه عملي للدعاة، يبين لهم أن جهودهم يجب أن تتركز على القلوب الحية التي تخاف الله ووعيده، وألا يضيعوا وقتهم مع المعاندين المستكبرين الذين لا يرجى منهم خير، وهذا الأسلوب التوجيهي الدقيق لم يرد بهذه الصيغة في سورة أخرى.

الجمع بين عدة مشاهد في آيات قليلة: فالسورة تجمع بين مشاهد الكون، وقصص التاريخ، ومشاهد القيامة، ومشاهد الجنة والنار، كل ذلك في إطار خمس وأربعين آية، وهذا الإيجاز المحكم مع الشمولية الكاملة من خصائص السورة التي لا توجد بهذا المستوى في سور أخرى.

الثاني عشر: مقاصد السورة

تتعدد مقاصد سورة ق وتتنوع لتشمل كل جوانب العقيدة والسلوك، ويمكن إجمالها في المقاصد التالية:

المقصد الأول: إثبات البعث والجزاء بالدليل القاطع، وتفنيد شبهات المنكرين، وتقرير أن الله الذي خلق الخلق أول مرة هو القادر على إعادتهم، بل إن الإعادة أهون من الابتداء، وأن الحشر على الله يسير مهما عظم الخلق وكثرت الذرات، وهذا المقصد هو الأعظم والأشمل، وهو الذي تجتمع عليه كل آيات السورة.

المقصد الثاني: تثبيت النبي ﷺ وتسلية قلبه، وتوجيهه إلى الصبر الجميل، وإعلامه أنه ليس مسؤولاً عن إيمان الناس، وأن مهمته التذكير بالقرآن، وأن النتائج بيد الله وحده، وهو سبحانه أعلم بمن يهتدي ومن يضل، وهذا المقصد يقدم العزاء لكل داعية ومصلح يواجه التكذيب والإعراض، ويعلمه أنه ليس وحيداً في هذه المعركة، وأن الله معه وناصره.

المقصد الثالث: تحذير المكذبين والمعاندين من سوء العاقبة، وتذكيرهم بمصير الأمم السابقة التي كذبت رسلها، وبيان أن سنة الله واحدة، وأن التكذيب بالحق يؤدي إلى الهلاك والعذاب في الدنيا والآخرة، وأن وعيد الله حق لا محالة، وسيأتي يوم لا ينفع فيه الندم ولا التوبة.

المقصد الرابع: تربية المؤمنين على المراقبة الدائمة لله، واستشعار علمه الشامل وقربه العميق، وتسجيل الملائكة لأقوالهم وأفعالهم، مما يدفعهم إلى ضبط النفس، وتحسين السلوك، والاستعداد للحساب، والعمل للدار الآخرة كأنهم يرونها بأعينهم.

المقصد الخامس: تقديم المنهج العملي للثبات على الحق، وهو الصبر والتسبيح، واللجوء إلى القرآن في أوقات الفتن والشبهات، والاستماع لنداء المنادي يوم القيامة، والعيش في يقين بأن المصير إلى الله، وأن الحشر عليه يسير، وأن الجنة دار الخلود لمن اتقى وآمن، والنار دار العذاب لمن كفر وعاند.

المقصد السادس: بناء الشخصية المؤمنة المتكاملة، التي تجمع بين العقيدة الصحيحة والعمل الصالح، وبين الخوف من الله والرجاء في رحمته، وبين النظر إلى الكون والتفكر في آياته، وبين الصبر على

أذى الناس والتسبيح بحمد رب الناس، وبين الاستعداد ليوم الخروج من القبور والسعي إلى رضوان الله، هذه الشخصية التي تخرج من رحاب سورة ق وهي تحمل دستوراً متكاملا ً للحياة.

الخلاصة النهائية

سورة "ق" هي سورة العقيدة الكبرى، والبرهان الأقوى على حقيقة البعث والنشور، جمعت بين الأدلة الكونية والتاريخية والعقلية، وقدمت مشاهد مفصلة للقيامة والحساب والجزاء، مع توجيهات عملية للثبات والصبر والمراقبة .وقد حرص النبي ﷺ على قراءتها في المجامع الكبرى لما تحمله من معانٍ عظيمة توقظ القلوب وتثبت الإيمان .ومن يتدبر هذه السورة بتأمل وإخلاص، يخرج منها بيقين راسخ بأن البعث حق، وأن الحشر على الله يسير، وأن الجنة دار المتقين، وأن النار جزاء المكذبين، ويحمل معه دستوراً جديداً للطمأنينة والعمل والفكر الرشيد، يعينه على مواجهة تحديات الحياة بثبات وقوة وكرامة.

بسم الله الرحمن الرحيم
المفاهيم من سورة ق
مقدمة تمهيدية كمدخل لاستنباط المفاهيم من السورة

التناسب بين خاتمه سورة الحجرات وافتتاحية سورة ق والترابط الموضوعى بين السورتين

إن التناسب بين خواتيم السور وفواتح التي تليها يُعد من لطائف الإعجاز في نظم القرآن الكريم، وهو علمٌ برع فيه المفسرون (كالبقاعي في "نظم الدرر"). وفيما يلي بيان للرابط بين ختام سورة الحجرات وافتتاحية سورة "ق":

أولا ً: التناسب بين الخاتمة والفاتحة

تنتهي سورة الحجرات بقوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}**.

* **الرابط:** جاء ختام الحجرات مؤكدا على علم الله المحيط بكل شيء، وبصره بأعمال العباد الظاهرة والباطنة (بما فيها إيمان القلوب أو نفاقها).

* **الانتقال إلى "ق":** افتتحت سورة "ق" بذكر القرآن المجيد والتعجب من تكذيب الكافرين بالبعث، ثم قوله تعالى بعد ذلك: {قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ}. فكأن سورة "ق" جاءت لتفصل وتؤكد ما أُجمل في ختام الحجرات من علم الله الشامل؛ فإذا كان الله "بصيرا بما تعملون" (كما في ختام الحجرات)، فهو أيضا "عليم بما تنقص الأرض منهم" (كما في سورة ق).

ثانيا: الترابط الموضوعي بين السورتين

يمكن تلخيص الترابط في الانتقال من **"تهذيب السلوك"** إلى **"ترسيخ العقيدة"**:

1. **من الآداب إلى الأصول:** سورة الحجرات "سورة الأخلاق والآداب الاجتماعية" التي تنظم علاقة المؤمنين بالله ورسوله وببعضهم البعض. وبعد أن أتم الله تأديب المؤمنين وتهذيب نفوسهم، انتقل في سورة "ق" إلى ترسيخ أصول العقيدة التي تُحرك هذه الأخلاق، وعلى رأسها **الإيمان بالبعث و الجزاء**.
2. **كشف حقيقة الإيمان:** في ختام الحجرات، وضح الله الفرق بين من دخل الإيمان في قلبه وبين من "أسلم" بلسانه فقط (الأعراب). وفي سورة "ق"، يُعرض مشهد منكري البعث الذين شكوا في قدرة الله، فجاءت السورة لتثبت وحدانية الله، وقدرته على الإحياء، وعلمه بما في الصدور، ليكون ذلك دافعا للمؤمن ليزداد إيمانا ومراقبة لله.
3. **الوعيد والترغيب:** سورة الحجرات ختمت بالوعيد لمن ادعى الإيمان ولم يستقر في قلبه، وسورة "ق" جاءت لتخوف المكذبين بمشاهد القيامة التي "تفتن" فيها النفوس، وتُبين أن المرجع في النهاية إلى الله (ففروا إلى الله).

باختصار: سورة الحجرات هي "مدرسة السلوك"، وسورة "ق" هي "مدرسة اليقين". وكأن الله تعالى يقول لنا: يا أيها الذين آمنوا، بعد أن تأدبتم بهذه الآداب في الحجرات، اعلموا أن الله بصير بأعمالكم، وهو الذي سيحاسبكم عليها يوم القيامة، فاستعدوا لذلك اليوم الذي تجتمع فيه الخلائق (موضوع سورة ق).

همية الرابط بين سورة الحجرات وسورة ق ودور هذا الانتقال فى بناء الشخصيه المؤمنه

إن الرابط بين "سورة الحجرات" (سورة التهذيب الاجتماعي) و"سورة ق" (سورة التوحيد والبعث) ليس مجرد ترتيب مصحفي، بل هو انتقال منهجي دقيق في بناء الشخصية المؤمنة. ولكي نربط بينهما في الجانب التربوي واستنباط الأحكام، نجد أن كل سورة تمثل لبنة أساسية لا تكتمل الأخرى بدونها:

أولا ً: الأثر التربوي (من السلوك إلى الباطن)

إذا اعتبرنا الحجرات "ميدان العمل"، فإن "ق" هي "ميدان اليقين الذي يوجه العمل":

* **مراقبة الله:** في الحجرات، تدرب النفس على مراقبة الله في التعامل مع الآخرين (في القول، في الظن، في الإصلاح). ثم تأتي سورة "ق" لترفع سقف المراقبة من "المجتمع" إلى "الذات"، في قوله تعالى: **{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ}**. هذا الترابط يعلم المربي أن صلاح السلوك (الحجرات) لن يستقيم إلا إذا ترسخ اليقين بأن الله يعلم حتى "الوسوسة" التي لم تخرج للعلن (ق).
* **بناء الشخصية الحضارية:** الشخصية المؤمنة التي تبنيها الحجرات هي شخصية "منضبطة اجتماعيا"، بينما الشخصية التي تبنيها "ق" هي شخصية "مستبصرة كونيا". كلاهما ضروري لبناء الفرد؛ فالمؤمن يحتاج للأخلاق ليعيش مع الناس، ويحتاج لليقين بالبعث ليصبر على تكاليف الحياة.

ثانيا: الجانب التشريعي والأصولي

عند النظر إلى السورتين كمنظومة واحدة لاستنباط الأحكام أو توجيه الأمة، نلاحظ التالي:

1. **قاعدة "العلم بالنية":** في الحجرات، نجد تشريعات اجتماعية (فتبينوا، لا يسخر قوم من قوم). ولتطبيق هذه التشريعات، نحن بحاجة إلى استحضار الوازع الإيماني المذكور في "ق". فالقاضي أو المربي يستنبط من هذا الترابط أن **التشريع لا يكفي وحده دون تقوى**؛ فإذا لم يخشَ الإنسان الله (كما في ق)، لن يلتزم بأحكام المجتمع (كما في الحجرات).
2. **حجية النقل (القرآن المجيد):** بدأت سورة "ق" بـ **{ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ}**، في إشارة إلى أن

هذا الكتاب هو المرجع في كل شيء؛ في أخلاقنا (الحجرات) وفي عقائدنا (ق). أي أن المنهج التشريعي والتربوي واحد، مصدره القرآن، لا يتجزأ.
كيف نستفيد من هذا في بناء الشخصية المؤمنة؟
يمكننا أن نصوغ هذه القاعدة التربوية:
> **"العمل الظاهر (الحجرات) يحتاج إلى وقود باطني (ق)؛ فكلما زاد إيمانك بلقاء الله وعلمه بدقائق نفسك، زادت دقة التزامك بآداب التعامل مع خلق الله."**
>
إن هذا الترابط يمنع "الانفصام" بين العبادة والسلوك. فالذي يقرأ الحجرات ولا يتدبر "ق" قد يقع في النفاق الاجتماعي (يظهر الصلاح ويخفي غيره)، والذي يقرأ "ق" ولا يطبق "الحجرات" قد ينعزل عن المجتمع باسم الزهد.

وهذا ما يتضح من الاتى
القسم الاول
المبحث الأول يا صاحب القلب المؤمن، ويا باحثًا عن كنوز الوحي، ويا من تريد أن تخاطب الآية روحَك قبل عقلك، وتحرك وجدانك قبل لسانك...

تعالَ بقلبك وعقلك معًا، فلندخل سويًا في رحاب هذه الآية العظيمة، لا كقارئ يمر عليها مرور الكرام، ولا كمتدبر يؤدي واجبًا فكريًا فحسب، بل كروح ظمأى تبحث عن الارتواء، وكعقل توّاق يبحث عن الحقيقة واليقين، وكجوارح تريد أن تنضبط على إيقاع الوحي.

تخيل أنك تجلس في مجلس النبي ﷺ، وتسمعه يتلو هذه الآية بصوته الشجي، وقد اكفهر وجهه وخشع صوته وهو يقول:} ق وَالقُرآنِ المَجيد .{كيف سيكون حال قلبك؟ ألن تقشعر منه الجلود؟ ألن تجثو القلوب خاشعة متأملة؟

تمهيد: لماذا هذه الآية الآن؟

لقد أنهينا سورة الحجرات، تلك السورة التي أدبتنا وعلمتنا الأخلاق مع الله ورسوله ومع بعضنا البعض ، وجاء في خاتمتها ذلك المعنى المهيب:} إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ .{ أنت الآن في حضرة "العليم" الذي أحاط بكل شيء علما، وهو "البصير" الذي لا تخفى عليه خافية . فيأتي البدء بسورة "ق" وكأنها تقول لك: إن هذا القرآن الذي بين يديك هو جزء من هذا العلم المحيط؛ هو رسالة من ذلك العليم البصير إلى قلبك أنت تحديدًا .إنه ليس مجرد كلام، بل هو "المجيد" الخارج من مشكاة "العليم" سبحانه.

أما أهداف الآية ومقاصدها فتكمن في أمر جوهري:
إن الهدف الأسمى أن توقن، حتى النخاع، أن كلام الله هو مصدر المجد الحقيقي الوحيد .إنها تريد أن تنتشلك من الاهتمام بسفاسف الأمور إلى الانشغال بمعاليها .تريد أن تنقلك من التردد والحيرة إلى القطع واليقين، ومن التبعثر والتشتت إلى التجمع حول محور واحد: القرآن المجيد .عندما تنتهي من تدبر هذه الآية، ينبغي أن يتغير موقفك من القرآن كليًا، فلا يبقى كتابًا للتعبد فقط، بل يصير بوصلتك ودستورك ومعيارك.

أولا ً: تحليل الآية

لنغص معًا في أعماق هذه الجوهرة، حرفًا حرفًا، وكلمة كلمة.

المحور الأول: التدبر في افتتاحية سورة ق} ق {- طرق الباب

1/ ما معنى حرف) ق (في بداية السورة؟
تخيل معي أنك تسير في طريق، وفجأة سمعت صوتًا مدويًا واحدًا كالرعد، ألا يجعلك هذا تقف وتلتفت بكل كيانك؟ هذا هو حرف) ق .(إنه أحد الحروف المقطعة، سر من أسرار الله استأثر به في علمه، وهذا في ذاته درس عظيم: إن العقل مهما بلغ، سيبقى أمام الوحي متواضعًا، فهناك أمور لا تدركها، وهذا هو كمال التسليم .وفي الوقت نفسه، هو إعلان تحدٍّ: أنتم يا من تتقنون هذه اللغة وتفاخرون بها، هذا القرآن مركب من نفس هذه الحروف،} ق{،} ن{،} ص{،} الم ...{فأين كبرياؤكم؟ هاتوا سورة من مثله .ألا تشعر معي أن العجز البشري يُعلن هنا بأعلى صوته؟

2/ لماذا ابتدأت السورة بهذا الحرف؟
لماذا لم يبدأ الله بالكلام مباشرة؟ لأنه يخاطب قلبًا لاهيًا، غافلا ً، مثقلا ً بالهموم .الحرف المفرد هو الصدمة الإيجابية التي تخرجك من غفلتك .إنه بمثابة جرس الإنذار أو ناقوس الخطر الذي يجعلك تصرخ في داخلك: "ماذا؟ ماذا هناك؟" .إنه خطف للأبصار والأسماع قبل القلوب، ليهيئك لاستقبال أثمن رسالة.

3/ أهمية لفت الإنتباه وإيقاظ قلب السامع كأسلوب تربوي
يا من تسعى إلى تربية نفسك وتربية من حولك، انظر إلى هذا الأسلوب الإلهي! إن أول خطوة في التربية الناجحة هي أن توجد "الاستعداد النفسي" .فأنت قبل أن تقدم معلومة لابنك أو طالبك، ألا تحتاج أن تجذبه إليك؟ إن الله يعلمنا أن الرسالة العظيمة تحتاج إلى مقدمة تليق بها .إن إيقاظ القلب هو إخراج له من حالة "السمع" إلى حالة "الإنصات" الواعي .قلبك الآن لم يعد قلبًا شاردًا، بل هو قلب حاضر، مصغٍ، متلهف!

4/ كيف يدفع هذا الافتتاح العبد إلى التفكر والتأمل والتوقف قبل التلاوة؟
اشعر معي بهذا الموقف: تهمّ بفتح المصحف لقراءة سورة "ق"، فما إن تنطق بلسانك أو بقلبك "قاف" حتى يجتاحك شعور مهيب .إنك لا تقرأ جريدة، ولا رواية، بل أنت تتلو كلام رب العالمين .هذا الحرف هو وقفة إجلال واحترام، إنه تذكير لك بأنك على أعتاب كلام لا يشبه كلام البشر، كلام معجز حتى في حروفه المفرقة .في هذه الوقفة، أنت تؤكد لنفسك أن الذي ستتلوه ليس مجرد آيات للحفظ ، بل هو رسائل للحياة.

5/ الرسائل النفسية، والتربوية، والعقلية من الآية
دعنا نستخرج هذه الجواهر من باطن هذا الحرف:

· ألا تشعر وأنت تقف عند) ق (أنها تحمل في طياتها أمرًا خفيًا؟ وكأن هناك صوتًا يناديك من الأعماق: "يا عبدي، قِفْ عند حدودي!" إنها رسالة تربوية سلوكية عميقة، تدعوك لتقف عند أمر الله ونهيه، فلا تتعد الحلال إلى الحرام، ولا تفرط في الواجب .حوّل تلاوتك إلى تطبيق، واجعل من هذا "الوقف" شعارًا في تعاملك مع الناس، وفي بيعك وشرائك، وفي علاقاتك الأسرية.
· وهل شعرت أن هذا الحرف وحده، في بدايته المفاجئة، يوقظ "الرقابة الذاتية" في نفسك؟ إنها رسالة نفسية تدعوك لمراجعة تصرفاتك بشكل دائم ومستمر .قبل أن تقدم على أي فعل، اسأل نفسك: "هل أنا واقف هنا عند حدود الله؟ أم تجاوزتها؟" .هذا الانضباط الداخلي هو الذي يحميك من الغفلة ويمنحك طمأنينة عجيبة.
· أما عقلك، ألم يتنبه؟ إن استخدام الحروف المقطعة يثير عقلك ليبحث ويفكر .هذه رسالة عقلية: "كن واضحًا، كن صريحًا، كن قاطعًا في حياتك!" .اطرد التردد والتذبذب من حياتك، فالله يخاطبك بحروف واضحة ليخرجك من حيرتك إلى يقين يملأ قلبك.
· وأخيرًا، رسالة عقلية إيمانية: "سلم تسلم" .لقد عجز عقلك وأعتى العقول عن الإتيان بمثل هذا القرآن .أليس هذا دليلا ً على أن هذا العقل الذي تفخر به قاصر؟ إن الاعتراف بقصور العقل هو أول درجات الكمال! هو الذي يدفعك للتسليم المطلق والاستسلام لخالق هذا العقل، لتكمل نقصك بكماله، وتسير على نور منهجه.

الخلاصة:
حرف} ق {ليس مجرد صوت، بل هو محطة توقف، وإعلان تحدي، ونداء يقظة .إنه باب عظيم ندخل منه على سيد الكلام.

المحور الثاني:} وَالقُرْآنِ المَجِيدِ {- جوهر القسم وعظمته

والآن وقد أوقفك حرف} ق{، ولفت انتباهك، يأتي القسم بالقرآن ليملأ قلبك بالمهابة والحب.

1/ ما المراد بعطف هذه الجملة على قوله} ق{؟
انظر كيف ربطت الواو بين الحرف العظيم والكتاب الأعظم .وكأنها همسة: "أرأيت هذا الحرف) ق (الذي تحديتكم به؟ إنه يمثل لبنة واحدة من بناء هذا) القرآن المجيد (المعجز" .العطف هنا هو عطف تلازم؛ فالإعجاز الذي في الحروف المفردة هو نفسه الإعجاز الذي في الكتاب الكامل .كلاهما من مشكاة واحدة، وكلاهما دليل على أن هذا الكلام ليس بشرًا.

2/ ماذا يعني هذا القسم؟ وما هو القسم وجوابه؟
يقسم الله العظيم، بكتابه المجيد .والله إذا أقسم بشيء، فإنما يقسم به تعظيمًا له .فما بالك إذا كان المقسم هو الله والمقسم به هو كلامه؟ إن العظمة هنا مضاعفة! أرأيت كيف أن الله لم يقسم بكوكب أو نجم، بل أقسم بكلامه الذي هو صفته؟ هذا القسم يقصد غاية خطيرة، لم يذكرها مباشرة في اللفظ) وجوابه محذوف(، ولكن قلبك يخبرك بها: "إن هذا القرآن لحق ...إن البعث لحق ...إنك يا محمد لمرسل..." .إن حذف الجواب هو أسلوب بلاغي يجعل عقلك يلهث متسائلا ً: "ماذا بعد؟ على ماذا أقسم الله؟" .إنه تشويق مهيب!

3/ ما المقصود بالقرآن المجيد؟ وماذا تعني كلمة "المجيد"؟
الآن، غُص معي في أعماق كلمة "المجيد" .إنها ليست "العظيم" فقط، ولا "الشريف" فقط، بل هي مزيج من سعة الأوصاف، وكثرة الخيرات، وعظمة الشرف، وتجدد البركات .إن وصف "المجيد" يعني أن هذا القرآن لا ينفد عطاؤه، ولا تخلق عجائبه، ولا يحيط بمعانيه أحد .إنه كتاب فيه الشرف لمن اعتز به، والعزة لمن تمسك به، والخير والبركة لمن جعله منهج حياته .فهل شعرت بحجم الكنز الذي بين يديك؟

4/ الرسالة النفسية والسلوكية من هذا الوصف:

· ما يوجبه القسم والوصف في قلبك: عندما يقسم لك خالقك بكتاب ويصفه لك بالمجيد، ألا يملأ قلبك حياءً أنك لم تقرأه اليوم؟ ألا يدفعك ذلك إلى شعور بالمنة العظيمة، فتحمد الله بكل جوارحك أن جعل هذا المجد بين يديك؟ هذا الحياء هو بداية حب حقيقي للقرآن.
· تأثيره على سرعة الانقياد: عندما يمتلئ عقلك وقلبك يقينًا بأن هذا القرآن "مجيد"، أي كامل الأوصاف محكم التشريع ...فهل ستتردد في تطبيق أمره؟ لو أتاك خبير عالمي بمخطط لنجاحك، هل ستتراخى في تطبيقه؟ فكيف بمخطط رب العالمين؟ إن وصف "المجيد" يجعل النفس تنقاد انقياد الواثق العاشق، لا الخائف المكره .تنقاد حبًا وشوقًا، لأنها أيقنت أن كل ما فيه شريف وعظيم ومصلح لحياتها.

المحور الثالث: لطائف وحِكم سورة ق

لتكتمل الصورة، دعنا نطوف معًا في بستان الحكم واللطائف.

1/ لماذا أقسم الله بالقرآن المجيد؟
لقد أقسم الله به لأمرين جليلين: الأول، ليؤكد لك صدق الرسالة والوحي، ويقطع الشك باليقين .و الثاني، وهو الأهم في سياق السورة، ليقرر عقيدة البعث والنشور .فهو القائل بعدها:} أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ .{إنه يقول لهم: إن الذي أنزل هذا القرآن المحكم المعجز، بقادر على أن يعيد الخلق بعد موتهم .أليس الإعادة أهون من الابتداء؟

2/ ما علاقة هذا القسم بما انتهت إليه سورة الحجرات؟
سبحان الله! تأمل هذا التناسق البديع .لقد اختتمت الحجرات بـ"العليم" و"البصير"، وافتتحت "ق" بـ "القرآن المجيد" .العلاقة وثيقة ومباشرة: فالله العليم بكل شيء، البصير بما يصلحك، هو الذي أنزل إليك هذا القرآن المجيد .علمه المطلق هو مصدر هذا الكتاب .فإذا كنت تتعامل مع كتاب صادر عن علم محيط، فهل يبقى في قلبك شك في صلاحية أحكامه لكل زمان ومكان؟

3/ لماذا كان النبي ﷺ يكثر من قراءة سورة ق؟
لأنها تجمع أصول العقيدة وتوقظ القلوب الميتة! إنها تذكرك بالموت، وبالبعث، وبالنار والجنة، وبالمراقبة الإلهية حيث تنطق عليك جوارحك .كان عليه الصلاة والسلام يقرؤها في المجامع الكبرى، في الجمع والأعياد، وفي الفجر .لماذا؟ لأنها تزلزل القلب الغافل، وتهزه هزًا عنيفًا ليفيق .إنها ليست مجرد تلاوة عابرة، بل هي صيحة نذير.

4/ لماذا لم يُذكر جواب القسم في الآية بل جاء الرد بالاستنكار؟ وما الحكمة البيانية من هذا الحذف ؟
إنه من روعة البيان القرآني! عندما يقسم المولى ولا يذكر جواب القسم، ثم ينتقل فجأة إلى استنكار تعجبهم:} بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ{، إنه يترك عقلك في حيرة من عظمة الأمر، فتتصور أن الجواب أعظم من أن يحيط به اللفظ .إنه حذف يوحي بالتهويل والتعظيم، ويجعل حجج الكافرين

تتساقط قبل أن تبدأ .إنه إثبات للقضية بطريق غير مباشر، أشد وقعًا من الإثبات المباشر.

5/ ارتباط الوصف بالغاية) وصف القرآن بالمجيد (وكيف أطبقه في حياتي العملية؟
اعلمي -يا أمة الله- أن وصف القرآن بالمجيد ليس مجرد خبر، بل هو تكليف .فما دام مجيدًا، فمن تمسك به نال من مجده .أما التطبيق العملي فسأحاورك فيه لنسطره معًا:

· التحاكم والامتثال: أن تجعليه حكمًا بينك وبين نفسك .عند الخلاف مع زوجك، زوجتك، شريكك ... هل تحتكم إلى هوى النفس أم إلى "المجيد"؟ اجعلي قرارك مرهونًا بآية، بهذا تكونين قد نلت طرفًا من مجده.
· طلب المجد والرفعة به: لا تطلبي الرفعة من منصب ولا مال، بل اطلبيها من كثرة تلاوته وتدبره و العمل به .وعدٌ صادق:} إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ {ومن حفظه رفع قدره .اصدقي في الطلب، تفيضي بالبركة.
· الاستشفاء والسكينة: هل أصابتك هموم، أو ضاقت بك السبل؟ لا تذهبي إلا إلى "المجيد" .ثقي أن فيه شفاء لما في الصدور، ليس فقط من الأمراض النفسية، بل وفي علاج الأزمات الفكرية والمادية . اجلسي معه، افتحي قلبك لآياته، وثقتي أن الذي وصفه بالمجد قادر أن يلبسك ثوب السكينة والعزة.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآية

والآن، لنجعل هذه الآية تنبض في واقعك العملي، ولنستنطقها لتجيب عن أسئلتك اليومية.

الأمر الأول: أسئلة تدبرية تطبيقية لتوظيف الآية في واقعك العملي) دستور النجاح(

تعالَ، دعنا نسأل أنفسنا بصدق:

١/ سؤال الاستمداد:} ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ...{هل القرآن بوصلتك في قراراتك؟
تأمل معي في قسم الله بالقرآن لعظمته وشمول معانيه لكل نواحي الحياة .والآن، واجه نفسك بهذه ا لأسئلة المحرجة:

· في تعاملاتك التجارية ووظيفتك: إذا عرضت عليك صفقة فيها شبهة، هل تستحضر قول الله:} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ{؟
· قبل توقيعك على عقد أو شراكة: هل تبحث في كتاب الله عن مبادئ العدل والصدق والأمانة لتكون هي الحَكم، أم أن مصلحتك المادية هي بوصلتك الوحيدة؟
· عند تسوية خلاف مع زوجتك أو أخيك: هل تستحضر آيات الصفح والعفو، أم ينتصر غضبك؟ إن الجواب هو الذي يحدد ما إذا كان القرآن هو بوصلتك حقًا، أم مجرد شعار.

٢/ سؤال القيمة: المجد والبركة في الإنجاز ...كيف تكتب المجد على جودة عملك اليومي؟
لقد أقسم الله بالقرآن "المجيد"، أي ذي الشرف والسعة في الخير والبركة .والآن، اسأل نفسك:

· في عملك اليومي: هل تسعى إلى الإتقان والإحسان كما أمر الله، أم أن هدفك الانتهاء من المهام بأي شكل؟ هل تقدم عملًا مشرفًا تقول عنه بفخر: "هذا عمل يليق بمسلم يتلو كتابًا مجيدًا"؟
· اجعل هدفك أسمى: لا تجعل هدفك الراتب آخر الشهر فقط، بل اجعله ترك أثر نافع يرضي الله .إن الطبيب الذي يعالج بصدق، والمعلم الذي يربي بضمير، والموظف الذي يتقن أمانته، كلهم يكتبون "المجد" على أعمالهم، وتفيض البركة في رزقهم.

٣/ سؤال التأثير: هل يحمل عملك رسالة بناء؟
الآية تقترن بالإنذار والتبشير في السورة، والقرآن كتاب هداية، وأنت خليفة في الأرض لتعميرها .اسأل نفسك:

· في مهنتك: كيف يمكن أن تكون وسيلة عملية لنفع الناس؟ هل تتحسس حاجة زميلك فتساعده؟ هل تفرج كربة عميل؟ هل تبني في مجتمعك قيمة إيجابية؟ حدد في بداية كل أسبوع مهمة عملية واحدة، يمكن لعملك أن يصبح من خلالها رسالة خير وإصلاح.

٤/ عظمة القرآن مقابل مشاغل الحياة:
أجبني بصدق: هل تتعامل مع القرآن على أنه كتاب ذو مجد وشرف، تقرؤه بتدبر وخشوع، أم أنه كتاب تقرؤه على عجل، أو تبحث فيه عن آية عند الشدة ثم تهجره؟ إن قسم الله به يعني أنه يحمل

كل أسباب العزة والخير والتوفيق .فلو أنك جعلت لك وردًا ثابتًا تتدبره، ألا ترى كيف سينعكس ذلك على توفيقك في عملك ودراستك وتجارتك؟ إنها معادلة إلهية لا تخطئ.

٥/ الانقياد والطاعة ...أين أثر تلاوة القرآن على سلوكك؟
كل واحد منا مسؤول أن يقف مع نفسه: ما هو أثر تلاوة القرآن على سلوكي اليومي وأخلاقي؟ هل جعلتني هذه الآية إنسانًا أفضل في محيطي؟ انظر كيف ينعكس وصف القرآن بالمجيد على سلوك المسلم في تعظيمه وتلاوته والعمل به .وأما علاقة القسم بالواقع، فلماذا قرن الله القسم بالقرآن بإنكار المشركين للبعث؟ لأن القرآن هو الدليل والبرهان الذي يزيل الشكوك حول قيامة الإنسان وحياته بعد الموت .فكما أن هذا الكتاب حق، فإن ما أخبر به من بعث وجنة ونار حق مثله.

الأمر الثاني: أهم القضايا التي تعالجها الآية

تعالج هذه الآية القضايا الكبرى التي إن صلحت صلح الإنسان:

· قضية المصدرية: من أين نستمد قيمنا وأخلاقنا ومعاييرنا؟ الجواب: من القرآن المجيد وحده.
· قضية اليقين: كيف نتخلص من التردد والشك لنصل إلى القطع والثبات؟ بالاعتصام بالقرآن.
· قضية الإنسانية: ما هو الهدف الأسمى من وجودنا؟ وما هي القيمة الحقيقية للإنسان؟ إنها تكمن في اتصاله بهذا الكتاب المجيد.
· قضية الإعجاز: كيف نثبت لأنفسنا وللآخرين أن هذا الدين حق؟ بالإعجاز البياني والعقلي القاطع في القرآن.

الأمر الثالث: خطوات عملية لتنزيل عظمة الآية على أرض الواقع) تحويل القرآن من كتاب إلى منهج(

كيف تتنزل هذه العظمة في أفعالك وسلوكك؟

١/ الاستجابة السريعة لأوامر القرآن:
إن كان ربك يقسم بكتابه المجيد، فمن أوجب الواجبات إظهار الاحترام له .والتطبيق: إذا قرأت آية فيها أمر، فبادر! وَأَقِيمُوا الصَّلَاة ...{قم فورًا} .وَلَا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضًا ...{أغلق فمك فورًا .الاستجابة الفورية هي ترجمة عملية لتعظيمك للقرآن.

٢/ التدبر قبل التلاوة:
لا تكن كمن يمر على الحروف وقلبه لاهٍ .المجد الحقيقي لا ينال بمراكمة الصفحات، بل بفهم المعاني . اجعل لك دقائق قبل تلاوتك لتصفية ذهنك، واقرأ وكأن الآية تنزل عليك الآن، وتنظر في حياتك كيف تحققها.

٣/ تحويل القرآن إلى سلوك أخلاقي:
اسأل نفسك بعد كل صلاة أو كل تلاوة: "أي خلق سأطبقه اليوم من القرآن؟" اجعل قيم القرآن، كـ الصدق والأمانة والعفو، هي أدواتك في اتخاذ القرارات وحل المشاكل ومعاملة الناس.

٤/ التزام بتلاوته بانتظام:
خاصة هذه السورة العظيمة "ق" .كان الرسول ﷺ يقرؤها في خطب الجمعة والأعياد لأنها تحيي القلب وتذكره بالآخرة .اجعل لك وردًا ثابتًا منها، لتتجدد في قلبك حقائق الإيمان، وتستعد للقاء الله بقلب سليم.

الأمر الرابع: الدروس والعبر العملية المستخلصة من الآية

١/ الاعتصام بالقرآن الكريم ...كيف يكون تطبيقه العملي؟
ألا ترى أن} ق {هي كالجبال الراسخة في مواجهة عواصف الشبهات؟} وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ {هو حبل الله المتين .والاعتصام العملي يعني أن تجعل هذا الكتاب مرجعك الأوحد عند كل خلاف، وأن تتوقف عن إصدار الأحكام بجهل، وأن تتعلم وتبحث قبل أن تتحرك.

٢/ عزة المؤمن بقيمه ومبادئه:
الآية تدعوك للاعتزاز بدينك وكتابك .أنت تحمل "المجيد" بين جنبيك! فكيف تسمح لنفسك أن تذل لصاحب هوى أو شهوة؟ واجه تحديات الحياة والتشكيك بثقة ويقين، فأنت على الحق المبين.

٣/ التفكر في عظمة الوحي:
"المجيد" يعني سعة الأوصاف والعظمة .هذه العظمة توجب عليك أن تتفكر في آيات الله، وأن تستنبط من هذا الكتاب الحلول العملية لمشاكلك .لا تطلب الحل من الشرق والغرب، بل من هذا المجد الذي بين يديك.

٤/ الثبات على المنهج:
كان النبي ﷺ يواظب على قراءة هذه السورة العظيمة في المجامع .إن هذا يعلمنا أهمية المداومة على العبادة والثبات عليها، وعدم الانقطاع بحجة الانشغال بالحياة العملية، ففي هذه المداومة يتجدد إيماننا وعزيمتنا.

الأمر الخامس: كيف يكون تعميق أثر هذه الآية في حياتك اليومية؟

١/ تعظيم القرآن الكريم:
أن تنتقل من مجرد التلاوة إلى الاجلال .كيف؟ عندما تمسك المصحف، استشعر أنك تلمس كلام الله، عامله بقدسية، اجعل له مكانًا عاليًا في بيتك وقلبك، وقدمه على كل شيء.

٢/ الاسترشاد بالقرآن في اتخاذ القرارات) قوة البرهان(:
عندما تحتار بين أمرين، عد إلى "المجيد" .استشعر أن وصفه بـ"المجيد" يعني أن فيه جوابًا شافيًا لكل حيرة .إنه دستورك العملي الذي يزودك بالحجج الواضحة لحسم ترددك.

٣/ استشعار أن العزة والمجد كلها في القرآن:
من خالف القرآن ذل وهان ولو ملك الدنيا .إن تمسكك به يكسبك مجدًا ينعكس على ثباتك الانفعالي، وعلى قدرتك على مواجهة تحديات العمل والمجتمع بقوة وكرامة، دون أن تتنازل عن مبادئك.

٤/ سرعة الانقياد والتسليم لأمر الله:
عظمة القرآن توجب كمال الاتباع .درب نفسك على الطاعة الفورية، في العمل كالأمانة والإخلاص والإتقان .وتذوق حلاوة الرضا والراحة النفسية عند تنفيذ أوامر الله.

٥/ تحصين النفس من التردد والحيرة:
تشير الآيات بعدها إلى أن أمر الذين كذبوا سيكون في أمر مريج، أي ملتبس ومختلط .أما أنت، فعند مفترق الطرق، لجوءك إلى القرآن يزيل الشكوك ويمضي بك في طريق الصواب، ويقيك من التردد الذي يفسد عليك أمورك كلها.

٦/ التأمل والتدبر:
سورة ق تركز على إعمال العقل في خلق الله والبعث .هذا يدعوك لأن تستخدم التفكير السليم في التخطيط لحياتك وبناء أعمالك وإعمار الأرض بيقين وثقة، مستمدًا رؤيتك من وحي الله.

ثالثاً: أهم المفاهيم من الآية

لنغرف من بحر هذه الآية بعضًا من مفاهيمها التي تبني الإنسان.

الأمر الأول: أبعاد الآية وآفاقها

الآية تفتح لك آفاقًا لا حدود لها:

· البعد الغيبي: من خلال الحروف المقطعة، لتدرك أن هناك علما لا تبلغه، فتتواضع.
· البعد الإعجازي: لتوقن أن هذا الدين محفوظ بمعجزة عقلية باقية.
· البعد الوجودي: لتجيب عن سؤال "لماذا نحن هنا؟" بالرجوع إلى رسالة القرآن.

الأمر الثاني: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

· مفهوم البناء على أساس متين: كما أن السورة تُبنَى على حرف، فحياتك لا تُبنى إلا على أسس الوحي.
· مفهوم التنمية بالمجد: التطور الحقيقي ليس ماديًا فقط، بل هو تنمية روحية وأخلاقية مصدرها القرآن، فتنمي نفسك ومجتمعك بمبادئه.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم الاحتكام: جعل القرآن حكمًا في كل شأن.
· مفهوم القداسة العملية: أن يكون للعمل قدسيته لأنه عبادة بأمر القرآن.
· مفهوم الشهادة على الناس: أن يكون سلوكك العملي نموذجًا يترجم معاني القرآن المجيد.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية

· نفسيًا: السكينة والرضا .أن تستمد قيمتك من كلام الله، لا من مدح الناس أو ذمهم.
· فكريًا: القطع واليقين .أن تنتقل من مرحلة الظن والشك إلى العلم والجزم.
· تربويًا: الاستقامة والانضباط .أن تنضبط أفعالك على إيقاع الأمر والنهي الإلهي.

الأمر الخامس: كيف نحول مفاهيم الآية إلى طاقة بناء للإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية؟

لكل حضارة مصدر قوة .حضارتنا مصدر قوتها "المجيد" .كيف نحول هذا إلى واقع؟

.1بناء الإنسان: نبدأ بإعادة بناء الفرد من الداخل، ليكون قلبه عامرًا بتعظيم كتاب الله، فيتحول إلى إنسان صالح في ذاته، مصلح لغيره.
.2بناء المجتمع: عندما يكون أفراد المجتمع متخلقين بالقرآن، ستختفي الجرائم، وتنمو الأمانة، وتزدهر التجارة، لأن الكل سيحتكم إلى "المجيد".
.3بناء الحضارة: لن نستورد حلولا ً لأزماتنا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، بل سنستنبطها من هذا الكتاب الذي لا تنتهي عجائبه .هذه هي الحضارة التي تقوم على العلم والإيمان معًا، والتي تجعل الدنيا مزرعة للآخرة، فتعمر الأرض بمنهج السماء.

الخاتمة: في رحاب} ق وَالقُرْآنِ المَجِيدِ{

عد بقلبك مرة أخرى إلى بداية الآية، وتخيل أنك الآن وقد تدبرتها، ووقفت على أسرارها، قد تغيرت نظرتك إليها .لقد دخلت من باب} ق {وقد أوقفتك هيبته، ودخلت إلى ساحة القسم ب-"المجيد" وقد ملأ قلبك حبًا وإجلالا ً وشوقًا للعمل.

فليكن عهدك مع نفسك من هذه اللحظة، أن تكون تاليًا حقًا، عاملا ً صادقًا، وأن يكون القرآن هو النبض الخفي لكل حركة في حياتك .اقرأها الآن مرة أخرى، واجعل دمع عينيك يترجم ما في قلبك من يقين وحب.

}ق وَالقُرْآنِ المَجِيدِ{
المبحث الثاني
يا صحبة الخير، ويا من ذاقت روحُه حلاوة الوقوف على أعتاب {ق وَالقُرْآنِ المَجِيدِ}، عُدنا لنمضي معًا في رحاب الآيات، لا كما نمضي في سرد الكلام، بل كما تغوص الأرواح في أنوار الوحي، تطلب الشفاء، وتنشد اليقين، وتبحث عن منهج حياة.

كنّا في المرة السابقة قد وقفنا طويلًا عند القسَم العظيم، حيث أقسم ربُنا بكتابه المجيد، وحذف جواب القسم إجلالًا وتهويلًا، وترك عقولنا وقلوبنا تبحث عن ذلك الجواب المهيب. واليوم، يأتي الجواب ، لا في صورة خَبر، بل في صورة استنكار.. استنكارٌ يهز كيان الكافر، ويوقظ قلب المؤمن، ويصدم عقل الغافل.

تخيّل أنك في حضرة قارئ يقرأ عليك: {بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الكافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (2) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (3)}. اشعر معي وقع هذه الآيات.. إنها ليست مجرد حكاية عن الماضين، بل هي مرآة ترينا أعماق النفس البشرية عندما تواجه الحق، وعندما يغلب عليها الهوى والإنكار.

تمهيد: لماذا هاتان الآيتان الآن؟ وما صلتهما بما قبلهما؟

بعد أن أقسم الله بالقرآن المجيد في الآية الأولى، كان القلب ينتظر جواب القسم، وكان العقل يتساءل: على ماذا حلف الله؟ وهنا يأتي البيان بطريقة بديعة. لقد حذف الله جواب القسم لسببين: الأ

أول تعظيمًا للأمر، والثاني لأن الآيات التالية تجيب ضمنا. وكأن الآية تقول: "إن جواب القسم هو أن رسالة محمد حق، وأن البعث حق، ولكن الكافرين استقبلوا هذا الحق بالتعجب والاستنكار، لا بالتسليم والتصديق".

جاءت الآية الأولى {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ} لتؤكد عظمة الكتاب وصدقه، ثم جاءت الآيتان (2-3) لتكشفا عن الموقف النفسي والفكري للكافرين من هذا الكتاب ومن الرسول ومن قضية البعث. إن هذا الانتقال من بيان العظمة إلى كشف الاستنكار، هو انتقال يهدف إلى مواساة النبي ﷺ والمؤمنين، وتثبيتهم، وإقامة الحجة على المنكرين، ودعوتهم بالمنطق والعاطفة لمراجعة أنفسهم.

أما أهداف الآيتين ومقاصدهما الكبرى فهي:

.1كشف طبيعة الموقف البشري من الحق: إظهار أن أول ردة فعل لكثير من الناس تجاه الحق الذي يخالف أهواءهم هي التعجب والاستهجان.
.2تسليط الضوء على أعظم عقبة في طريق الإيمان: وهي إنكار البعث والحياة بعد الموت، لأن إنكار الجزاء هو أصل الفساد في الأرض.
.3إثارة العقل للتفكر: كيف يستبعدون الإعادة، وقد خلقوا من العدم أول مرة؟
.4دعوة المؤمن للثبات: أن لا يتعجب من استهجان الناس للحق، فها هم قد استهجنوا الرسالة نفسها.

أولا ً: تحليل الآيتين

لنغص معًا في أعماق هاتين الآيتين، كلمة كلمة، وموقفًا موقفًا.

المحور الأول: {بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ} – مشكلة التعجب من الحق

1/ لماذا ابتدأت الآية بـ} بَلْ{؟ وما سر هذا الإضراب؟
تأمل معي! نحن كنا في جو القسم العظيم بالقرآن المجيد، وفجأة يأتي حرف {بَلْ}. في اللغة العربية، (بل) للإضراب الانتقالي، وهو انتقال من معنى إلى معنى آخر أهم. وكأن الآية تقول: "دع عنك الحديث عن عظمة القرآن ومجده وصدقه، ولننظر كيف قابل هؤلاء هذا المجد؟ لقد قابلوه بالعجب و الجحود!". في هذا الاستخدام قوة عجيبة، فهو يوجّه أنظارنا إلى فداحة موقفهم، ويجعلنا نستنكر استنكارهم.

2/ ما المراد بـ} عَجِبُوا{؟ ولماذا نسب العجب إليهم؟
العجب هو حالة نفسية تنتاب الإنسان عند رؤية أمر يخالف المألوف. لكن العجب هنا ليس عجب الإ عجاب والانبهار، بل هو عجب الاستبعاد والاستنكار. إنهم لم يتعجبوا من روعة القرآن وإعجازه، مع أنه الأولى بالتعجب، بل تعجبوا من أن يأتيهم رجل منهم يحذرهم! والسؤال هنا: ما وجه العجب في ذلك؟ إن الجواب يكشف عمق المشكلة: لقد كانوا يظنون أن الرسالة ينبغي أن تنزل على عظيم من عظمائهم، لا على يتيم أبي طالب. لقد اختلط عليهم الأمر بين القيمة المادية والقيمة المعنوية، فوقعت منهم هذه الغفلة.

3/ لماذا قال} مُنْذِرٌ مِنْهُمْ {وما دلالة ذلك؟
وصف النبي ﷺ بأنه "منذر" ليحدد وظيفته، وهي التحذير من عذاب الله، ووصفه بأنه "منهم" لإقامة الحجة عليهم. إنهم يعرفونه، يعرفون صدقه وأمانته، ويعرفون أنه بشر مثلهم. وهنا مكمن العجب الحقيقي: كيف يتعجبون من بشريته وقد جاءهم بما لا يستطيعه البشر؟! ألا يدل هذا على أن مشكلتهم ليست في الدليل، بل في الكبر والعناد؟ أليس من الغريب أن يستبعدوا أن يصطفى الله رج لا ً منهم، ثم يتهموه بأن ما جاء به هو شيء عجيب؟

4/} فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ{، ما دلالة تسميتهم هنا بـ"الكافرون" دون "الذين كفروا"؟
لم يقل الله: "فقال الذين كفروا"، بل قال: {فَقَالَ الْكَافِرُونَ}. استخدام الاسم (الكافرون) بدل الفعل (الذين كفروا) يدل على الثبوت والاستقرار. أي أن الكفر صار وصفًا ثابتًا لهم، وسجية من سجاياهم، لا مجرد فعل عابر. هم ليسوا في مرحلة تردد أو شك، بل استقر الكفر في قلوبهم، فصار هو المنطق الذي يصدرون عنه أحكامهم. ولذلك، لما رأوا الحق، كان حكمهم الفوري: {هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ}.

5/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا الموقف:

· رسالة للمؤمن) نفسيًا وسلوكيًا(: لا تحزن ولا تتعجب إن رأيت الحق يُقابل بالاستهجان والسخرية . هكذا كانت سنة الله في الأرض .فكم من حق واضح قوبل بالرفض والتعجب لأنه خالف ما ألفه الناس وورثوه عن آبائهم! هذه الآية تعلمك الثبات، وتعلمك أن الرفض ليس دليلا ً على بطلان ما تحمله، بل قد يكون دليلا ً على غربة الحق في زمن طغى فيه الباطل.
· رسالة للداعية) تربويًا(: عندما ينظر الناس إلى الداعية، قد يتعجبون: "لماذا هذا بالذات؟ إنه منا، بشر مثلنا" .لكن الله يصطفي من يشاء .لا تجعل استغراب الناس يحبطك، بل ثق أن اصطفاء الله لك هو الوسام الحقيقي، وأن مهمتك هي "الإنذار" لا طلب رضاهم.
· رسالة للعقل) منهجيًا(: إن وصف الكافرين للحق بأنه "شيء عجيب" يكشف عن انحراف في منهج التفكير .إنهم حكموا على الشيء قبل أن يتدبروه .لقد سمعوا كلامًا يخالف معتادهم، فرفضوه فورًا . أما المنهج القرآني فيدعونا إلى عدم الاستعجال في الحكم، وإلى تدبر الأمر قبل رده .كم مرة في حياتك رددت فكرة أو نصحًا لمجرد أنه جديد أو غريب عليك، دون أن تعطيه فرصة للتفكر؟

المحور الثاني: {أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ} – استبعاد البعث ولغو العقل

1/ كيف انتقلت الآية من التعجب من المنذِر إلى التعجب من البعث؟
العلاقة وثيقة جدًا. إن أصل المشكلة ليس في شخص النبي ﷺ، بل في مضمون رسالته. إن ما جعلهم يتعجبون من "المنذر" هو نفس ما جاء به "الإنذار". لقد أنذرهم بيوم القيامة، بالبعث بعد الموت، فكان ذلك هو المحك الحقيقي. وكأن الآية تكشف لنا أن سبب وصفهم للرسالة بأنها "شيء عجيب" هو هذه العقيدة بالذات. إنهم لم يستطيعوا إنكار أخلاق النبي، ولا إنكار فصاحة القرآن، فتعلقوا بإنكار الغيبيات التي لا تستوعبها عقولهم المادية.

2/ ما سر الاستفهام في} أَإِذَا مِتْنَا{؟ وما نوعه؟
الاستفهام هنا هو استفهام استنكاري، وهو يحمل في طياته أشد أنواع الإنكار وأعمقها. تخيل نبرة الصوت وهم يقولون: "أإذا متنا وصرنا ترابًا نرجع؟!". إنهم لا يستفهمون طلبًا للفهم، بل يعبرون عن أقصى درجات الاستبعاد. إنهم يسألون سؤال من يظن أن الإجابة البديهية هي "لا"، وأن مجرد طرح السؤال يكفي لإثبات استحالة الأمر. وهنا يظهر جهلهم بقدرة الله المطلقة.

3/ لماذا ركزوا على كونهم} تُرَابًا{؟ وما المنطق المادي الخفي هنا؟
لقد اختزل الكافرون حقيقة الإنسان في جسده المادي، فلما تحلل هذا الجسد وصار ترابًا، ظنوا أن إعادته أمر مستحيل. لقد أسقطوا قدرة الله على قدرة البشر، وقياسهم فاسد من أساسه. إنهم نسوا –أو تناسوا- أنهم بدأوا من تراب، {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى}. أليس الخلق الأول من تراب أعجب؟ فكيف تعجبون من الإعادة؟!

4/ ماذا يعني وصفهم للبعث بأنه} رَجْعٌ بَعِيدٌ{؟ وما الفرق بين "بعيد" و"مستحيل"؟
قالوا: {ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ}. لم يقولوا: "مستحيل". وهذه الكلمة بالذات مهمة جدًا. إنهم يعترفون ضمنًا بإمكانية الرجوع، لكنهم يستبعدونه. إنه ليس نفيًا مطلقًا، بل هو استبعاد وقوعي. وفي هذا ثغرة عقلية كبيرة؛ لأنهم لو سلموا بأن الرجوع ممكن، ولو احتمالا ً بعيدًا، فما الذي يمنع وقوعه؟ ولماذا لا يحتاطون لهذا الاحتمال ولو بالعمل الصالح؟ إنها مغالطة عقلية تفضح موقفهم: إنهم يريدون أن يعيشوا بلا حساب، فيتعللون بأن البعث "بعيد" لا "مستحيل".

5/ الرسائل النفسية والسلوكية والعقلية من هذه الآية:

· رسالة عقلية في إثبات البعث: إن استبعادهم للبعث مبني على قياس خاطئ .إنهم يقيسون قدرة الله على قدرة البشر .أما المنطق السليم فيقول: القادر على الخلق من عدم، أقدر على الخلق من موجود) التراب .(هذه الآية تدعوك لتحرر عقلك من القياسات المادية البحتة، ولتؤمن بأن قدرة الله لا يحدها شيء.
· رسالة نفسية: الخوف من المستقبل والارتياب: قولهم} رَجْعٌ بَعِيدٌ {يعكس حالة نفسية من الإنكار الدفاعي .إنهم لا يريدون أن يصدقوا، لا لأن الأدلة غير كافية، بل لأن التصديق يترتب عليه مسؤوليات أخلاقية والتزامات عملية .كم منا اليوم من يسمع الحق ويعرفه، لكنه يقول في قرارة نفسه: "هذا بعيد عني، ليس الآن، غدًا سأتوب"؟ إنه نفس المنطق، تغليف الخوف والهروب من المسؤولية بغلاف الاستبعاد.

· رسالة سلوكية عملية: عش وكأن البعث قريب: إذا كان الكافرون يرون البعث "بعيدًا"، فإن المؤمن الصادق يراه "قريبًا"، قال تعالى:} إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا .{هذا الشعور بقرب البعث هو الذي يورث في النفس المسارعة في الخيرات، ومراقبة التصرفات، والاستعداد للقاء الله.

المحور الثالث: لطائف وحِكم من سياق الآيتين

لنقف معًا على بعض الدقائق واللطائف.

1/ ما العلاقة بين وصف القرآن بـ"المجيد" وتعجبهم من الرسول والبعث؟
هي علاقة تناقضية هائلة! في الآية الأولى، يقدم الله الحقيقة: القرآن مجيد. وفي الثانية، يقدم موقفهم: القرآن شيء عجيب (بمعنى غريب مستنكر). إنه تناقض بين التقييم الإلهي والتقييم البشري المنحرف. وفي هذا إشارة إلى أن "المجد" و"العجب" لا يجتمعان في قلب واحد؛ فالذي يرى القرآن مجيدًا لا يمكن أن يراه عجيبًا مستنكرًا.

2/ لماذا قدمت قصة تعجبهم على تفصيل أدلة البعث التي تأتي بعدها في السورة؟
هذه طريقة قرآنية فريدة، وهي عرض الداء قبل وصف الدواء. إن الله يعرض عليك الشبهة أو موقف الكافرين أولا ً، لتتصور المشكلة وتستشعر خطرها، ثم يأتي الرد المفصل. فبعد هذه الآيات مباشرة، تبدأ الأدلة الكونية: {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ...}، {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا...}. إنه يعلمنا أن نواجه الشبهات لا أن نهرب منها، وأن نستمع إلى حجج المخالفين، ثم نرد عليها بالمنطق.

3/ لماذا كانت سورة "ق" من أكثر السور التي يقرؤها النبي ﷺ في خطب الجمعة والأعياد؟
لأن هذه السورة تخاطب القضية الأهم: اليقين بالآخرة. وخطبة الجمعة والعيد هي مجامع الناس، حيث تجتمع القلوب وتقبل على الموعظة. إن سماع هذه الآيات بالذات يزلزل قلب المؤمن الغافل، ويذكره بحقيقة وجوده. فكلما سمع {أَإِذَا مِتْنَا} شعر بقشعريرة تذكره أن الموت قادم، وأن البعث حق.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيتين

والآن، لنجعل هاتين الآيتين تنبضان في واقعنا، ونستنطقهما لمواجهة واقعنا.

الأمر الأول: أسئلة تدبرية تطبيقية لتوظيف الآيتين في واقعك العملي

١/ سؤال الاستمداد:} بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ...{هل تستهجن الحق لأنه جاءك على لسان من لا تريد؟

· في حياتك العملية: كم مرة جاءتك نصيحة من زميل أصغر منك سنًا، أو من شخص لا تحبه، فرفضتها لمجرد أنها صدرت منه؟ هلا تعلمت من هذه الآية أن تنظر إلى مضمون الرسالة لا إلى شخصية المرسِل؟ فالحق حق، ولو جاء على لسان من لا تهوى.
· في علاقتك بالقرآن: هل استثقلت في يوم من الأيام حكمًا شرعيًا، لا لأنه خطأ، بل لأنه صادم لعادات مجتمعك أو لرغبات نفسك؟ تلك اللحظة التي تقول فيها: "كيف هذا؟" هي ذات لحظة "العجب" المذموم .كن حذرًا، وقل: "سمعنا وأطعنا".

٢/ سؤال القيمة:} أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ...{كيف تتعامل مع ماديتك؟

· في نظرتك للنجاح: هل تختزل قيمة الإنسان في جسده وماله ومنصبه، كما اختزل الكافرون الحقيقة في التراب؟ عندما تموت، سيأكل التراب جسدك، فهل ينتهي كل شيء؟ هذه الآية تدعوك لتعيد تعريف القيمة، فتربطها بالعمل الصالح الذي يبقى بعد أن تصير ترابًا.
· في عملك اليومي: استشعر وأنت تباشر عملك أن هناك حياة أخرى، وأن كل تعبك هنا سيجد جزاءه هناك .هذا الاستشعار يحول العمل المادي إلى عبادة روحية.

٣/ سؤال التأثير:} هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ...{هل تؤثر فيك سخرية الآخرين من تمسكك بالدين؟

· في واقعك: حين تسير في طريق الالتزام، قد يسخر منك البعض: "أنت إنسان عجيب!" .هذه الآية

تقول لك: "لا تحزن، فكلامهم هو نفس كلام الكافرين الأوائل" .إنهم يعجبون منك لأنك تذكرتهم بحقيقة يهربون منها.
· تطبيق عملي: اجعل من سخريتهم دافعًا للمزيد من التمسك، ورد عليهم بأخلاقك العالية التي تثبت لهم أن هذا "العجب" هو الخير والحق.

٤/ سؤال اليقين:} ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ...{هل تعيش وكأن القيامة بعيدة؟

· مع نفسك: انظر إلى جدول يومك .كم من الوقت خصصت للاستعداد ليوم البعث؟ كم مرة تذكرت الموت؟ ألسنا في غفلتنا نتعامل مع البعث كما تعامل الكفار معه؟ نؤمن به نظريًا، لكننا نعيش وكأنه مستحيل أو بعيد جدًا .هذه الآية تجعلك تراجع تعريفك لكلمة "بعيد"، فأنت لا تدري، لعل الساعة قريبة.

٥/ علاقة القسم بالواقع: كيف تكون هذه الآيات برهانًا يزيل الشكوك؟
لقد أقسم الله بالقرآن في الآية الأولى، وها هو في هاتين الآيتين يفضح منطق الكافرين. إن مجرد عرض شبهتهم بهذا الوضوح هو جزء من البرهان. فالقرآن لا يخفي الشبهات، بل ينشرها ويجيب عنها. فهلا جعلت القرآن دليلك وبرهانك في الرد على كل شك يطرأ على قلبك بخصوص البعث والحياة بعد الموت؟

الأمر الثاني: أهم القضايا التي تعالجها الآيتان

· قضية الحقيقة والتكذيب: كيف يتعامل البشر مع الحقائق الجديدة التي لا توافق هواهم؟
· قضية المركزية البشرية: مرض الكبر الذي يجعل الإنسان يرفض الحق إذا جاءه ممن يراه دونه.
· قضية الموت والحياة: المعضلة الوجودية الكبرى، وحاجة الإنسان إلى يقين يملأ روحه.
· قضية العقل والعقيدة: كيف يستخدم العقل في غير موضعه فينكر الغيب بناءً على المحسوس، وكيف يجب أن يستخدم ليستنتج من الخلق الأول إمكانية البعث.

الأمر الثالث: خطوات عملية لتنزيل عظمة الآيتين على أرض الواقع

١/ التحرر من سجن العادة والألفة:
نحن نستهجن الجديد الذي لم نألفه. والآية تعلمنا أن نتجاوز هذا. تدريب عملي: استمع كل أسبوع لرأي فقهي أو أخلاقي جديد بقلب مفتوح، واسأل: "ما الدليل؟" لا تقل: "هذا غريب!".

٢/ مراقبة ردود أفعالك تجاه النصح:
إذا نصحك أحد، وراودك شعور بالعجب أو الاستهجان، تذكر فورًا هذه الآية. قل لنفسك: "هل أنا كـ الكافرين الذين تعجبوا من المنذر؟". حول رد فعلك من النفور إلى الامتنان والتفكر.

٣/ تذكر الموت والبعث يوميًا:
لكي لا تقع في فخ {ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ} عمليًا، خصص دقائق يوميًا لتذكر القبر والبعث. زُر المقابر، اقرأ في سير الموتى، تخيل نفسك وأنت تبعث. هذا يجعلك تعيش بإيجابية ومسؤولية.

٤/ تحويل العجب إلى إعجاب وتفكر:
بدل أن تتعجب من خلق الله استنكارًا، تعجب إعجابًا: "سبحان الله! كيف سنبعث من التراب؟". اجعل فضولك المعرفي في التعرف على كيفية البعث يقودك للإيمان لا للجحود.

الأمر الرابع: الدروس والعبر العملية المستخلصة من الآيتين

١/ الاعتصام بالحق مهما استغربه الناس:
لا تتنازل عن حق تؤمن به لمجرد أن الناس يرونه "شيئًا عجيبًا". فالغربة هي سمة أهل الحق.

٢/ عزة المؤمن بقيمه ومبادئه في وجه السخرية:

إن وصفوك بالعجيب، فاعلم أنهم وصفوا النبي ﷺ بذلك من قبلك. عزتك في قيمك لا تتأثر بتعجب الجاهلين.

٣/ التفكر في قدرة الله المطلقة:
عندما ترى التراب، تذكر أن الله سيخرج منه بشرًا أحياء. هذا الدرس العملي يوسع مداركك ويجعلك دائم التعظيم لله.

٤/ الثبات عند مواجهة حتمية الموت:
الموت هو الحقيقة الوحيدة المؤكدة، ومع ذلك نعيش متجاهلين إياه. هذه الآية تجعلك تثبت قلبك على تذكر الموت، فيكون دافعًا لك للعمل لا للاكتئاب.

الأمر الخامس: كيف يكون تعميق أثر هذه الآية في حياتك اليومية؟

١/ تعميق الإحساس بالمسؤولية تجاه الخلق:
عندما ترى إنسانًا يستهجن الحق، لا تغضب منه، بل اشفق عليه. تذكر أنه مريض بمرض "العجب" الذي أصاب كفار قريش، وعامله برحمة المبلغ الذي يريد له النجاة.

٢/ الاسترشاد بمنطق القرآن في الحوار:
عندما تحاور منكرًا للبعث، لا تبدأ بالسب والشتم، بل ابدأ بالمنطق الذي بدأ به القرآن: "كيف تستبعد الإ عادة وأنت ترى الخلق الأول؟". القرآن يعلمك كيف تقيم الحجة.

٣/ تحصين النفس من الخوف من المستقبل:
إذا كنت مؤمنًا بأن الموت ليس نهاية، بل هو رجوع إلى الله، فلم الخوف من المستقبل؟ هذه العقيدة تمنحك شجاعة لا توصف لمواجهة تقلبات الدنيا.

٤/ التطبيق في العلاقات:
لا تتعجب من خطأ زوجتك أو زوجك أو ابنك وكأنه شيء لم يحدث من قبل. {بَلْ عَجِبُوا} تعلمك أن الناس يخطئون، فلا تصدم، بل صحح برفق.

ثالثاً: أهم المفاهيم من الآيتين

الأمر الأول: أبعاد الآيتين وآفاقها

· البعد النفسي: كشف أعماق النفس البشرية عند مواجهة الحق: الكبر، الإنكار، والهروب.
· البعد الفكري: فضح المغالطة المنطقية في استبعاد البعث بناءً على القياس المادي الفاسد.
· البعد الاجتماعي: تحليل ظاهرة رفض المجتمعات للمصلحين من داخلها.

الأمر الثاني: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء على الحق لا على استحسان الناس: التنمية الحقيقية تبنى على مبادئ الحق حتى لو استهجنها الناس في البداية.
· تنمية عقلية علمية: بتدريب العقل على عدم رفض المجهول لمجرد أنه غير مألوف، بل بحثه ودراسته.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآيتين في حياتنا العملية

· مفهوم إدارة التغيير: عندما تأتي بفكرة جديدة في عملك، ستجد من يقول: "هذا شيء عجيب" .تعلم من الآية كيف واجه النبي هذا، بالصبر والحجة.
· مفهوم المرونة النفسية: ألا تصاب بالإحباط عندما يستبعد الناس نجاحك أو يستنكروا طموحك.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية

· المفهوم النفسي) الإنكار(: فهم آلية "الإنكار" كوسيلة دفاعية يلجأ إليها العقل هربًا من تبعات التصديق.

· المفهوم الفكري) الاستدلال(: تعلم أصول الاستدلال على الغيب بالشاهد، وهو منهج قرآني أصيل.
· المفهوم التربوي) القدوة(: إن كون النبي "منهم" هو أعظم تكريم، فالقرب من الناس مع الاختلاف بـ القيم هو أساس التربية الناجحة.

الأمر الخامس: كيف نحول مفاهيم الآيتين إلى طاقة بناء للإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية؟

.1على مستوى بناء الإنسان: تربية الفرد على أن يكون صاحب مبدأ ثابت، لا تهزه سخريات المجتمع، ولا ينكر الحقائق لمجرد أنها بعيدة عن حسه المادي .هذا هو الإنسان القوي القادر على البناء.
.2على مستوى بناء المجتمع: حين نتعلم من الآية أن المجتمع الجاهلي يرفض الحق بالتعجب، ندرك أن بناء المجتمع الصالح يتطلب أولا ً تكسير هذه الحواجز النفسية، ونشر ثقافة التساؤل والتفكر بدل ثقافة الاستنكار والرفض.
.3على مستوى بناء الحضارة: الحضارة الإسلامية قامت على الإيمان بالغيب) البعث(، وهذا الإيمان هو الذي أطلق طاقات هائلة للعمل والإعمار .فالذي يؤمن أن هناك بعثًا وحسابًا، يعمل في الدنيا بإتقان وأمانة لا متناهية، لأنه يعلم أن عمله سيبقى ويلقاه .هذا هو سر اندفاع الأوائل لبناء الحضارة: اليقين بأن} ذَلِكَ رَجْعٌ {ليس ببعيد، بل هو آتٍ لا ريب فيه.

الخاتمة: من قلب {بَلْ عَجِبُوا} إلى يقين {ذَلِكَ رَجْعٌ}

والآن، دع قلبك يعود إلى هاتين الآيتين، وقد صارت لك مرآة ترى فيها حقيقة نفسك وحقيقة العالم من حولك. {بَلْ عَجِبُوا}... هذه ليست فقط قصة قريش، بل هي قصة كل نفس بشرية عندما يدخلها الكبر، ويُعجبها الغرور. {أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا}... ليس سؤال استنكار، بل هو سؤال الغفلة الذي نعيشه كل يوم.

اخرج من هذا التدبر وأنت تحمل عهدًا جديدًا:

· عهدًا بألا تكون "عَجُوبًا" بالحق، مستنكرًا لهدي الله، بل تكون متقبلا ً، فَرِحًا، مسارعًا.
· وعهدًا بألا ترى البعث "بعيدًا"، بل تراه قريبًا، فتعيش كل لحظة من حياتك وأنت تستعد لهذا الرجوع العظيم.
· وعهدًا بأن تكون أنت "المنذر" المبشر في أهلك ومجتمعك، صابرًا على استهجانهم، عالمًا أن مهمتك هي البلاغ، وأن الهداية بيد الله وحده.

اقرأ الآن الآيتين مرة أخرى، واجعلهما تنطبعان في قلبك لا في ذاكرتك فقط. {بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (2) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (3)}.
المبحث الثالث
كنا قد وقفنا في الآيتين السابقتين عند استنكار الكافرين للبعث، وقولهم المليء بالاستبعاد: {أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ}. لقد ظنوا أن تحلل الجسد في التراب هو نهاية القصة، وأن الإعادة ضرب من الخيال. وهنا يأتي الرد الإلهي، لا بجدال عقيم، بل بحقيقة علمية غيبية تزلزل الوجدان وتقيم الحجة على العقل: {قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ}. ثم ينكشف الستار عن العلة الحقيقية لأزمتهم: {بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ}.

تمهيد: لماذا هاتان الآيتان الآن؟ وما صلتهما بما قبلهما؟

بعد أن سجّل القرآن عليهم استبعادهم للبعث، جاءت هاتان الآيتان لتضربا جذور الشبهة في مقتل. لقد بنوا استبعادهم على ضياع أجزاء الجسد في الأرض، فجاءهم الرد بأن هذا الذي تظنونه ضياعًا وعشوائية، هو بعلمنا محسوب ومقدّر ومحفوظ. فالله لم يجهل مصير ذراتكم حين تفرقت، بل علمُه محيطٌ بها، وعنده كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. إنها نقلة نوعية في الحوار: من التركيز على استبعادهم إلى التركيز على علم الله وحفظه، فكأن الآية تقول: "إن كانت المشكلة عندكم هي تحلل الأجساد، فاعلموا أن تلك الذرات لم تضع، بل هي في علم الله الذي لا يضيع".

ثم يأتي الإضراب بـ {بَلْ} ليكشف عن الجذر الخفي لمشكلتهم: إنها ليست مشكلة دليل أو نقص برهان، إنما هي مشكلة إرادة وتكبر. لقد جاءهم الحق واضحًا، فكذبوا به طواعية. ولهذا كانت النتيجة الطبيعية والحتمية: {فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ}. لقد دخلوا في دوامة من الاضطراب الفكري والنفسي والعقدي ، لأنهم رفضوا النور فحُكِم عليهم بالتخبط في الظلام.

أما أهداف الآيتين ومقاصدهما الكبرى فهي:

.1إقامة البرهان العقلي والعلمي على إمكانية البعث، من خلال لفت الأنظار إلى علم الله المطلق وحفظه لكل شيء.
.2زرع الطمأنينة في قلب المؤمن بأنه لا يضيع منه شيء عند الله، لا عمله، ولا جسده، ولا ذراته، فكيف يضيع هو نفسه؟!
.3تشخيص الداء الحقيقي للكافرين والمكذبين وهو التكذيب الإرادي بالحق، لا نقصان الأدلة.
.4بيان النتيجة الحتمية للتكذيب بالحق، وهي الوقوع في "الأمر المريج"، أي الاضطراب والقلق و التشتت الفكري الذي لا قرار له.

أولا ً: تحليل الآيتين

لنغص معًا في أعماق هاتين الجوهرتين، ولنستخرج كنوزهما الدفينة.

المحور الأول: {قَدْ عَلِمْنَا مَا تنقصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ} – العلم المحيط والضمان الإ لهي

1/ ما معنى} قَدْ عَلِمْنَا {وما سر التوكيد ب-) قد (والفاعل) نا(؟
تخيّل معي جلال هذا الموقف! الله سبحانه يتحدث عن نفسه بضمير العظمة (نا)، ليؤكد أنه هو وحده المتكفل بهذا العلم. و(قد) هنا للتحقيق والتوكيد، أي أن هذا العلم قد حصل وثبت وتقرر، فهو علم كامل لا يعتريه نقص ولا نسيان. إنه ليس مجرد إحاطة عامة، بل هو علم تفصيلي دقيق. فكأن الآية تهمس في أذن كل متشكك: "اطمئن، أو خف، فعلمنا قد أحاط بكل ما تظنه ضائعًا".

2/ ما المراد ب-} مَا تنقصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ{؟ ولماذا كان هذا الرد بليغًا في سياق إنكار البعث؟
لقد قالوا: {أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا}، مستبعدين أن تجتمع أجزاؤهم بعد التفرق. فيأتيهم الرد: أنتم تركزون على "نقص الأرض" أي أكلها لأجسادكم وتحللها، وتغفلون عن "علمنا". إن التعبير ب-(تنقص) دقيق جدًا، فالأرض لا تبتلع الجسد مرة واحدة، بل تنقصه شيئًا فشيئًا، يومًا بعد يوم، حتى يصير رميمًا. ولكن كل ذرة من هذا النقص، في كل لحظة، هي بعلم الله. فما تفرق في ظنكم، هو مجموع في علم الله. وإذا كان الأمر كذلك، فأي صعوبة في إعادته؟! إنها حجة دامغة، تنقل القضية من نطاق الاستحالة إلى نطاق الإمكان المعلوم.

3/ ما هو} كِتَابٌ حَفِيظٌ{؟ وما علاقته بعلم الله ونقص الأرض؟
}كِتَابٌ حَفِيظٌ {هو الكتاب الذي يحفظ كل شيء، وهو اللوح المحفوظ، أو كتاب الأعمال الذي تحصي فيه الملائكة كل صغيرة وكبيرة .وصفه بأنه} حَفِيظٌ {فيه معنيان عظيمان:

· حافظ: أي يحفظ ما كتب فيه من الضياع والنسيان.
· حفيظ بمعنى مُحْصٍ: أي يحصي كل شيء ويضبطه.
فالآية تخبرنا أن الله لا يعلم فقط ما تنقص الأرض، بل هو موثق في كتاب لا يضيع .هذا الكتاب هو ضمانة إلهية، وسجل كوني، يجعل المؤمن يعيش بين الخوف والرجاء، ويجعل الكافر يعيش في غفلة من أمره.

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الطمأنينة المطلقة .ألا تشعر وأنت تقرأ} قَدْ عَلِمْنَا {أنك لست وحدك، وأن أجزاءك ليست سدى؟ إن إحساسك بأن الله يعلم كل ما يحدث لجسدك بعد موتك، يجعلك تطمئن إلى أنك في حفظه ورعايته حتى بعد فنائك .هذه الطمأنينة تملأ القلب سكينة، وتجعلك تنام قرير العين، وتواجه مصاعب الحياة بثبات.
· رسالة تربوية: حفظ الحدود وصيانة الأسرار .إن كان الله قد حفظ ما تنقص الأرض من أجساد، أفلا يحفظ ما يصدر عن جوارحك من أعمال؟ هذه الآية تدعوك إلى استشعار رقابة "الكتاب الحفيظ" على كل صغيرة وكبيرة .علمك هذا يهذب سلوكك، فقبل أن تمد يدك لحرام، وقبل أن ينطق لسانك بباطل، تستحضر أن هناك كتابًا لا يفرط في شيء، وأن هناك علمًا لا يغفل.
· رسالة عقلية: الاستدلال بالجزء على الكل .إن إقامة الحجة على البعث من خلال "علم الله" هو درس عظيم في التفكير المنطقي .فبدلا ً من الخوض في جدل فيزيائي حول كيفية جمع الذرات، ينقل القرآن عقلك إلى التفكير في "مصدر العلم والقدرة" .فهو يعلمك أن تنظر إلى صفات الفاعل قبل أن تحكم على إمكانية الفعل .ما دام الفاعل هو الله العليم القدير، فكل شيء ممكن.

المحور الثاني: {بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ} – تشخيص العلة وإعلان النتيجة

1/ ما سر الإضراب ب{ بَلْ {هنا؟ وما الذي تنفي عنه الانتقال؟
كما في الآية السابقة، {بَلْ} هنا للإضراب الانتقالي، ولكنها تنقلك من بيان كمال العلم الإلهي إلى بيان علة المشكلة الحقيقية. إنها تقول: "دع عنك الحديث عن أدلة البعث ووضوحها، ولننظر إلى أصل الداء. المشكلة ليست في نقص الأدلة ولا في غموضها، بل هي في موقفهم النفسي والأخلاقي". إنهم لم يكذبوا لشبهة، بل {كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ}، أي أن الحق قد جاءهم كاملا ً واضحًا، ومع ذلك كذبوا به. إنه إضراب يفيد الاستدراك ويكشف عن العلة الخفية، وهي إرادة التكذيب لا فقدان الدليل.

2/ ما المراد ب- "الحق" في الآية؟
"الحق" هنا اسم جامع لكل ما أنزل الله .إنه القرآن، وهو الرسالة، وهو البعث الذي جادلوا فيه .و القرآن يصفه بالحق لأنه ثابت في ذاته، موافق للواقع، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فتكذيبهم لم يكن تكذيبًا لفرضية أو نظرية، بل تكذيبًا لحقيقة مطلقة.

3/ ماذا يعني قوله} فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ{؟ وما هو الأمر المريج؟
كلمة {مَرِيجٍ} من أبلغ الكلمات القرآنية وأعمقها. المريج هو المختلط، المضطرب، الملتوي الذي لا يستقيم على حال. إنه الأمر الذي اختلط فيه الحق بالباطل، والصدق بالكذب، حتى صار صاحبه لا يدري ما يعتقد، ولا على أي شيء يثبت.

· أمرهم المريج الفكري: فتارة يقولون عن النبي ﷺ: "ساحر"، وتارة "شاعر"، وتارة "مجنون"، وتارة "كاهن" .إنهم لم يستقروا على وصف واحد، لأنهم يرفضون الحقيقة الواضحة، فيضطرون لاختراع الأ كاذيب المتناقضة.
· أمرهم المريج العقدي: لا يستقر لهم إيمان، ولا يطمئنون إلى إنكار، فهم في حيرة دائمة.
· أمرهم المريج النفسي: قلق، وتوتر، وخوف من المستقبل، لأنهم لا يملكون إجابة عن سؤال المصير.
هذا هو حال كل من كذب بالحق بعد وضوحه، يعاقبه الله بأن يجعله في تيه فكري ونفسي.

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية تحذيرية: عاقبة التكذيب قلق واضطراب .اعلم أنك كلما واجهت حقًا واضحًا فأعرضت عنه أو كذبت به، فإنك إنما تسلم نفسك ل-"الأمر المريج" .هل شعرت يومًا بضيق في صدرك، وتشتت في فكرك، وعدم قدرة على اتخاذ قرار؟ راجع نفسك، لعل هناك حقًا جليًا رفضته، فعوقبت بالحيرة . إن الراحة النفسية والطمأنينة لا تأتي إلا مع التسليم للحق.
· رسالة تربوية منهجية: تعويد النفس على قبول الحق فورًا .لكي تحمي نفسك من "المرج"، دربها على أن تقول للحق "نعم" فور وضوحه، حتى لو كان مرًا، وحتى لو خالف هواك .فالتسويف والتأخير و التكذيب هو أول طريق الاضطراب.
· رسالة عقلية: التكذيب بالحق يؤدي إلى فوضى عقلية .العقل مثل العدسة، إن استقبلت نور الحق ركزته فرأت الصورة واضحة، وإن انحرفت عن النور لم تر إلا الظلام والتشويش .إنكار البديهيات و المسلمات العقلية لا يؤدي إلى الحرية الفكرية، بل إلى "مرج" فكري تعجز معه عن أبسط عمليات التفكير المستقيم.

المحور الثالث: لطائف وحِكم من سياق الآيتين

1/ ما وجه الربط بين) الكتاب الحفيظ (و)الأمر المريج(؟
إنهما ضدان! فالكتاب الحفيظ يمثل النظام المطلق، والحفظ الكامل، والوضوح التام. والأمر المريج يمثل الاضطراب والاختلاط والتشتت. فالذي يؤمن بالكتاب الحفيظ يعيش في طمأنينة ووضوح، و الذي يكذب به يقع في الأمر المريج. إن اختيارك للإيمان بالكتاب الحفيظ هو اختيار للخروج من الظلمات إلى النور، ومن المرج إلى السكينة.

2/ لماذا قال} تنقصُ الأَرْضُ {ولم يقل "تأكل" أو "تبلي"؟
في التعبير ب-(تنقص) إشارة إلى التدرج والدقة. إنها تصف العملية كما هي في الواقع: نقص مستمر، جزءًا فجزءًا. وفي هذا طمأنة إضافية: إن الأرض لا تبتلع الإنسان فيفنى فجأة، بل تنقصه، وعلم الله يواكب هذا النقص لحظة بلحظة. إنه تصوير دقيق يبعث على الخشوع.

3/ ما علاقة هذه الآيات بختام سورة الحجرات وبداية سورة ق؟
سبحان الله! في ختام سورة الحجرات: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}. وهنا: {قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ}. إنه تطبيق عملي مباشر لغيب السماوات والأرض! فالله أخبر أنه يعلم الغيب، وها هو يخبرك ببعض هذا الغيب: علمه بذرات موتاكم في باطن الأرض. هذا الترابط يجعلك توقن أن القرآن كلام العليم الخبير حقًا.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيتين

والآن، لنسقط هذه الأنوار على واقع حياتنا العملية والنفسية.

الأمر الأول: أسئلة تدبرية تطبيقية لتوظيف الآيتين في واقعك العملي

١/ سؤال الاستمداد:} قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ ...{هل تستمد طمأنينتك من علم الله الشامل؟

· تطبيق عملي في مواجهة الظلم: إذا ظُلمت في عملك، أو سُلبت حقًا، أو غُبن أجرك ...تذكر أن هناك "كتابًا حفيظًا" .كل ما حدث مسجل، وكل نقص في حقك معلوم .هذا الاستمداد يحررك من الضغينة و الحقد، ويجعلك تكل أمرك لله بثقة، لأنه سبحانه} قَدْ عَلِمْنَا.{
· تطبيق في التعامل مع الفشل: عندما تفشل في مشروع أو تخسر فرصة، قد تشعر أن جهدك "أكلته الأرض" وضاع هباءً .لكن الآية تقول لك: لا، ما ضاع شيء! كل تعبك وكل خطوة لك مسجلة في كتاب حفيظ، وسيأتي يوم ترى فيه ثمرتها .فاستمد من هذا المعنى قوة الاستمرار والعزيمة.

٢/ سؤال القيمة:} وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ...{كيف تضيف قيمة "الحفظ" إلى أعمالك؟

· في إدارة وقتك ومهامك: الإنسان الناجح هو الذي يسجل أهدافه ويحفظ إنجازاته .أما أنت فلديك "كتاب حفيظ" إلهي يسجل كل شيء .فهل يليق بك أن لا يكون لك كتاب عند الله فيه عمل صالح؟ تخير كل يوم عملا ً واحدًا، ولو بسيطًا، تريد أن يُكتب في هذا الكتاب الحفيظ: ابتسامة، صدقة، كلمة حق، سجدة ...واجعله خالصًا، لتفرح به يوم ترى الكتاب.
· في أمانتك الوظيفية: تعامل مع كل معاملة، وكل عقد، وكل قول، على أنه سيُكتب .فإن كان خيرًا، كتب في كتاب نور، وإن كان شرًا، كتب في كتاب ظلمة .استشعر "الكتاب الحفيظ" كمدير دائم معك، لا يغفل ولا ينام، وسيجد عملك مضبوطًا متقنًا.

٣/ سؤال التأثير:} بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ ...{هل تؤثر في نفسك غشاوة التكذيب الخفية؟

· في علاقتك مع النقد: عندما ينتقدك أحد بصدق ويخبرك بعيب فيك، هل تقبله أم تكذب به وتجادل ؟ إن تكذيب الحق لا يكون فقط في الإيمانيات، بل في كل حق يصل إليك .تعلم أن تقول: "لعل هذا هو الحق الذي ينقصني"، لتنجو من دائرة "المرج".
· تطبيق مع الذات: اجلس مع نفسك واسألها: ما هو الحق الذي أوقن بصحته، وأخاف من تطبيقه؟ ربما حق في بر الوالدين، أو في اعتزال شبهة، أو في إصلاح علاقة .إن تسويفك هو شكل من أشكال التكذيب .بادر إلى التصديق العملي اليوم، قبل أن تقع في أمر مريج.

٤/ سؤال اليقين:} فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ...{هل تشعر باضطراب في حياتك؟ ابحث عن حق كذبت به!

· مؤشر عملي: كلما شعرت بتشتت وعدم تركيز، وقلق دائم بلا سبب واضح، فتش في حياتك .لعل هناك عبادة فرطت فيها، أو معصية أصررت عليها، أو حق عرفته ولم تعمل به .فالمرج ثمرة التكذيب، والطمأنينة ثمرة التصديق.
· في اتخاذ القرارات: إذا تحيرت بين خيارين، فابحث عن "الحق" فيهما .ما هو الخيار الأقرب لمرضاة الله؟ اعمل به، وستجد أن الأمور اتضحت، وذهب المريج، بإذن الله.

الأمر الثاني: أهم القضايا التي تعالجها الآيتان

· قضية المعرفة والعلم: من أين نستمد معلوماتنا عن مصيرنا بعد الموت؟ من العلم الإلهي وحده.
· قضية العدالة الإلهية: كيف نضمن ألا يضيع حق ولا تنسى ذرة؟ من خلال الكتاب الحفيظ.

· قضية الحرية والمسؤولية: لماذا يختار الإنسان التكذيب مع توفر الأدلة؟ لأنه كائن مخير ومسؤول.
· قضية الصحة النفسية والفكرية: ما هو السبب الحقيقي للقلق والاضطراب العقائدي؟ إنه التكذيب بـ الحق.

الأمر الثالث: خطوات عملية لتنزيل عظمة الآيتين على أرض الواقع

١/ تحويل القلق إلى طمأنينة عبر استحضار{ قَدْ عَلِمْنَا}:
عندما تقلق على مستقبل أبنائك، أو تخاف من تآكل مدخراتك، أو تخشى الضياع، ردد بقلبك: {قَدْ عَلِمْنَا}. استشعر أن الله يعلم حالك، ويعلم احتياجك، ويعلم مصيرك، وهذا كافٍ ليملأك سكينة.

٢/ بناء أرشيف شخصي من الصالحات للكتاب الحفيظ:
اجعل لك دفترًا أو مفكرة، ليس لتكتب ماذا أنفقت، بل ماذا قدمت. "اليوم: كففت لساني عن غيبة، فكتبت لي حسنة". "اليوم: أطعمت جائعًا، فسُجلت لي صدقة". هذا يجعلك تعيش مع "الكتاب الحفيظ" بوعي، ويسابقك في الخيرات.

٣/ مواجهة أعراض "الأمر المريج" بفحص "التكذيب":
إذا شعرت بتعكر مزاج دائم، أو تشتت في الصلاة، أو سرعة غضب، توقف واسأل: "ما الحق الذي أكذب به الآن؟". قد يكون الحق أنك تحتاج للراحة فلا ترتاح، أو أنك مذنب فتحتاج للتوبة فلا تتوب. اعترف بالحق تخرج من المريج.

٤/ المراجعة الأسبوعية للحقوق:
في نهاية كل أسبوع، راجع مع نفسك: "هل جاءني حق هذا الأسبوع من نصيحة أو آية أو موقف وكذبته أو تجاهلته؟". هذه المراجعة تحميك من تراكم "التكذيب" الذي يؤدي إلى "المرج" الكبير.

الأمر الرابع: الدروس والعبر العملية المستخلصة من الآيتين

١/ أنك لن تضيع عند الله:
علمه بك، وحفظه لك، هو تأمين إلهي ضد الفناء والنسيان. هذه العقيدة تجعلك إنسانًا قويًا لا تخيفه الفاقة، ولا يرهقه الخوف من المجهول.

٢/ أمانة الكلمة والفعل:
كل ما تفعله "موثق". هذا ليس للتخويف، بل للتحفيز. فاجعل توثيقك في هذا الكتاب حجة لك لا عليك، بامتلاك أخلاق المتابَعة الدائمة.

٣/ الاضطراب الفكري سببه أخلاقي:
مشكلة المنكرين ليست عقلية بحتة، بل أخلاقية إرادية. وهكذا كثير من مشاكلنا الفكرية اليوم سببها رفضنا للحق لا غموضه. العلاج يبدأ بتزكية النفس لا بمراكمة المعلومات فقط.

٤/ اليقين يبدأ من الإيمان بعلم الله:
كلما تعمقت في معرفة أسماء الله (العليم، الحفيظ) كلما زاد يقينك، وقل ترددك، وثبت في وجه الشبهات.

الأمر الخامس: كيف يكون تعميق أثر هذه الآية في حياتك اليومية؟

١/ في الصلاة:
عندما تقرأ الفاتحة: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، استحضر أن تفاصيل هذا اليوم مسجلة في {كِتَابٍ حَفِيظٍ}، فتعيش الخشوع.

٢/ في التعامل مع الخسائر:
إذا انكسر لك شيء، أو مات لك عزيز، قل: {قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ}، واطمئن إلى أن ما فُقد معلوم محفوظ، والجزاء عليه عند الله.

٣/ في نشر ثقافة "الكتاب الحفيظ":
علم أبناءك وطلابك أن لكل إنسان "سجلا ً رقمياً إلهياً" لا يمحى، فينشأ على المراقبة الذاتية.

٤/ في مواجهة الفكر الإلحادي:
استخدم منطق الآية: "إذا كان الله قد أحاط علمًا بذرات الموتى، أفلا يقدر على بعثهم؟". إنه دليل بسيط وعميق تزرع به اليقين في القلوب.

الأمر السادس: أهم الرسائل والتوجيهات من الآيتين في حياتنا العملية

· لا تخف من الفناء، فالذي خلقك يحفظك.
· دقق في أعمالك، فكلها مسجلة في سجل لا يمحى.
· لا تكابر في قبول الحق، فالمكابرة بداية الاضطراب.
· الطمأنينة الحقيقية هي ابنة اليقين، واليقين ابن التسليم للوحي.
· إذا أردت أن تعيش في وضوح فكري، فكن صادقًا مع الحق.

ثالثاً: أهم المفاهيم من الآيتين

لنستخرج من هاتين الآيتين مفاهيم للبناء والتزكية.

الأمر الأول: أبعاد الآيتين وآفاقها

· البعد الإيماني الغيبي: فتح باب واسع للإيمان بعلم الله المطلق وكتابه الحفيظ، مما يعمق الصلة ب الله.
· البعد العلمي التجريبي: الإشارة إلى تحلل الجسد في الأرض) ما تنقص الأرض (تفتح آفاق التأمل في العلوم الطبيعية) الكيمياء، الأحياء، الجيولوجيا (بمنظور إيماني.
· البعد النفسي العلاجي: تقديم حل جذري للقلق الوجودي والاضطراب النفسي من خلال عقيدة الحفظ الإلهي.

الأمر الثاني: مفاهيم البناء والتنمية من الآيتين

· مفهوم بناء الإنسان المتوازن: الإنسان الذي يؤمن ب-)الكتاب الحفيظ (يعيش متوازنًا، لا يطغى عليه الخوف ولا يفسده الأمن، بل يعمل ويراقب ويحسن.
· مفهوم التنمية المستدامة أخلاقيًا: إذا استشعر كل فرد في المجتمع أن أعماله في) كتاب حفيظ(، قل الفساد المالي والإداري، وتحول المجتمع إلى بيئة إنتاجية نظيفة.
· مفهوم بناء العقل الناقد الحق: بتدريب العقل على عدم قبول) الأمر المريج(، بل البحث عن الحق الواضح المستند إلى) الكتاب الحفيظ (الإلهي.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآيتين في حياتنا العملية

· مفهوم الجودة والمراقبة الذاتية:
· التفصيل: أن تعمل أي عمل وكأن كاميرا) الكتاب الحفيظ (تصورك من كل زاوية .هذا المفهوم يرفع جودة إنتاجك، لأنك لا تعمل لناظر بشر، بل لناظر خبير.
· كيفية التطبيق: قبل البدء في مهمة، قل في نفسك: "اللهم اكتب هذا العمل في كتاب حفيظ عملًا صالحًا متقبلا ً" .أثناء العمل، تذكر ذلك إذا شعرت بالكسل أو إرادة الغش.
· مفهوم إدارة المخاطر بالتوكل:
· التفصيل: عند المخاطرة في مشروع تجاري، استحضر} قدْ عَلِمْنَا .{أنت تخطط، والله يعلم ما سيؤول إليه .هذا لا يعطلك، بل يحررك من القلق الزائد.
· كيفية التطبيق: بعد الدراسة والاستشارة، أقدم وتوكل، وقل: "قد علم ربي ما سيكون، وأنا مفوض أمري إليه".

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيتين (بشكل مفصل)

· المفاهيم النفسية:

1. مفهوم الطمأنينة الوجودى :
· التفصيل: أعمق قلق بشري هو الخوف من الفناء والعدم .الآية تعالج هذا القلق من جذوره، بإثبات أن الإنسان ليس جسدًا يأكله التراب فحسب، بل هو كيان معلوم لله محفوظ عنده .هذا يعطي الإنسان شعورًا بالأمان الوجودي المطلق، فلا يشعر أنه "لا قيمة له" أو أنه "سيفنى بلا أثر" .في عصر القلق والاكتئاب، هذا المفهوم هو الدواء.
· التطبيق العملي: كلما راودك إحساس بالتفاهة أو العبثية، ردد:} وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ .{أنت موجود في سجل الله الدائم، وهذا يكفي لتعرف قيمتك.
2. مفهوم تفعيل الرقيب الداخلي :
· التفصيل: كثير من العلاجات النفسية الحديثة تقوم على تقوية "الرقيب الداخلي" لمراقبة الأ فكار التلقائية السلبية .والقرآن يقدم أرقى نموذج لهذا الرقيب، وهو "الكتاب الحفيظ" .فالذي يستشعر أنه مراقب ومسجّل، يرتقي بدرجة وعيه بذاته وأفعاله.
· التطبيق العملي: في نهاية اليوم، بدل أن تقسو على نفسك أو تبرر لها، تخيل أن "الكتاب" قد سجل كل شيء .هذا يجعلك تحاسب نفسك بموضوعية وشفافية وبدون تهرب.
· المفاهيم الفكرية:
1. مفهوم نقد النسبية والاضطراب :
· التفصيل:} فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ {هو وصف دقيق لعصر ما بعد الحداثة الذي نعيشه، حيث لا توجد حقيقة مطلقة، وكل شيء نسبي .هذه النسبية تؤدي إلى اضطراب فكري رهيب، فلا يستطيع الإ نسان أن يفرق بين الخير والشر، أو الحق والباطل، فيعيش في "مرج" أخلاقي وفكري .الآية تشخص أن هذا المرج سببه هو التكذيب بـ"الحق" المطلق.
· التطبيق العملي: كن على حذر من خطاب "كل الآراء صحيحة" و"لا وجود لحقيقة" .هذا الخطاب هو "الأمر المريج" بعينه .تمسك بوجود حق مطلق هو كلام الله، واجعله الميزان الذي تزن به كل فكرة.
2. مفهوم العلم كطريق لليقين:
· التفصيل:} قَدْ عَلِمْنَا {تقدم نموذجًا للعلم اليقيني .العلم البشري نسبي ومحدود، أما العلم الإلهي فهو مطلق .الفكر الإسلامي يميز بين العلم القطعي) الوحي (والعلم الظني) النظريات البشرية .(هذا المفهوم يحمي من الوقوع في فخ "العلموية" التي تؤلِّه العلم التجريبي، وتجعله هو الحكم الوحيد على كل شيء.
· التطبيق العملي: ثق بالوحي ثقة مطلقة، وخذ من العلوم التجريبية ما ينفعك، دون أن تجعلها مصدر يقينك الوحيد .فما ثبت في الكتاب الحفيظ هو الحق اليقيني، وما سواه خاضع للمراجعة.
· المفاهيم التربوية:
1. مفهوم التربية بالحفظ والتسجيل :
· التفصيل: من أقوى أساليب التربية أن يشعر المتربي أن جهده مرصود ومسجل .فكرة} كِتَابٌ حَفِيظٌ {تمنح الإنسان إحساسًا بأنه "مشروع قيد الإنشاء" بإشراف مباشر من الله .هذا يغرس في النفس الاجتهاد والإتقان، ويمنع التسيب والإهمال.
· التطبيق العملي: ربِّ أبناءك على فكرة "كتاب الحسنات والسيئات" .شجعهم على تدوين إنجازاتهم الخيرة بأنفسهم في دفتر "كتابي الحفيظ الخاص"، ليتعودوا مراقبة أعمالهم وتحسينها.
2. مفهوم التدرج في معالجة الأخطاء:
· التفصيل:} مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ {تعني أن الخطأ أو النقص يحدث تدريجيًا .وكذلك انحراف الإنسان لا يحدث فجأة، بل بنقص في الإيمان والأخلاق شيئًا فشيئًا .هذا المفهوم التربوي يعلمنا أن ننتبه لصغائر الذنوب، فكما أن الأرض تنقص الجسد تدريجيًا حتى يفنى، فإن الغفلة تنقص الإيمان تدريجيًا حتى يموت القلب.
· التطبيق العملي: لا تستصغر معصية .راقب "نقص" إيمانك اليومي .هل أنت اليوم أقل صلاة أو أقل ذكرًا من أمس؟ بادر إلى تدارك النقص قبل أن يصير هو الحالة الثابتة.

الأمر الخامس: كيف نحول مفاهيم الآيتين إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية؟

1.على مستوى بناء الإنسان:
· تحويل الفكرة إلى قوة: استخدم فكرة) الكتاب الحفيظ (لتحويل كل عمل دنيوي إلى عبادة .فالف لاح الذي يحرث الأرض، والموظف الذي يدير الأوراق، يستحضران أن كل حبة تراب وكل حرف يخطانه هو في كتاب حفيظ .هذا الاستحضار يحول الروتين إلى عبادة، فينشأ إنسان عامل عابد، قوي منتج، ذو رسالة.
2.على مستوى بناء المجتمع:
· مجتمع الشفافية والعدالة: إذا ساد مفهوم) الكتاب الحفيظ (في المجتمع، أصبحت الشفافية هي الثقافة السائدة، لأن الكل يعلم أن هناك سجلا ً أبدياً لا يمكن التلاعب به .هذا يقلل الفساد، ويشيع ا

لأمانة، ويقيم العدالة الاجتماعية؛ لأن الظالم يعلم أن ظلمه مسجل، والمظلوم يطمئن أن حقه محفوظ.
.3على مستوى بناء الحضارة:
· حضارة العلم المحفوظ: الحضارة المادية تخزن معلوماتها في "سحابات" و"خوادم" تخشى عليها من الفناء .أما حضارتنا فتقوم على يقين أن كل علم نافع وكل اكتشاف هو استجلاء لشيء من "الكتاب الحفيظ" الإلهي .هذا يعطي العلماء المسلمين ثقة مطلقة في أن الكون منظم وحق، فيواصلون البحث بلا كلل، وتكون حضارتهم حضارة العلم المفضي إلى الإيمان، لا حضارة العلم المفضي إلى الإ لحاد} .قدْ عَلِمْنَا {هو شعار العالم المسلم الموقن بأن وراء كل اكتشاف علمًا إلهيًا محيطًا.

الخاتمة: من رحم الأرض إلى رحمة الكتاب

والآن، وقد طفنا في رياض هاتين الآيتين، وتنفسنا عبير اليقين، وغصنا في أعماق النفس والفكر... دعنا نقف وقفة صدق مع الذات.

}قدْ عَلِمْنَا مَا تنقصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ ...{ألا تشعر معي الآن أن موتك ليس فناءً، بل هو انتقال من أرض تنقصك، إلى كتاب يحفظك؟ إنها أطروحة إلهية بديلة عن العبثية والعدمية .أنت لست جسدًا للتراب، بل أنت "حياة" في كتاب حفيظ، تنتظر البعث.

}بَلْ كذّبُوا بِالحَقّ لمّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ...{هذه الآية مرآتك .انظر فيها، هل ترى في حياتك أمرًا مريجًا؟ إن وجدته، فابحث عن الحق الذي رفضته، وعد إليه .فالحق هو المرساة الوحيدة في بحر الحياة المتلاطم.

اخرج من هذا التدبر وأنت تحمل دستورًا جديدًا:

· دستور الطمأنينة: أن الله يعلمك ويحفظك، فلا تقلق.
· دستور العمل: أن كل شيء يسجل، فأتقن وأخلص.
· دستور الفكر: أن الحق واضح، فاتبعه ولا تداهن، لئلا تقع في المرج.

اقرأ هاتين الآيتين الآن وكأنهما رسالة خاصة من الله إلى قلبك أنت، لتقول لك: "لقد أحصيتك في كتابي، فلا تضيع نفسك في مرج الدنيا". {قدْ عَلِمْنَا مَا تنقصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (4) بَلْ كَذّبُوا بِالحَقّ لمّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ (5)}.
القسم الثاني
المبحث الأول

لقد تركنا الآية الخامسة وقد غرقت قلوبنا في وصف دقيق لحال المكذبين: {فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ}. وكنا نسأل: وما هو الدواء؟ وكيف الخلاص من هذا المرج؟ وكيف السبيل إلى يقين يبدد هذا الاضطراب؟ وهنا يأتي الجواب القرآني، لا في صورة محاضرة وعظية، بل في صورة دعوة مفتوحة، ورحلة كونية، تأخذ بأيدينا إلى خارج ذواتنا لنرى الحق منقوشًا في كل شيء حولنا.

تمهيد: لماذا هاتان الآيتان الآن؟ وما صلتهما بما قبلهما؟

بعد أن شخص الله سبحانه وتعالى الداء في الآية السابقة - وهو التكذيب الإرادي بالحق مما أوقعهم في الأمر المريج - يأتي الآن ليقدم الدواء والبرهان. لقد كذبوا بالحق حين جاءهم، وذكروا شبهتهم الواهية حول استحالة البعث. والآن يلتفت الخطاب الإلهي إليهم وإلينا مباشرة، آمرًا إيانا بالنظر في الكتاب المفتوح أمامنا: كتاب الكون. إنها نقلة عظيمة من الجدل النظري إلى المشاهدة الحسية. وكأن ا لآيات تقول: "إن كنتم قد كذبتم بالخبر (القرآن)، فانظروا بعيونكم في الواقع الذي يحيط بكم. إنه يشهد بصدق الخبر".

أما أهداف الآيات ومقاصدها الكبرى فهي:

.1تقرير عقيدة البعث بالدليل الحسي المشاهد: نقل الإيمان بالبعث من مجرد خبر غيبي إلى حقيقة مشاهدة بالعين في آفاق الكون.
.2تحرير العقل من أسر المادية: بدعوته إلى التأمل في نظام الكون وجماله، ليستنتج أن لهذا الكون خالقًا قادرًا على كل شيء.
.3فتح باب الأمل والتوبة: فبعد أن عرضت الآيات السابقة موقف الكافرين المتعنت، تأتي هذه الآيات

لتقول: إن باب النظر والتدبر مفتوح، ويمكنكم تصحيح مساركم.
.4زرع السكينة في قلب المؤمن: بأن ما يؤمن به قائم على أدلة راسخة في الكون، فيزداد يقينه وثباته.
.5تعليم المؤمن منهجًا حياتيًا في التفكر والاستدلال: فتصبح نظرته للكون مختلفة تمامًا، نظرة عبادة واستدلال وعمارة.

أولا ً: تحليل الآيات

هلمّ بنا نغوص في هذه الآيات، ونستخرج جواهرها الدفينة.

المحور الأول: {أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ} – الدعوة إلى النظر في بناء السماء

1/ ما دلالة البدء ب-) الهمزة (و) الفاء (في} أَفَلَمْ{؟
تخيّل معي وقع هذا الاستفهام! الهمزة للاستفهام التوبيخي والتقريري، والفاء للعطف والربط بما سبق. إنها تقول: "بعد كل ما سمعتموه من البراهين، وبعد أن وضح الحق وبان، وبعد أن تبين لكم أن مشكلتكم هي التكذيب لا نقص الدليل... أَبَعْدَ كلّ هذا لَمْ تنظروا إلى أقرب دليل يحيط بكم؟!". إنه استفهام يحمل العتاب، والتحفيز، والتعجب من شدة الغفلة. إنه يوقظ العقل من سباته، ويقول لك: "ألم يحن الوقت لتنظر؟".

2/ لماذا خص السماء بالذكر، ولماذا قال} فَوْقَهُمْ{؟
السماء هي أول ما يواجه الناظر. إنها السقف المرفوع الذي لا يحتاج إلى معدات لرؤيته. ووصفها بأنها {فَوْقَهُمْ} يزيد في التقريع، فهي فوقهم مباشرة، ظاهرة جلية، لا تحتاج إلى بحث أو تنقيب. إنها يومض لهم في كل لحظة، ومع ذلك هم غافلون. فكأن الآية تقول: "أنتم تنظرون إلى السماء كل يوم، ولكن هل رأيتموها حقًا؟ هل تدبرتم في بنائها؟". إنها دعوة لتحويل "النظر" السلبي إلى "رؤية" إيجابية واعية.

3/} كَيْفَ بَنَيْنَاهَا{، ما سر التعبير ب-) بنيان (وما لطيفة) كيف(؟
التعبير ب- "بنيناها" تصوير بديع؛ فالسماء ليست كتلة عشوائية، بل هي بناء محكم، مرفوع بغير عمد ترونها. واستخدام "كيف" هنا للاستفهام عن الحال، وهو سؤال يدعوك للتأمل في هيئة هذا البناء وروعته وإتقانه، لا في سببه فقط. إنه يجعلك تتخيل نفسك مهندسًا كونيًا ينظر إلى تصميم بديع، فيسأل: "كيف تم بناء هذا؟ بأي قدرة؟ وبأي حكمة؟". هذا السؤال هو مدخل التعظيم والإجلال.

4/} وَزَيَّنَّاهَا{، ما المقصود بالزينة؟ ولماذا اقترنت بالبناء؟
الزينة هي النجوم والكواكب والمجرات التي تلمع في جنح الليل، وهي الشمس والقمر في وضح النهار. إن الجمع بين "البناء" و"التزيين" يكشف عن طبيعة الخلق الإلهي: فهو يجمع بين "الوظيفة" و "الجمال". إن السماء ليست مجرد سقف وظيفته الحماية فقط، بل هي لوحة فنية تخطف الأبصار وتم لأ القلوب سحرًا. وكأن الآية تخاطب فيك حاستي العقل (بالبناء) والروح (بالزينة)، فتنتقل من الإيمان الجاف إلى الإيمان المليء بالجمال والحب. إنها تهمس لك: "انظر إلى السماء ليلا ً، أليس هذا الجمال دليلا ً على الجميل سبحانه؟".

5/} وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ{، ما معنى الفروج، وما علاقتها بإثبات البعث؟
الفروج هي الشقوق والصدوع والفتوق. نفي الفروج عن السماء يعني أنها سليمة متلاحمة الأجزاء، ليس فيها خلل ولا عيب ولا نقص. هذه الحقيقة العلمية التي أشار إليها القرآن قبل أن يكتشفها العلم الحديث، تؤكد الإحكام المطلق للصنعة الإلهية. وما علاقة هذا بالبعث؟ إن الذي بنى هذه السماء بهذا ا لإحكام الخالي من الخلل، أيعجز عن إعادة تركيب عظامكم وأجسادكم؟ إن نفي الخلل عن السماء هو برهان على كمال قدرة الله، وكمال قدرته دليل على إمكانية البعث. فكلما تأملت في كمال الصنعة، ازددت يقينًا بقدرة الصانع.

6/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: توسعة الأفق .الإنسان حين يغرق في مشاكله وهمومه اليومية، تضيق نفسه، وتصغر الدنيا في عينيه .النظر إلى السماء هو علاج نفسي رباني، يخرجك من ضيق ذاتك إلى سعة الكون، ومن قيود أرضك إلى آفاق السماء .هذا الخروج يريح النفس، ويجلي الهم.

· رسالة تربوية: تعلم إعمال العقل والنظر .كم مرة نظرت إلى السماء؟ والآية تأمرك أن تنظر "كيف بنيت" .هذا يربيك على أن لا تمر على الأشياء مرورًا عابرًا، بل تقف متسائلا ً متأملا ً، لترى حكمة الله في كل شيء.
· رسالة عقلية: الاستدلال بالإتقان على المتقن .إن غياب الفروج) العيوب (في نظام كوني بهذه الضخامة، يستحيل أن يكون عشوائيًا أو صدفة .هذا الإتقان المطلق هو الدليل العقلي الأقوى على وجود صانع متقن حكيم، وهو الله سبحانه.

المحور الثاني: {وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} – الدعوة إلى النظر في امتداد الأرض وبهجتها

1/ كيف انتقلت الآية من السماء إلى الأرض؟
بعد أن رفع أبصارنا إلى فوق، ها هو يخفضها إلى أسفل. إنه مسح كوني شامل، ينتقل بك من النظر في البناء العلوي إلى البناء السفلي. هذا الانتقال يربط بين أجزاء الكون في ذهنك، لتدرك أن الخالق واحد، وأن النظام واحد، وأن الحكمة واحدة. إنه يربيك على "النظر الشمولي" الذي يرى وحدة الخلق في تعدد مظاهره.

2/} وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا{، ما سر التعبير ب- مددناها(؟ وما أثره النفسي؟
المد هو البسط والاتساع. إنها ليست مجرد كرة، بل هي بساط ممدود لعيشكم وسعيكم. انظر كيف جعل الله الأرض ممهدة لتستقروا عليها وتمشوا في مناكبها. التعبير ب- "مددناها" يثير في النفس شعورًا بالأمان والاستقرار، ويذكر بنعمة الله في تمهيد الأرض لتكون صالحة للحياة.

3/} وَأَلقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ{، ما دلالة الإلقاء وما هي الرواسي؟
الرواسي هي الجبال الشامخة. والتعبير ب- "ألقينا" يوحي بالقوة والثقل. فالجبال ليست مجرد نتوءات، بل هي أوتاد ثقيلة ألقيت في باطن الأرض لتثبتها وتمنعها من الميدان والاضطراب. انظر إلى الدقة في الوصف! فالذي ألقى هذه الرواسي لتمنع اضطراب الأرض، هو الذي يمنع اضطراب قلبك بالإيمان. فالرواسي في الأرض كاليقين في القلب، كلاهما يثبت ويمنع الاضطراب.

4/} وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلّ زَوْجٍ بَهِيجٍ{، ما معنى) زوج (و)بهيج(؟

·} زَوْجٍ{: أي صنف ونوع، أو ذكر وأنثى .إنه يشير إلى قانون الزوجية الذي يسري في كل الكائنات الحية .وهذا التنوع العجيب في الأصناف والألوان والأشكال من أصل واحد) التراب والماء (هو آية عظمى.
·} بَهِيجٍ{: من البهجة، وهي الحسن والجمال الذي يسر الناظر ويفرح القلب .هنا يكتمل المثلث الرباني:)المد (للوظيفة، و)الإلقاء (للثبات، و)الإنبات (للجمال والبهجة .إن الله لم يجعل الأرض مصدر رزق فقط ، بل جعلها مصدر فرح وجمال .وكأنه يدعوك أن تتمعن في الزهرة والنبتة، وأن ترى فيها يد الخالق المبدع.

5/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: التفكر في الطبيعة علاج للاكتئاب ."البهيج" هو كل ما يدخل السرور على نفسك .انظر إلى تنوع النباتات وجمالها، واستشعر أن الله أنبتها لك لتفرح بها .هذا التأمل يشرح الصدر، ويبدد الكآبة، ويربطك بالحياة من حولك.
· رسالة تربوية: تعلم الشمولية في التفكير .الربط بين السماء والأرض يعلمك أن تنظر إلى الأمور من كل جوانبها، وألا تأخذك زاوية واحدة فترى الصورة مشوهة.
· رسالة عقلية: دورة الحياة والموت دليل البعث .إن إخراج النبات "البهيج" من الأرض الميتة بالماء، هو أقوى دليل حسي على إخراج الموتى من الأرض .فالذي أحيا الأرض بعد موتها، قادر على إحياء العظام وهي رميم} .وَأَنبَتْنَا فِيهَا {هو الرد العملي على} أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا.{

المحور الثالث: {تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ} – ثمرة النظر وهدفه

1/ لماذا نصبت كلمة} تَبْصِرَةً{؟ وما معناها؟
}تَبْصِرَةً {مفعول لأجله، أي أن هذا الخلق البديع كله، والسماء المبنية، والأرض الممدودة، والجبال الملقاة، والنبات البهيج، قد فعلناه لأجل أن يكون "تبصرة" أي زيادة في البصيرة، وفتحًا لعيون القلوب .

"التبصرة" أعمق من مجرد العلم؛ إنها العلم النافذ الذي يريك حقائق الأمور، ويجعلك ترى ما وراء المادة من معنى وحكمة .إنها تحويل للنظر الحسي إلى بصيرة قلبية.

2/ ما الفرق بين) تبصرة (و)ذكرى(؟

· التبصرة: هي هداية وإرشاد للمستقبل، يبصر بها الإنسان طريقه لئلا يضل .هي نور يلقى في القلب ليرى به الحق.
· الذكرى: هي تذكير بما كان مركوزًا في الفطرة من الإقرار بالخالق، وهو ما أخذه الله على بني آدم وهم في عالم الذر{ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى .{فالذكرى إيقاظ للفطرة النائمة.
فالكون آيات "تبصر" من غفل، و"تذكر" من نسي عهد فطرته .إنهما سلاحان: أحدهما للجهل، والآخر للغفلة.

3/ لماذا خص الله بهذه التبصرة والذكرى} كُلّ عَبْدٍ مُنِيبٍ{؟ وما صفات هذا العبد؟
الإنابة هي الرجوع إلى الله والإقبال عليه. لم يقل الله: "لكل عبد" فقط، بل قيده بـ "منيب". لماذا؟ لأ ن آيات الكون واضحة للجميع، ولكن المنتفع بها هو صاحب القلب المنيب، المقبل على الله، التائب الراجع إليه. أما المعرض الغافل فقد ينظر إليها كظاهرة مادية فقط. فالتقييد بـ "الإنابة" يبين لك أن الانتفاع بآيات الله في الآفاق والأنفس مشروط بإقبال القلب وإخباته. فكن أنت هذا العبد المنيب، تنظر إلى السماء والأرض بقلب راجع إلى خالقهما.

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: قيمتك باستعدادك للإنابة .ليست العبرة بكثرة ما تعرف، بل بمدى رجوعك إلى الله بعد المعرفة .هذه الآية تحررك من عبودية المعرفة المجردة، وتجعلك تطلب العلم الذي يورثك إنابة وخشية.
· رسالة تربوية: التحقق بالعبودية .وصف الله المنتفعين بأنهم "عبد منيب" .فهذا هو الوصف الذي تسعى إليه .درب نفسك على أن يكون كل تأمل في الكون مرده إلى سجدة شكر، أو توبة نصوح، أو إقبال على الله .هذا هو تحويل العلم إلى عبادة.
· رسالة عقلية: غائية الخلق .لقد خلق الله هذا الكون لغاية عظيمة: ليعرف به ويُذكر به .ليس الكون عبثًا، بل هو كتاب مقروء لمن أراد أن يقرأ، ومرآة يرى فيها المؤمن جمال خالقه.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات

والآن، لنجعل هذه الآيات تنبض في واقعنا العملي والنفسي.

الأمر الأول: أسئلة تدبرية تطبيقية لتوظيف الآيات في واقعك العملي

١/ سؤال الاستمداد:} أَفَلَمْ يَنظُرُوا ...{هل تستمد يقينك من النظر في كتاب الله المنظور) الكون (كما تستمد من كتابه المسطور) القرآن(؟

· تطبيق في الروحانيات اليومية: خصص في يومك وقتًا لا تتلو فيه قرآنًا فقط، بل تقرأ فيه "آية كونية" .انظر إلى السماء وتأمل نجمًا، أو زهرة في حديقة، أو جبلا ً شامخًا .واسأل نفسك: "ماذا أضاف هذا المشهد إلى يقيني؟" .إن هذا التطبيق يحول حياتك كلها إلى عبادة.
· تطبيق في مواجهة الفتن والشبهات: إذا هاجمتك شبهة فكرية أو موجة شك، اخرج إلى الطبيعة . انظر إلى السماء، كيف بنيت بغير عمد؟ كيف لا تجد فيها فروجًا من اختلال؟ هذا البناء المحكم يبدد شكوكك، ويعيدك إلى يقينك بأن لهذا الكون ربًا قادرًا حكيمًا.

٢/ سؤال القيمة:} كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا ...{كيف تضيف قيمة "الإتقان والجمال" إلى حياتك وأعمالك؟

· في مهنتك: أنت خليفة في الأرض، مأمور بعمارتها .هل تتعامل مع عملك كما تعامل الله مع خلقه، فتجمع فيه بين "البناء") الإتقان الوظيفي (و"التزيين") الإبداع والجمال(؟ لا تجعل عملك مجرد أداء جاف، بل أضف إليه لمسة جمالية تبهج من يراه .هذا هو الإحسان.
· في بيتك وعلاقاتك: كما أن الله زين السماء، زين حياتك .اجعل في بيتك نظامًا وجمالا ً، وفي علا قاتك مع زوجتك وأولادك بهجة وسرورًا .فالزينة ليست ترفًا، بل هي أسلوب حياة رباني.

٣/ سؤال التأثير:} وَأَلقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ...{كيف تكون أنت "راسية" في مجتمع مضطرب؟

· في سلوكك: الجبال تثبت الأرض .وأنت تثبت مجتمعك بأخلاقك وثباتك على مبادئك .في خضم الفتن الاجتماعية، وموجات الانحلال، كن أنت الجبل الراسي الذي لا تهزه العواصف .كن قدوة في الصدق والأمانة والثبات على الحق، لترسو بك سفينة المجتمع.
· في نشر الطمأنينة: الجبل يبعث على السكينة .كن أنت مصدر طمأنينة في أسرتك، وفي محيط عملك .بكلماتك الحكيمة، وهدوئك عند الأزمات، أثبت من حولك وامنع "اضطرابهم".

٤/ سؤال اليقين:} تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ...{هل أنت منيب؟

· مراجعة الذات: اسأل نفسك كل ليلة: "كم مرة أنابت إلى ربي اليوم؟" .هل تأملك في آيات الله يدفعك إلى التوبة والرجوع، أم أنه مجرد تأمل فلسفي بارد؟ اليقين الحقيقي ليس مجرد معرفة، بل هو حال يورثك إنابة وذكرى .قس إيمانك بمدى إنابتك.

الأمر الثاني: أهم القضايا التي تعالجها الآيات

· قضية العلاقة بين الإيمان والعلم: الآيات تقدم نموذجًا فريدًا لا تعارض فيه بين العلم التجريبي)النظر في الكون (والإيمان بالغيب) البعث(، بل الأول يوصل إلى الثاني.
· قضية الجمال في الإسلام: إثبات أن قيمة الجمال قيمة أصيلة في هذا الدين، فالكون جميل، والله جميل يحب الجمال.
· قضية منهجية الاستدلال: تعليم أصول الاستدلال على وجود الله وقدرته ووحدانيته من خلال آياته في الآفاق.
· قضية الغائية: إثبات أن للكون غاية وهدفًا، وهو أن يكون تبصرة وذكرى، لا عبثًا ولا لعبًا.

الأمر الثالث: خطوات عملية لتنزيل عظمة الآيات على أرض الواقع

١/ تحويل المشي اليومي إلى عبادة:
عندما تخرج إلى عملك أو دراستك، لا تمشِ غافلاً. انظر إلى السماء فوقك، وإلى الأرض تحتك، وإلى الشجر والنبات من حولك. ردد في قلبك هذه الآيات، وحاول أن ترى بأم عينيك "كيف بنيت السماء" و"كيف مدت الأرض". هذا يحول روتينك اليومي إلى تسبيح دائم.

٢/ بناء ألبوم كوني للعبرة:
اجمع صورًا لمناظر طبيعية، للسماء، للجبال، للأزهار البهيجة. لا تجمعها للزينة فقط، بل ضع عند كل صورة آية من كتاب الله، أو خاطرة إيمانية. هذا الألبوم يكون لك "تبصرة وذكرى" وقت الفتور، تتصفحه فتعود بك الإنابة إلى ربك.

٣/ تدريب "دقيقة تأمل"
في كل ساعة من يومك، توقف لمدة دقيقة. انظر من النافذة، تنفس بعمق، وتأمل أي شيء خلقه الله. سماء، شجرة، ورقة... وقل: "سبحان الله، هذا من إتقانه وجماله". هذا التدريب البسيط يقلل التوتر، ويزيد الإيمان.

٤/ تطبيق قاعدة "الإتقان والجمال" في العمل:
قبل أن تسلم أي مهمة في عملك، اسأل نفسك سؤالين: "هل أنجزتها بإتقان (البناء)؟ هل أضفت عليها لمسة تجميلية (التزيين)؟". اجعل شعارك: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه".

الأمر الرابع: الدروس والعبر العملية المستخلصة من الآيات

١/ أن الإيمان ليس مجرد شعور، بل هو نتيجة نظر وتفكر:
فالطريق إلى الله معبد بالتأمل في خلقه.

٢/ أن الجمال دليل على الجميل:
كلما رأيت جمالاً في الكون، تذكر أن الله جميل، وأن هذا الجمال من فيض جماله، فازدد له حبًا

وشوقًا.

٣/ أن الثبات في زمن الاضطرابات يكون بالرجوع إلى "الرواسي":
وهي كتاب الله وسنة نبيه، وهما رواسي القلوب كما الجبال رواسي الأرض.

٤/ أن الانتفاع بالكون مشروط بحالة قلبك:
فإن كنت منيبًا، رأيت في كل شيء آية، وإن كنت معرضًا، لم ترَ إلا مادة.

الأمر الخامس: كيف يكون تعميق أثر هذه الآية في حياتك اليومية؟

١/ في الصلاة:
عندما تقوم للصلاة، استشعر أنك واقف بين يدي من بنى السماء وزينها، ومد الأرض وألقى فيها رواسيها. هذا الاستشعار يملأ صلاتك خشوعًا وهيبة.

٢/ في التعامل مع البلاء:
إذا ضاقت بك الدنيا، ارفع رأسك إلى السماء. تذكر أنها {مَا لَهَا مِن فُرُوج}، أي لا يمكن أن تنشق وتقع عليك إلا بأمر ربها. هذا يمنحك طمأنينة بأن الكون منضبط بأمر الله، ولن يضيعك.

٣/ في نشر الدعوة:
عندما تدعو غيرك إلى الله، لا تبدأ بالتهديد والوعيد، بل ابدأ بالجمال. دله على جمال السماء، وبهجة النبات، ثم اسأله: "ألا يدل هذا على خالق عظيم؟". هذا هو الأسلوب القرآني في تقريب القلوب.

الأمر السادس: أهم الرسائل والتوجيهات من الآيات في حياتنا العملية

· اخرج من غرفتك المغلقة، وتأمل ملكوت الله، ففيه شفاء روحك.
· اجعل الإتقان والجمال شعارك في كل عمل، فهما صفة من صفات الخالق.
· لا تكن كالجبال قاسيًا، بل كن كالجبال ثابتًا راسخًا، واجعلك الله من "رواسي" الحق.
· الإنابة إلى الله هي شرط الانتفاع بكل العلوم والمعارف.
· إذا رأيت منظرًا بهيجًا، فاذكر أن الله أنبته لك لتبهج وتسعد وتشكر، لا لتغفل وتكفر.

ثالثا: أهم المفاهيم من الآيات

الأمر الأول: أبعاد الآيات وآفاقها

· البعد الكوني العلمي: فتح باب التأمل في علوم الفلك والجيولوجيا والنبات، وربطها بالعقيدة.
· البعد الجمالي الفني: تأسيس الذائقة الجمالية الإسلامية، التي ترى الجمال في الكون صنعة إلهية تستحق التأمل والشكر.
· البعد المنهجي: تقديم منهج متكامل في الاستدلال؛ يبدأ بالمشاهدة الحسية، ثم التحليل العقلي، ثم الوصول إلى النتيجة الإيمانية.

الأمر الثاني: مفاهيم البناء والتنمية من الآيات

· مفهوم عمارة الكون بالعلم والإيمان: التنمية الحقيقية هي التي تجمع بين بناء العمران) مد الأرض وإنباتها (وبناء الإنسان) التبصرة والذكرى.(
· مفهوم الاستدامة البيئية: النظر إلى الأرض والسماء كآيات، يمنع الإنسان من إفسادها وتلويثها، لأنه يراها مقدسة بمعنى أنها من صنع الله.
· مفهوم تنمية الذات بالتبصرة: أعظم تنمية هي تنمية العقل والقلب معًا، بالنظر والتفكر والإنابة.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية

· مفهوم الجودة الشاملة(:
· التفصيل: من خلال وصف السماء ب-) البناء المحكم (و) التزيين(، نستلهم مفهوم الجودة الشاملة التي تجمع بين الإتقان الوظيفي والجمال الشكلي.

· كيفية التطبيق: في أي مشروع تقدمه، راع جانبين: الأداء القوي) البناء(، وتجربة المستخدم الجميلة) الزينة.(
· مفهوم الصلابة والمرونة(:
· التفصيل: "الرواسي" تعلمنا كيف نكون ثابتين في وجه الزلازل الفكرية والاجتماعية.
· كيفية التطبيق: ابن في شخصيتك "جبالا ً" من المبادئ الراسخة، التي تجعلك لا تتزعزع مع كل موجة .كن مرنًا في الوسائل، صلبًا في الغايات والمبادئ.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيات
· المفاهيم النفسية:
1. مفهوم العلاج بالجمال(:
· التفصيل:} وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ {هو أصل قرآني لما يعرف اليوم بـ "العلاج بـ الطبيعة" أو "العلاج بالجمال" .فالتأمل في المناظر البهيجة يطلق هرمونات السعادة، ويخفف التوتر و القلق .الإسلام يقدم هذا ليس كترف، بل كعبادة وتزكية للنفس.
· التطبيق العملي: إذا شعرت بضيق أو اكتئاب، لا تلزم غرفتك، بل اخرج إلى حديقة، انظر إلى خضرة الشجر، والزهور الملونة، واستمع إلى خرير الماء .هذه "وصفة ربانية" لتحسين مزاجك.
2. مفهوم الأمان الوجودي من خلال الاستقرار الكوني:
· التفصيل:} وَمَا لَهَا مِن قَرُوجٍ {و}وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ {تمنحان الإنسان شعورًا بالأمان العميق .ف الكون ليس هشًا معرضًا للانهيار في أي لحظة، بل هو بناء محكم متين .هذا الشعور بالأمان الكوني ينعكس على النفس، فيمنحها سكينة وثباتًا في مواجهة مخاوف الحياة.
· التطبيق العملي: عند القلق من الزلازل والكوارث، تذكر أن الله جعل للأرض رواسي، وأن السماء لا فروج فيها .هذا الاستحضار الإيماني يخفف من الرهاب، ويجعلك تتعامل مع الكوارث بقلب مطمئن بقدر الله.
· المفاهيم الفكرية:
1. مفهوم المعقولية الكونية :
· التفصيل:} أَفَلَمْ يَنظُرُوا {تدل على أن الكون "مفهوم" و"قابل للدراسة" .إنه ليس فوضى، بل كتاب مفتوح يمكن للعقل البشري أن يقرأه ويفهمه .هذه العقيدة هي التي حفزت العلماء المسلمين الأ وائل على دراسة الطبيعة، لأنهم كانوا يوقنون أنهم بدراستهم للكون إنما يستنطقون آيات الله.
· التطبيق العملي: ليكن شعارك في طلب العلم: "أنا أقرأ كتاب الله المنظور لأزداد إيمانًا بكتابه المسطور" .هذا يحول دراسة أي علم) فيزياء، كيمياء، أحياء (إلى عبادة.
2. مفهوم نفي العبثية:
· التفصيل:} تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ {تقطع الطريق على الفكر العبثي الذي يرى الكون بلا معنى .فكل ذرة في الكون، وكل وردة، وكل جبل، لها غاية: أن تكون تبصرة وذكرى للإنسان .هذا المفهوم يعطي الحياة معنى وقيمة، ويحارب الفراغ الوجودي.
· التطبيق العملي: عندما تراودك أفكار أن الحياة لا معنى لها، انظر إلى أصغر نبتة .تأمل كيف خلقت، واسأل: لماذا خلقت؟ الجواب:} تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ .{أنت جزء من هذا الكون العابد لله، فاسجد معه.
· المفاهيم التربوية:
1. مفهوم التربية بالنظر والتأمل :
· التفصيل: الآية تقدم أسلوبًا تربويًا فريدًا، وهو "التعليم من خلال الخبرة الحسية المباشرة" . بدل أن تلقن ابنك العقائد تجريدًا، خذه إلى الطبيعة، انظر معه إلى السماء والأرض والجبال والنباتات، واستنبط معه الأدلة على عظمة الله وقدرته .هذا يرسخ الإيمان في القلب أكثر من ألف محاضرة.
· التطبيق العملي: خصص رحلة أسبوعية أو شهرية مع أسرتك إلى أماكن طبيعية .حول الرحلة إلى مسابقة: "من يرى آية كونية ويستدل بها على صفة من صفات الله؟" .اجعل التعلم ممتعًا حسيًا.
2. مفهوم التربية على الجمال والذوق الرفيع:
· التفصيل:} وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ {يربي في النفس الذوق الجمالي .المسلم ينبغي أن يكون صاحب ذوق رفيع، يحب الجمال في ملبسه ومسكنه ومسجده، لأن الله جميل .تربية الذوق الجمالي جزء من التربية الإيمانية.
· التطبيق العملي: علم أبناءك أن ينظروا إلى الزهرة نظرة تأمل لجمالها، لا مجرد قطفها وإتلافها . دربهم على اختيار الألوان المتناسقة في ملابسهم، وعلمهم أن هذا من باب الاقتداء بالكون الجميل.

الأمر الخامس: كيف نحول مفاهيم الآيات إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية؟

1.على مستوى بناء الإنسان:
· تحويل التأمل إلى طاقة روحية: أن تنتقل من مجرد "المعرفة" إلى "الإنابة" .فكل نظرة إلى السماء، وكل تأمل في نبتة، تصبح شحنة إيمانية تدفعك للعمل الصالح والرجوع إلى الله .هذا يبني

إنسانًا متوازنًا، علمه يزيده خشوعًا، وعمله يزيده إتقانًا.
.2على مستوى بناء المجتمع:
· مجتمع الجمال والإبداع: عندما يشيع مفهوم "الزينة" و"البهيج" في المجتمع، يتحول إلى مجتمع يبدع في كل شيء؛ في العمارة، في الصناعة، في التخطيط .لا نكتفي بسد الحاجات، بل نتعداها إلى التحسين الجمالي الذي يبهج النفوس ويرتقي بالذوق العام.
· مجتمع العلم واليقين: يتحول المجتمع إلى مختبر علمي إيماني كبير، حيث يدرس العلماء الكون ليزدادوا إيمانًا، ويدرس الطلاب العلوم وهي مربوطة بالعقيدة، فينشأ جيل يرى العلم طريقًا إلى الله لا منازعًا له.
.3على مستوى بناء الحضارة:
· حضارة التسخير الشكور: لا تقوم حضارتنا على "غزو الطبيعة" واستغلالها، بل على "التأمل فيها" واستثمارها وشكر المنعم بها} .أَفَلَمْ يَنظُرُوا {يصنع عالمًا متأملا ً، و}مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ {يصنع فنانًا مبدعًا، و}تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ {يصنع عابدًا شاكرًا .المزيج بين العالم والفنان والعابد هو سر تفرد الحضارة الإ سلامية وجوهر إنسانيتها.

رابعاً: المهارات الحياتية المعرفية والعملية التي نتعلمها من الآيات

هيا بنا نستخلص من هذه الآيات العظيمة مجموعة من المهارات التي تنفعنا في حياتنا اليومية، وتحولنا من مجرد قارئين إلى متمكنين من أدوات النجاح في الدنيا والآخرة.

أولا ً: المهارات المعرفية

.1مهارة الملاحظة الواعية(:
· التفصيل:} أَفَلَمْ يَنظُرُوا {هي أمر إلهي بتطوير مهارة الملاحظة .ليست مجرد نظرة عابرة، بل ملا حظة باحثة، تسأل عن الكيف والسبب .هذه المهارة أساس كل تفكير ناقد وإبداعي.
· التطبيق: درب عينك وعقلك .عندما تمر على بناء، لا تقل: "ما أجمله!" فقط، بل اسأل: "كيف بني؟ ما المواد المستخدمة؟ ما وجه الإتقان فيه؟" .هذا يجعلك إنسانًا واعيًا، تتعلم من كل شيء حولك.
.2مهارة الاستدلال بالشاهد على الغائب(:
· التفصيل: الآيات تعلمك أن تستخدم المشاهد) السماء، الأرض، النبات (للاستدلال على غيب أخبر به الله) البعث .(هذه المهارة المنطقية هي أساس التفكير السليم، وتحميك من الخرافات والأوهام.
· التطبيق: عندما ترى نبتة تخرج من الأرض بعد المطر، استدل فورًا على قدرة الله في إخراج الموتى .استخدم ما تراه في حياتك اليومية كبراهين على العقائد التي تؤمن بها، فتقوى بها في مواجهة الشكوك.
.3مهارة التفكير المنظومي(:
· التفصيل: القرآن يربط بين مكونات الكون: السماء بلا فروج، والأرض بالرواسي والإنبات .هذا يعلمك أن تنظر إلى الأمور كمنظومة متكاملة، لا كأجزاء منفصلة .الكون نظام، وحياتك نظام، والنجاح يكمن في رؤية هذا التناغم.
· التطبيق: عندما تفكر في مشكلة في عملك أو أسرتك، لا تنظر إليها بمعزل عن محيطها .اسأل: ما العوامل المؤثرة؟ كيف يرتبط هذا بذاك؟ هذه النظرة الشاملة تمكنك من إيجاد حلول جذرية لا مسكنات مؤقتة.
.4مهارة التساؤل البحثي(:
· التفصيل: الآية تثير فيك سؤالا ً:} كَيْفَ بَنَيْنَاهَا .{إنها تعلمك أن التساؤل هو مفتاح العلم .الذي لا يسأل، لا يتعلم.
· التطبيق: لا تستح من قول "لا أعلم"، ولا تتوقف عن سؤال "كيف" و"لماذا" .في دينك، في علمك ، في عملك، كن دائم التساؤل للوصول إلى الحقائق .اجعل "كيف" رفيقة دربك.

ثانيًا: المهارات العملية

.1مهارة تحويل الروتين إلى عبادة:
· التفصيل: كما ذكرنا، تحويل المشي اليومي، والنظر من النافذة، إلى تأمل في آيات الله .هذه مهارة عملية تحوّل حياتك كلها إلى صلاة دائمة.
· التطبيق العملي: اربط كل فعل يومي بذكرى .عندما تشرب الماء، تذكر} وَأَنبَتْنَا {وكيف أن هذا الماء هو أساس النبات البهيج .عندما تنظر إلى ساعتك، تذكر نظام السماء والأرض الدقيق .بهذا تخرج من الغفلة إلى الحضور الدائم مع الله.

.2مهارة إدارة التوتر بالتأمل الكوني(:
· التفصيل: كما أثبت العلم الحديث، فإن التأمل في الطبيعة يخفض هرمون الكورتيزول المسؤول عن التوتر .هذه الآيات هي الأسبق في تقرير هذا العلاج النفسي المجاني والمتاح للجميع.
· التطبيق العملي: إذا شعرت بالغضب أو التوتر، لا تنفجر، بل اخرج إلى مكان مفتوح، أو انظر إلى السماء .تنفس بعمق، وردد هذه الآيات في قلبك .اشعر بالهدوء يتسرب إلى نفسك، فهذه "رواسي" تثبت مشاعرك المضطربة.
.3مهارة التخطيط المبني على الإتقان والجمال:
· التفصيل: استلهامًا من "بناء السماء وتزيينها"، خطط لكل مشروع في حياتك ببعدين: بعد وظيفي)بناء(، وبعد جمالي) زينة.(
· التطبيق العملي: إذا أعددت وجبة طعام، فلتكن مغذية) بناء (وشهية المنظر) زينة .(إذا كتبت تقريرًا، فليكن دقيق المحتوى) بناء (وجميل التنسيق) زينة .(هذا الأسلوب يرفع من قيمة كل ما تقدمه.
.4مهارة الصمود والثبات
· التفصيل: "الرواسي" تعلمك كيف تكون ثابتًا راسخًا .أن تبني في حياتك "رواسي" نفسية وفكرية تجعلك لا تنهار عند أول صدمة.
· التطبيق العملي: حدد قيمك ومبادئك الراسخة) كالرواسي .(اكتبها في مفكرة .عندما تواجه أزمة أخلاقية أو ضغوطًا في العمل تغريك بالتنازل عن مبادئك، ارجع إلى "رواسيك" .هذه القيم هي التي ستثبتك وتمنعك من الاضطراب.

الخاتمة: من الأمر المريج إلى رحابة اليقين

عد ببصرك وبصيرتك إلى حيث بدأنا. لقد كان حالهم في الآية الخامسة: {فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ}، يتخبطون في ظلمات الشك والإنكار. وهأنت ذا بعد هذه الرحلة، وقد خرجت إلى رحابة الكون، تتأمل في السماء كيف بنيت، وفي الأرض كيف مدت، وفي الجبال كيف ألقيت، وفي النبات كيف أنبت بهيجًا. ألا تشعر معي أنك قد خرجت من ضيق "المرج" إلى سعة "اليقين"؟

}أَفَلَمْ يَنظُرُوا ...{لقد نظرنا .نظرنا بقلوبنا قبل أعيننا .ورأينا أن الكون كله كتاب مقروء، وآية شاهدة، وبرهان ساطع .لم يعد الكون مجرد مادة صماء، بل صار مسجدًا واسعًا، كل ذرة فيه تسبح بحمد ربها، وتدعونا للتسبيح معها.

}تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ...{هذا هو المفتاح .أن نكون "منيبين" راجعين إلى الله .فبعد كل هذا النظر، يبقى السؤال: هل آن لقلبك أن ينيب؟ هل آن لروحك أن ترجع إلى بارئها؟

اخرج من هذا التدبر وأنت تحمل عهدًا جديدًا:

· عهدًا بالنظر: ألا تمر على شيء من حولك إلا متأملا ً، باحثًا عن يد الله فيه.
· عهدًا بالإتقان: أن تجعل كل أعمالك "بناءً" محكمًا، و"زينة" مبهجة.
· عهدًا بالإنابة: أن يكون كل تأملك مرده إلى رجوع إلى الله، وخشية، وتوبة.

اقرأ هذه الآيات الآن، وقد صارت لك عينًا تبصر بها، وأذنًا تسمع بها، وقلبًا يعقل بها. {أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (6) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (8)}.
المبحث الثاني
يا من ذاق حلاوة النظر في ملكوت السماوات والأرض، ويا من أبصر بعين عقله وقلبه آيات الله في ا لآفاق، ويا من عرف أن الكون كله كتاب مقروء، تعالَ بنا لنواصل الرحلة، لا لنقرأ حروفًا جامدة، بل لنغترف من معين الوحي المبارك. لقد وقفنا في الآيات السابقة عند السماء المبنية بغير فروج، والأرض الممدودة بالرواسي، والنبات البهيج. وكنا نظن أن الأمر انتهى عند الجمال، فإذا بالآيات تأخذنا خطوة أبعد، إلى سر الحياة نفسها، إلى الماء المبارك الذي ينزل من السماء، لترى بأم عينيك مشهد البعث يتكرر أمامك كل يوم.

تمهيد: لماذا هاتان الآيتان الآن؟ وما صلتهما بما قبلهما؟

بعد أن فتح الله سبحانه أعيننا على كتاب الكون المنظور، وذكرنا بالسماء والأرض والجبال والنبات،

يأتي الآن ليربط هذه المشاهد كلها بقضية البعث التي هي محور السورة. لقد استبعد الكافرون الحياة بعد الموت، وقالوا: {أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ}. فأراهم الله في الآفاق آياته، ثم يأتي هنا إلى أقرب مثال حسي يحدث تحت أبصارهم كل عام: نزول المطر على الأرض الميتة، فإذا بها تهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج. إنه دليل البعث المعروض على شاشة الطبيعة.

الآيات (9-11) هي الذروة في الاستدلال، حيث تنتقل من "إمكانية" البعث إلى "مشاهدة نموذجه" في واقع حياتنا. إنها تقول: "إن كنتم لا تصدقون أنكم ستبعثون من قبوركم، فانظروا إلى هذه الأرض الميتة أمامكم، كيف نحييها بالماء، كذلك تخرجون".

أما أهداف الآيات ومقاصدها الكبرى فهي:

.1تقديم البرهان الحسي القاطع على البعث من خلال دورة الحياة النباتية التي تتكرر كل موسم.
.2بيان مصدر الرزق الحقيقي وأنه من الله وحده، ليغرس في القلب التوكل والشكر.
.3فتح باب الأمل فكل أرض ميتة يمكن أن تحيا، وكل قلب ميت يمكن أن يبعث.
.4ترسيخ عقيدة التوحيد فمن أحيا الأرض بالماء قادر على إحياء الموتى، ومن رزق العباد قادر على بعثهم وحسابهم.
.5ربط الإنسان بمنهج التفكر الإيماني كلما رأى مطرًا ونباتًا، تذكر البعث والآخرة.

أولا ً: تحليل الآيات

لنغص معًا في هذه الجواهر، ونستخرج كنوزها الدفينة.

المحور الأول: {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ} – بركة الماء وأثرها

1/ ما دلالة الفعل} نزّلنا {بصيغة التضعيف؟
تأمل معي! لم يقل "أنزلنا" بالتخفيف، بل قال {نزّلنا} بالتشديد. في التضعيف إشارة إلى التنجيم و التكثّر والتدريج. فالمطر لا ينزل دفعة واحدة دائمًا، بل ينزل نجوماً، أي متفرقًا بحسب الحكمة و المصلحة. ولو نزل مرة واحدة لأفسد الحرث والزرع. هذه الدقة في التعبير تريك أن من وراء هذه العملية مدبرًا حكيمًا عليمًا بحال عباده وأرضه.

2/ لماذا وصف الماء بأنه} مُبَارَكًا{؟ وما هي بركته؟
البركة هي النماء والزيادة والثبات في الخير. والماء مبارك لأن فيه حياة كل شيء: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ}. إنه سائل الحياة، نقي طهور، ينزل من السماء فيروي العطشى، وينبت الزرع، ويسقي ا لأنعام، ويطهر الأبدان. فهو كثير الخيرات، دائم النفع، متجدد البركات. وصفه بأنه مبارك يجعلك تستشعر نعمة الله في كل قطرة، وتوقن أن هذا الماء ليس مجرد مركب كيميائي، بل هو آية من آيات الله، وسر من أسرار الحياة.

3/} فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ{، ما الفرق بين الجنات وحب الحصيد؟

· {جَنَّات}: هي البساتين الملتفة الأشجار، المثمرة بأنواع الفواكه. إنها تذكرك بالجمال والظلال والثمار.
· {وَحَبَّ الْحَصِيدِ}: هو الحب الذي يحصد، كالقمح والشعير والأرز، مما هو قوت الإنسان الأساسي.
إن الجمع بين "الجنات" و"حب الحصيد" يجمع بين غذاء الروح والجسد. فالجنات تبهج النفس، وحب الحصيد يقيم البدن. وهذا من كمال النعمة وتمام البركة. إنه يعلمك أن تنظر إلى الطعام الذي تأكله نظرة إيمانية، فتذكر يد الله التي أنبتته.

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: التفاؤل والأمل. الماء المبارك ينزل على الأرض الميتة فتحيا. هذه الصورة تعلمك أن لا تيأس، فمهما بلغت بك الحال من الجفاف الروحي أو المادي، فإن رحمة الله (وهي هنا الماء المبارك) قادرة على إحيائك وإخراجك من ظلمات اليأس إلى بهجة الأمل.
· رسالة تربوية: شكر المنعم. حين ترى رغيف الخبز، لا ترَ فيه مجرد طحين وماء، بل تذكر رحلته: من ماء مبارك أنزله الله، إلى حب أنبته، إلى حصيد حصد، إلى خبز بين يديك. هذا يجعلك تعيش الشكر في كل لقمة.
· رسالة عقلية: دورة الرزق. الآية تريك سلسلة السببية الحقيقية: الماء سبب، ولكن المنبت هو الله

وحده. فهو القائل: {فَأَنبَتْنَا}. هذا يربيك على التوحيد في الأسباب، فلا تغتر بالسبب، بل تثق بالمسبب.

المحور الثاني: {وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ} – شموخ النخلة وجمال العطاء

1/ لماذا خص النخل بالذكر بعد الجنات وحب الحصيد؟
النخل شجرة مباركة مخصوصة، لها مكانة عظيمة في حياة العرب والمسلمين. ذكرها بعد العموم (جنات وحب) هو تخصيص للدلالة على عظمتها. إنها جامعة بين الجمال (باسقات) والمنفعة (طلع نضيد). ففيها الشموخ والجمال، وفيها الغذاء والدواء والبناء.

2/} بَاسِقَاتٍ{، ما معنى البسوق، وما أثره النفسي؟
البسوق هو الطول والارتفاع والاستقامة. النخلة شامخة، طويلة، مرفوعة الهامة. هذا الوصف يعطي إحساسًا بالقوة والعزة والثبات. إنها صورة ناطقة: هكذا يكون المؤمن! طويل الهمة، شامخ العزة، مستقيم السيرة، لا ينحني إلا لربه. {بَاسِقَاتٍ} تهمس في أذنك: "كن كالنخلة، باسقًا في إيمانك، شامخًا في مبادئك".

3/} لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ{، ما الطلع النضيد؟ وما دلالته؟
الطلع هو أول ما يظهر من ثمر النخل، وهو في كفراه (غلافه)، والنضيد هو المنضود المصفوف بعضه فوق بعض بإحكام. تأمل معي هذا الوصف الدقيق! الثمر ليس فوضى، بل هو في نظام بديع محكم داخل الغلاف، منضود كالجواهر في صندوق، ينتظر أن ينشق عنه الطلع ليظهر البلح. إنه جمال الخلق الذي يجمع بين الانضباط والروعة. يدعوك أن تنظر في كل شيء حولك، لترى نظام النضيد في كل ثمرة من ثمار الله.

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: العزة والثبات. صورة النخلة الباسقة تبعث في النفس إحساسًا بالعزة والثبات على الحق. أنت لست نبتة هزيلة، بل أنت نخلة شامخة، لا تهزك الرياح، تؤتي أكلها كل حين.
· رسالة تربوية: الانضباط والنظام. "النضيد" يعلمك النظام في حياتك. كما أن الطلع منضود، فلتكن أمورك منضودة: وقتك، مالك، أفكارك. الفوضى ليست من خلق الله.
· رسالة عقلية: العطاء المثمر. النخلة الباسقة ليست مجرد طول فارغ، بل هي مثمرة. هذا يعلمك أن الرفعة الحقيقية هي مع العطاء. كلما ارتفع شأنك، يجب أن يزداد عطاؤك للناس.

المحور الثالث: {رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ} – غائية الرزق والبرهان على البعث

1/ لماذا نصبت كلمة} رِّزْقًا{؟ وما معناها؟
{رِّزْقًا} مفعول لأجله، أي أن هذا الإنبات كله، للجنات وحب الحصيد والنخل الباسقات، قد فعلناه لأجل أن يكون رزقًا للعباد. هنا تبرز غائية الخلق: كل هذه المناظر البهيجة والنظام المحكم لم يخلق عبثًا، بل هو مسخر لرزق الإنسان. إنها رسالة حب وكرامة من الله لعباده.

2/} وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا{، ما دلالة الانتقال من النبات إلى البلدة الميتة؟
هنا المقطع الأهم. بعد أن فصل في أنواع النبات، يأتي إلى الصورة الكلية: إحياء البلدة الميتة. البلدة الميتة هي الأرض الجدبة القاحلة، التي لا زرع فيها ولا ماء ولا حياة. فإذا نزل الماء، اهتزت وربت وأخرجت أنواع النبات. هذا الانتقال يجهز الذهن للنتيجة الكبرى: {كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ}.

3/} كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ{، ما هو الخروج؟ وكيف ربطت الآية بين إحياء الأرض وإحياء الموتى؟
الخروج هو البعث من القبور. "كذلك" أي مثل هذا الإحياء الذي ترونه بأعينكم، تخرجون من قبوركم. إنه قياس الشاهد على الغائب. الأرض الميتة هي أجسادكم في القبور، والماء المبارك هو نفخة البعث، والخروج هو خروجكم للعرض على الله. كلما رأيت أرضًا ميتة أحياها المطر، فقل: "هكذا أبعث، هكذا أخرج من قبري". إنها عبادة تحول كل مشهد طبيعي إلى تذكرة بالآخرة.

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: اليقين بالعدل الإلهي. البعث هو يوم العدل والجزاء. التأمل في {كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ} يملأ قلبك يقينًا بأن الخالق العادل لن يترك الظالم والمظلوم سواء، بل سيخرج الجميع للحساب. هذا يعزز فيك الصبر على الظلم، لأنك توقن بيوم الفصل.
· رسالة تربوية: الاستعداد للخروج. إذا كان الخروج آتٍ لا ريب فيه، فكيف تستعد له؟ الآية تدعوك بشكل غير مباشر إلى أن تعد زادك لهذا اليوم. كما تستعد الأرض لاستقبال الماء لتحيا، استعد أنت لا ستقبال أمر الله بالعمل الصالح.
· رسالة عقلية: حتمية البعث. إذا كان الله يحيي الأرض الميتة بالماء كل عام، أليس بقادر على إحياء العظام الرفات؟ هذا الاستدلال العقلي يجعل إنكار البعث غير منطقي بالمرة.

المحور الرابع: لطائف وحِكم من سياق الآيات

1/ ما سر الترتيب في ذكر أنواع النباتات؟
لقد ذكر الجنات (الفواكه والثمار) أولا ً، ثم حب الحصيد (الأقوات الأساسية)، ثم النخل (شجرة جامعة للنفع والجمال). هذا الترتيب له حكمة تربوية ونفسية: فبدأ بما يبهج النفس ويسرها (الجنات)، ثم بما يقيم البدن ويغذيه (الحب)، ثم بما يجمع بينهما ويزيد عليهما من المنافع (النخل). إنه يعلمنا أن نبدأ بالترغيب والتشويق قبل التكليف.

2/ ما وجه الجمع بين وصف الماء بـ"مبارك" وكونه سببًا لإحياء الموتى؟
في وصف الماء بـ"مبارك" سر عظيم. البركة تعني الخير الكثير المتجدد. فالماء الذي يحيي الأرض هو مبارك، والوحي الذي يحيي القلوب مبارك، ونفخة البعث التي تحيي الموتى مباركة. فالبركة هي سر الحياة في الماديات والروحانيات. وكأن الآية تقول: كما أحيينا الأرض الميتة بماء مبارك، سنحييكم بقدرتنا المباركة.

3/ كيف ترتبط هذه الآيات بختام الآيات السابقة؟
لقد انتهت الآية الثامنة بقوله: {تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ}. ثم بدأت هذه الآيات ببيان أعظم تبصرة وذكرى: إحياء الأرض الميتة. فالمنيب هو الذي يرى في هذا الإحياء تبصره لحقيقة البعث، وذكرى لغفلته. هذه الآيات هي نموذج تطبيقي للتبصرة والذكرى.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات

والآن، لنسقط هذه الأنوار على واقع حياتنا العملية والنفسية.

الأمر الأول: أسئلة تدبرية تطبيقية لتوظيف الآيات في واقعك العملي

١/ سؤال الاستمداد:} وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا ...{هل تستمد بركة حياتك من "ماء السماء" أم من مصادر أرضية هزيلة؟

· تطبيق في الرزق: الماء المبارك هو مصدر الرزق. والوحي هو الماء المبارك للروح. هل تبحث عن رزقك متوكلا ً على الله، متبعًا أوامره التي هي سبب البركة؟ أم أنك تطلب الرزق من طرق محرمة، فتكون كمن يسقي أرضه بماء مالح لا بركة فيه؟
· تطبيق في البحث عن السعادة: كثير من الناس يبحث عن السعادة في المال والمنصب (الأرض)، وينسى أن السعادة الحقة تنزل من "السماء" أي من الإيمان والذكر والقرب من الله. اسأل نفسك: من أين أستمد سعادتي؟

٢/ سؤال القيمة:} فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ...{كيف تزرع في حياتك "جنات" تبهج الناس و"حبًا" ينفعهم؟

· في عملك وإنتاجك: هل تنتج شيئًا جميلا ً يشبه "الجنات"، يبهج من يراه ويسر النفس؟ وهل تنتج شيئًا نافعًا ضروريًا يشبه "حب الحصيد"، يقيم أود الناس ويسد حاجتهم؟ اجمع في إنتاجك بين الجمال والنفع.
· في علاقاتك: كن في أسرتك ومجتمعك كالجنات في بهجتها، وكالحب في نفعه. كن مصدر فرح وأمان لمن حولك.

٣/ سؤال التأثير:} وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ ...{هل أنت نخلة باسقة في مجتمعك؟

· في هيبتك ووقارك: المؤمن الحق له هيبة ووقار كالنخلة الباسقة. لا يتميع في شخصيته، ولا ينحني لأهل الباطل. هل أنت كذلك؟
· في عطائك: النخلة الباسقة ترمي بثمرها للناس. هل أنت باذل لعلمك، مالك، جهدك، لمن هم حولك؟ البسوق بلا عطاء تكبر فارغ.

٤/ سؤال اليقين:} كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ...{هل تعيش كل يوم وكأنك ترى بعثك؟

· مراجعة الذات: عندما ترى حديقة ذابلة ثم تحيا بالمطر، هل يتحرك قلبك لليقين بالبعث؟ أم تمر على المشهد كأنه أمر عادي؟ هذه الآية تجعلك تعيش مع البعث يقينًا لا يخالطه شك.
· تطبيق في القبر: إذا مررت بمقبرة، أو سمعت بموت أحد، تذكر {كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ}. تخيل نفسك وأنت تخرج من قبرك، وحيّ قلبك بهذه العقيدة.

الأمر الثاني: أهم القضايا التي تعالجها الآيات

· قضية الرزق والبركة: كيف ينزل الرزق، وما مصدره الحقيقي، وأين تكون البركة.
· قضية الإحياء والإماتة: الدورة الحياتية التي تثبت قدرة الله المطلقة على الإحياء بعد الموت.
· قضية الجمال والنفع: الجمع بين الجانب الجمالي والجانب الوظيفي في الخلق، ودعوة الإنسان للا قتداء بذلك.
· قضية الاستدلال بالطبيعة على العقائد: منهج القرآن في تقرير العقائد من خلال المشاهدة الحسية.

الأمر الثالث: خطوات عملية لتنزيل عظمة الآيات على أرض الواقع

١/ تحويل كل مطر إلى عبادة:
كلما نزل المطر، قف وتأمل. انظر كيف تنزل القطرات، كيف تنتعش الأرض، كيف تخضر الأشجار. ردد: {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا}. وقل: "اللهم اجعلني مباركًا حيث كنت، وأحيي قلبي كما أحييت الأ رض".

٢/ زراعة نبتة في البيت:
ازرع نبتة صغيرة في بيتك، واجعلها وسيلة تربوية لك ولأسرتك. تأمل معهم كيف تنمو، وكيف تخرج من بذرة ميتة إلى نبتة بهيجة. اربط ذلك بـ{كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ}، لترسخ عقيدة البعث في قلوبهم بالنظر العملي.

٣/ تطبيق "النضيد" في حياتك:
ادرس نظام حياتك. هل وقتك "نضيد" كطلع النخل؟ خطط ليومك، رتب أولوياتك، اجعل لكل شيء مكانًا وزمانًا. الفوضى تقتل البركة، والنظام يجلبها.

٤/ مشروع "إحياء بلدة ميتة":
هل تعرف شخصًا غارقًا في المعاصي، مات قلبه؟ كن له كالماء المبارك. اقترب منه، انصحه برفق، ادع له، أحيطه بالحب. فأنت بإذن الله سبب في إحياء قلبه. هذه هي أعظم عبادة عملية.

الأمر الرابع: الدروس والعبر العملية المستخلصة من الآيات

١/ البركة في الاتباع لا في الأسباب وحدها:
الماء وحده لا ينبت إلا بإذن الله. أنت تأخذ بالأسباب، ولكن لا تنس أن البركة من عند الله. صل صلا ة الفجر، لتنال بركة الرزق في يومك.

٢/ شموخ المؤمن من شموخ إيمانه:
بقدر ما يكون إيمانك قويًا، تكون باسقًا. لا تنبهر بباطل، ولا تنكسر أمام عات.

٣/ الجمال والانتفاع رسالتك في الحياة:
أنت خليفة، ودورك أن تعمر الأرض، فتجملها وتنفعها.

٤/ الموت ليس نهاية، بل هو بداية الخروج:
عش هذه العقيدة، تهن عليك مصائب الدنيا.

الأمر الخامس: كيف يكون تعميق أثر هذه الآية في حياتك اليومية؟

١/ في الصلاة:
إذا سجدت على الأرض، تذكر أنك ستدفن فيها، ثم ستخرج منها. اسجد وكأنك تسجد على قبرك، واخشع استعدادًا للخروج.

٢/ في المطر:
لا تشتك من المطر أبدًا. كل قطرة هي بركة. قل: "اللّهم صيبًا نافعًا". واستشعر أن هذا الماء هو الذي سيحيي أرضك يوم تموت.

٣/ في التعامل مع الطعام:
لا ترمِ الطعام أبدًا. تذكر أنه {رِّزْقًا لِّلعِبَادِ}، وأنه نتاج ماء مبارك. احترم النعمة، فهي آية من آيات الله.

٤/ في نشر البشارة:
بشر الناس: كما أحيا الله الأرض بعد موتها، سيحيي قلوبكم بعد قسوتها. افتح باب الأمل لكل يائس.

الأمر السادس: أهم الرسائل والتوجيهات من الآيات في حياتنا العملية

· البركة تنزل من السماء، فارفع يديك إليها.
· كن كالماء المبارك، أينما حللت نفعَت وأحييتَ.
· اخرج من قبر اليأس، فالماء قادم، والحياة عائدة.
· شمختك ليست في طول قامتك، بل في سمو أخلاقك.
· اربط كل مشهد طبيعي بيوم البعث، تعش في يقين دائم.

ثالثًا: أهم المفاهيم من الآيات

الأمر الأول: أبعاد الآيات وآفاقها

· البعد الزراعي العلمي: توجيه الأنظار إلى علوم الزراعة والماء والنبات، واعتبارها آيات إلهية.
· البعد الاقتصادي: إبراز مفهوم "البركة" في الرزق، وهو مفهوم اقتصادي إيماني يتجاوز مجرد الكم إلى الكيف.
· البعد الأخروي: ربط الحياة الدنيا بالآخرة، بحيث تصبح الدنيا مزرعة الآخرة.

الأمر الثاني: مفاهيم البناء والتنمية من الآيات

· مفهوم التنمية الزراعية الإيمانية: التنمية ليست فقط في زيادة الإنتاج، بل في استشعار البركة، و الشكر، والاستدامة.
· مفهوم إحياء الموات (البشري والعمراني): كما نحيي الأرض الميتة بالماء، نحيي القلوب بالإيمان، ونحيي الأراضي بالعمار.
· مفهوم الرزق كمسؤولية: الرزق ليس مجرد حق، بل هو مسؤولية. ما أعطاك الله منه، هو رزق للعباد، فأنت مستخلف فيه.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية

· مفهوم الاستثمار المبارك:
· التفصيل: المال الذي تكتسبه من حلال وتنفقه في طاعة، هو كالماء المبارك، ينبت الخير الكثير.
· كيفية التطبيق: قبل أي صفقة أو مشروع، اسأل: "هل فيه بركة؟". البركة ليست في الربح السريع الحرام، بل في الحلال وإن قلّ.
· مفهوم النمذجة بالشموخ والعطاء):
· التفصيل: {النَخلَ بَاسِقاتٍ لَهَا طَلعٌ نَضِيدٌ} هو نموذج للقائد أو الإنسان المؤثر. شامخ في خلقه، منظم في أمره، معطاء لمن حوله.
· كيفية التطبيق: في موقعك القيادي، كن باسقًا بالمبادئ، نضيدًا في التخطيط، كريمًا في العطاء.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيات (بشكل مفصل)

· المفاهيم النفسية:
1. مفهوم الأمل الدوري
· التفصيل: دورة المطر والإنبات والإحياء تمنح الإنسان شعورًا بأن اليأس لا يدوم، فبعد كل شتاء ربيع. هذه الدورة الطبيعية هي علاج نفسي رباني ضد الاكتئاب واليأس. مهما طال جفاف روحك، فمطر الرحمة قادم.
· التطبيق العملي: إذا مررت بفترة جفاف روحي (فتور في العبادة، ضيق صدر)، تذكر أن هذه سنة الحياة. لا تيأس، بل انتظر نزول "ماء" رمضان، أو موسم الطاعات، لتحيا من جديد.
2. مفهوم البركة كسكينة نفسية:
· التفصيل: البركة ليست مجرد كثرة عددية، بل هي طمأنينة وسكينة في الرزق. المال القليل المبارك تشعر معه بالغنى، والمال الكثير غير المبارك تشعر معه بالفقر. البركة هي الحالة النفسية التي تجعلك راضيًا قانعًا.
· التطبيق العملي: لا تنظر إلى كمّ رزقك، بل إلى كيفه. هل تشعر بالرضا؟ هل مالك يكفيك؟ إن لم تكن تشعر بالبركة، فابحث عن الخلل في علاقتك بالله، فالمبارك هو من باركه الله.
· المفاهيم الفكرية:
1. مفهوم القياس المنطقي :
· التفصيل: {كَذَٰلِكَ الخُرُوجُ} هو قمة القياس المنطقي. القرآن يعلمك أن تبني استدلالاتك العقلية على المشاهدات. فإذا رأيت خروج النبات من الأرض، فمن غير المنطقي أن تنكر خروجك من قبرك. هذا يبني عقلا ً منطقيًا إيمانيًا.
· التطبيق العملي: درب عقلك على هذا القياس في كل شيء. من خروج الفراشة من شرنقتها، إلى شروق الشمس بعد غيابها... استخدم هذه الأمثلة في حواراتك لإثبات عقيدة البعث.
2. مفهوم السببية المزدوجة:
· التفصيل: الماء سبب، والله هو المسبب. الآية تثبت السببية (بالماء)، ولكنها ترد الفعل لله (أنبتنا). هذه توسطية تحمي من الغلو المادي (إنكار دور الله) والغلو الجبري (إنكار الأسباب).
· التطبيق العملي: اعمل بالأسباب وكأنها كل شيء، وتوكل على الله وكأن الأسباب لا شيء. ازرع وحرث واسق، لكن اعلم أن المنبت هو الله.
· المفاهيم التربوية:
1. مفهوم التربية على مراقبة النماء:
· التفصيل: إن رؤية البذرة وهي تنمو وتكبر، هو درس تربوي في الصبر، والترقي، والأمل. النجاح لا يأتي دفعة واحدة، بل هو كالنخلة الباسقة: تبدأ صغيرة ثم تنمو وتعلو.
· التطبيق العملي: ربّ أبناءك على الزراعة. دعهم يزرعوا بذرة ويراقبوها كل يوم. سيتعلمون الصبر، وقيمة العمل، وعظمة الخالق.
2. مفهوم تحويل الطعام إلى ذكر:
· التفصيل: كل لقمة هي نتيجة رحلة إلهية: ماء مبارك، أرض، إنبات. تربية النفس والأبناء على أن يروا هذه الرحلة في كل وجبة، يحول الأكل من مجرد شهوة إلى عبادة وشكر.
· التطبيق العملي: قبل الأكل، تذكروا معًا: "من أين جاء هذا الخبز؟ كيف أنبت الله الحب؟" هذه الذكرى تجعل النعمة أعظم، والشكر أعمق.

الأمر الخامس: كيف نحول مفاهيم الآيات إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية؟

.1على مستوى بناء الإنسان:
· تحويل الأمل إلى عمل: عقيدة {كَذَٰلِكَ الخُرُوجُ} تولد في الإنسان طاقة عمل هائلة، لأنه يعمل للدنيا والآخرة معًا. فهو يزرع الأرض رجاء الرزق، ويزرع الصالحات رجاء البعث. هذا يبني إنسانًا إيجابيًا منتجًا في كل المجالات.

.2على مستوى بناء المجتمع:
· مجتمع متراحم متكافل: عندما يدرك الجميع أن الرزق من الله، زال الحسد والبغضاء بينهم. وعندما يعلمون أن المال "رزق للعباد"، ساد التكافل، وقل البخل، وانتشرت الرحمة.
· مجتمع يحيي الموات: يصبح شعار المجتمع: إحياء الموات؛ موات الأرض بالزراعة، وموات القلوب بالتربية، وموات الأخلاق بالدعوة.
.3على مستوى بناء الحضارة:
· حضارة تسخير وتسجير: ليست حضارة تنهب الموارد (الماء والأرض) بلا شكر، بل حضارة تسخرها بالعلم، وتشكرها بالعبادة، وتستثمرها بالعدل. هذه هي الحضارة المباركة، التي تنبت من ماء السماء، وتربو على أرض الخلافة.

رابعاً: المهارات الحياتية المعرفية والعملية التي نتعلمها من الآيات

أولا ً: المهارات المعرفية

.1مهارة الاستنتاج السببي(:
· التفصيل: {فَأَنبَتْنَا بِهِ... كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ}. الآية تعلمك أن تستنتج النتائج من مقدماتها. إذا رأيت المطر، فاعلم أن النبات آتٍ. وإذا رأيت النبات، فاعلم أن البعث حق.
· التطبيق: في التخطيط لحياتك، استخدم هذه المهارة: إذا عملت بجد (ماء)، فسينجح مشروعك (إنبات)، وإذا نجحت فاستعد للقاء الله بالشكر (الخروج).
.2مهارة التفكير التناظري(:
· التفصيل: الربط بين شيئين متشابهين لإثبات حكم. كما أحيا الله الأرض، يحيي الموتى. هذه هي أرقى مهارات التفكير.
· التطبيق: استخدم هذه المهارة في الإقناع. لتبين لأحدهم إمكانية التغيير نحو الأفضل، قل له: "انظر إلى هذه النبتة، كيف كانت بذرة ميتة، فأصبحت زهرة بهيجة. هكذا أنت، يمكنك أن تتغير".

ثانيًا: المهارات العملية

.1مهارة إدارة الموارد بالبركة:
· التفصيل: لا تكتفِ بحساب كميات الموارد، بل اسعَ إلى البركة فيها. البركة تأتي بالإخلاص، و الصدق، والشكر، واتباع الأوامر.
· التطبيق العملي: قبل أن تشتكي من قلة دخلك، راجع مدى بركته. هل تصلي الفجر حاضرًا؟ هل تصدق؟ هل تتقي الله في كسبك؟ البركة هي الحل السحري لمشكلة قلة الموارد.
.2مهارة البستنة الروحية :
· التفصيل: كما تعتني بحديقتك بالسقي والتسميد والتقليم، اعتنِ بحديقة قلبك. اسقها بالقرآن، وسمّدها بالذكر، وقلّمها من الذنوب، لتزهر إيمانًا وأخلاقًا.
· التطبيق العملي: خصص وقتًا يوميًا لـ"سقي" قلبك بالقرآن، ووقتًا أسبوعيًا لـ"تقليم" أخطائك بجلسة محاسبة صادقة مع النفس.
.3مهارة الشكر الاستباقي :
· التفصيل: المزارع يحرث ويسقي، ولكن قبل أن يرى الثمر، هو شاكر على نعمة الماء والأرض. أنت كذلك، تعلم أن تشكر الله على الأسباب قبل النتائج. اشكر الله على نعمة العقل، والصحة، والوقت ، قبل أن تحقق بها شيئًا.
· التطبيق العملي: ابدأ يومك بشكر الله على خمس نعم قبل أن تباشر عملك. هذا الشكر الاستباقي يجلب لك البركة في سائر يومك.

الخاتمة: من موات الأرض إلى حياة الأبد

وها نحن نقف عند ختام هذه الرحلة المباركة، وقد سقط المطر، واهتزت الأرض، وربت، وأنبتت جناتٍ وحبًا ونخلا ً باسقات. لقد أرانا الله كيف يحيي الموتى، وكيف يخرجهم من القبور، في مشهد يتكرر كل عام، بل كل يوم. لم يعد المطر مجرد ظاهرة طبيعية، بل صار مذكرة شخصية من الله لك، تقول لك في كل قطرة: "هكذا تبعث، هكذا تخرج".

{وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا}... تذكر أن رحمة الله تنزل عليك دائمًا، فلا تيأس من روح الله. {فَأَنبَتْنَا

بِهِ جَنَّاتٍ}... تذكر أن الخير الذي تفعله سينمو ويترعرع ويثمر، كما تنمو هذه الجنات. {وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ}... تذكر أن تكون شامخًا بدينك، ثابتًا على الحق، معطاءً للخير. {كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ}... تذكر أن هذا كله مقدمة لمشهد واحد عظيم: مشهد خروجك من قبرك إلى الله.

اخرج من هذا التدبر وقد سقيت أرض قلبك بـ"ماء مبارك" من الوحي. اخرج وقد أيقنت أن الحياة لا تموت، بل تنتقل من طور إلى طور. واجعل هذه الآية رفيقة دربك، كلما رأيت مطرًا نازلًا من السماء، وأرضًا مخضرة بالنبات، قلت بكل كيانك: "آمنت بالذي أنزل الماء المبارك، وآمنت أنه كذلك يخرجني من قبري".

اقرأ هذه الآيات الآن، واجعل آخر كلمة فيها تدق في قلبك كالجرس: {كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ}. {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (9) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (10) رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ (11)}.

القسم الثالث
دليل الحدث التاريخى
المبحث الأول

كنا في الآيات السابقة قد طفنا في رحاب الكون، في السماء ذات البناء المحكم، والأرض ذات المد و الرواسي، والنبات البهيج، والماء المبارك، وانتهى ذلك كله بالمشهد المهيب: {كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ}. لقد قامت الحجة، ووضحت المحجة، وبان الحق كالشمس في رابعة النهار. ولكن، ماذا كان موقف البشر من هذا الحق عبر العصور؟ هنا تأتي هذه الآيات لتأخذ بيدك إلى متحف التاريخ الإلهي، لترى نماذج متكررة، وأممًا متعاقبة، كلها اشتركت في التكذيب، وكلها نالت جزاءها. إنها ليست مجرد قصص للتسلية، بل هي مرآة ترى فيها وجه الحاضر، ومصابيح تنير لك درب المستقبل.

تمهيد: لماذا هاتان الآيتان الآن؟ وما صلتهما بما قبلهما؟

بعد أن أثبت الله سبحانه وتعالى حقيقة البعث بالأدلة الكونية القاطعة في الآيات (6-11)، يأتي الآن إلى دليل جديد: دليل التاريخ. لقد أقسم الله بالقرآن المجيد، وبين عجز الكافرين عن الإتيان بمثله، ثم رد على شبهتهم في إنكار البعث بعلمه المحيط وقدرته الباهرة التي تتجلى في إحياء الأرض. وهنا، ينتقل الخطاب من مخاطبة العقل بالكون، إلى مخاطبة الوجدان بالتاريخ. إنه يقول: إن كنتم في شك من وقوع العذاب على المكذبين، وإن كنتم تظنون أنكم بدع من الأمر، فانظروا إلى من قبلكم. لقد سبقتكم أمم كثيرة، أقوى منكم وأعتى، كذبوا رسلهم، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.

هذه الآيات تخدم غرضين عظيمين:
الأول: تثبيت فؤاد النبي ﷺ والمؤمنين، بأن هذا طريق الأنبياء من قبلك، كلهم كُذِّبوا، فلا تحزن ولا تيأس، فلست وحدك في هذه المعركة.
الثاني: تخويف الكافرين وتحذيرهم، بأن التاريخ يعيد نفسه، وما حدث لقوم نوح وثمود وعاد وفرعون يمكن أن يحدث لكم، إن لم ترعووا.

أما أهداف الآيات ومقاصدها الكبرى فهي:

1. بيان وحدة الرسالة والمصير: فكل الأمم جاءها نذير، وكل من كذب هلك.
2. تقرير سنة إلهية ثابتة: وهي أن التكذيب بالحق يؤدي حتماً إلى الهلاك، وهذه السنة لا تتبدل ولا تتحول.
3. فتح باب الاعتبار: دعوة العقل لقراءة التاريخ قراءة إيمانية، لا مجرد سرد لأحداث، بل استنباط للسنن.
4. تربية النفس على الخوف والرجاء: فالخوف من الوقوع فيما وقع فيه السابقون، والرجاء في نصر الله كالذي نصر به المرسلين.
5. طمأنة القلب المؤمن بأن لله جنودًا يحمي بهم دينه، وأن عاقبة الظالمين إلى بوار.

أولًا: تحليل الآيات

لنقف معًا عند كل كلمة، وعند كل اسم، وعند كل مشهد، لنستخرج العبرة الكامنة في ثنايا التاريخ.

المحور الأول: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ} – افتتاح سجل المكذبين

1/ ما دلالة تقديم الفعل} كَذَّبَتْ {على الفاعل، والبدء بـ "قبلهم"؟
تأمل معي! الجملة تبدأ بالفعل "كذبت" وهو فعل مؤكد بالتاء التي تدل على التأنيث (لتوافق لفظ الأ مة أو الجماعة)، وفي هذا التقديم سر بلاغي عظيم. إنه يضع الحدث الجلل (التكذيب) في صدارة المشهد، ليهز كيان السامع. أما كلمة {قَبْلَهُمْ} فهي تذكير قاصم لمنكري البعث من قريش: لستم أول من كذب، ولستم بدعًا في التاريخ. إنها تقطع دابر العجب والغرور، وتجعلهم يرون أنفسهم في صف طويل من الهالكين. إنها رسالة نفسية تقول: "أنتم مجرد حلقة في سلسلة، وسنة الله ماضية فيكم كما مضت في أسلافكم".

2/ لماذا بدأ بقوم نوح عليه السلام تحديدًا؟
نوح هو الأب الثاني للبشرية، وقومه هم أول الأمم التي أهلكها الله بالغرق بعد أن طال تكذيبهم. ذِكرهم أولا ً يوحي بأن التكذيب بدأ مبكرًا جدًا في تاريخ البشرية، وأن سنة الله في عقاب المكذبين قديمة قدم الرسالات. ثم إن قصة نوح معروفة لأهل الكتاب والعرب، وفيها من طول المكث (ألف سنة إلا خمسين عامًا) ما يعطي درسًا في سعة حلم الله أولا ً، ثم شدة أخذه ثانيًا. فأنت حين تسمع بـ"قوم نوح" تتذكر فيضان الماء، والطوفان العظيم، والسفينة التي حملت المؤمنين. هذا يجهز قلبك للعظة.

3/ من هم} أَصْحَابُ الرَّسِّ{؟ وما الحكمة من ذكرهم بهذا الوصف؟
"الرَّس" في اللغة هو البئر غير المطوية، وقيل هو المعدن .وأصحاب الرَّسِّ هم قوم عُبّاد أصنام، قيل إنهم كانوا في اليمامة، كذبوا نبيهم وقتلوه ورسّوه في بئر) أي دفنوه فيها(، فأبادهم الله .ذكرهم بهذا الوصف الغامض نسبيًا، دون تفصيل لاسم نبيهم أو زمانهم، يوحي بأن العبرة ليست في التفاصيل، بل في الجريمة والعقاب .إنهم قوم محوا من ذاكرة التاريخ التفصيلية، ولم يبقَ لهم إلا خبر عذابهم .وهنا عبرة: لا تغتر بشهرة أو قوة، فما أهون أن يطويك الله في سجل النسيان، ولا يبقى منك إلا عبرة "أصحاب رس".

4/ لماذا ذكر} ثَمُودُ {في هذا الموضع؟ وما الذي يثيره ذكرهم في النفس؟
ثمود هم قوم صالح عليه السلام، الذين كذبوا نبيهم، وعقروا الناقة، فأخذتهم الصيحة أو الرجفة. إنهم نموذج للأمة التي طلبت آية حسية، فلما جاءتهم كفروا بها، فأهلكهم الله. ذكرهم هنا يثير في النفس إحساسًا بقرب العذاب وسرعته. فقوم نوح أغرقوا، وأصحاب الرس أبيدوا، وثمود أخذتهم الصيحة. إن تنوع العقوبات يوحي بأن خزائن عذاب الله لا تنفد، وأنه يأخذ بذنوب مختلفة بعقوبات متنوعة.

5/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الشعور بالانتماء للتاريخ الإيماني .عندما تقرأ عن هؤلاء، تشعر أنك جزء من أمة التوحيد، وأن عدوك هو عدوهم .هذا يحرر قلبك من عقدة الغربة، ويشعرك بأن إخوانك في العقيدة قد سبقوك، وأن المعركة هي ذاتها.
· رسالة تربوية: الاعتبار بالمآلات .التاريخ ليس حكايات تروى، بل هو مختبر يريك نتائج الأفعال .هذه الآية تربيك على أن تسأل نفسك: ما مصيري إن سرت في طريق هؤلاء المكذبين؟
· رسالة عقلية: تحليل النمط .إن تتابع هذه الأسماء يدفع العقل للبحث عن نمط موحد: كلهم كذبوا، كلهم أهلكوا .هذا يكوّن قانونًا عقليًا تاريخيًا، يحميك من أن تخدعك قوة الباطل المؤقتة.

المحور الثاني: {وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (13) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ} – تنوع النماذج وعظمة العذاب

1/ ما الحكمة من إكمال القائمة بهذه الأسماء تحديدًا؟
بعد أن ذكر في الآية الأولى ثلاثة نماذج، يأتي هنا بخمسة نماذج أخرى، ليكتمل المشهد وليكون درسًا شاملا ً. إنه استعراض شامل لقوى الباطل عبر التاريخ: عاد قوة جسدية واقتصادية عظيمة، فرعون قوة سياسية طاغية، إخوان لوط فساد أخلاقي منحرف، أصحاب الأيكة غش تجاري واحتكار، وقوم تبع قوة ملكية وحضارية. إنه جمع لكل أنواع الانحراف والتكبر التي يمكن أن تصيب أمة، لتقول لك الآية: أيا كان نوع باطلكم، وأيا كانت قوتكم، فإن عذاب الله أشد.

2/} وَعَادٌ ...{ماذا عن عاد وما قصتهم؟
عاد هم قوم هود عليه السلام. كانوا في الأحقاف (رمال الربع الخالي)، وكانوا عمالقة ذوي أجسام

هائلة وقوة لا مثيل لها، حتى قالوا: {مَنْ أَشَدُ مِنَا قُوَّةً}. لقد اغتروا بقوتهم، فأرسل الله عليهم ريحًا صرصرًا عاتية، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا، فأهلكتهم. ذكرهم هنا يعطيك درسًا في أن القوة المادية لا تنفع أمام قوة الله. وفي ذلك تطمين للقلب المؤمن الذي قد يرهب قوى الباطل المادية اليوم.

3/} وَفِرْعَوْنُ ...{لماذا أفرد بالذكر دون قومه؟
لأن فرعون هو رمز الطغيان المتأله، الذي قال: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}. لقد تجاوز الطغيان الفردي فيه كل حد، فصار نموذجًا قائمًا بذاته. إفراده بالذكر يوحي بأن الطغاة الكبار لهم حساب خاص، وأن الله يمهلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر. وذكر فرعون هنا، يهز قلب كل طاغية ومتكبر، ويذكره بمصير من كان أعظم منه.

4/} وَإِخْوَانُ لُوطٍ ...{لماذا عبر ب-"إخوان" بدل "قوم"؟
"إخوان لوط" تعني أنهم أبناء عمومته أو أقاربه، وفي هذا تعبير عن أنهم كانوا يضمرون ل-"لوط" الصلة والنصرة بحكم القرابة والنسب، ولكنهم قطعوها وتبرأوا منها لما جاءهم بالحق .هذه الخيانة العشائرية أشد وقعًا .كما أن التعبير ب-"إخوان" قد يشير إلى المعاصي الجماعية التي كانوا يمارسونها، والتي ألفوا بينهم عليها .إنه نموذج للأمة التي تنهار روابطها الأخلاقية، فتصبح كالأنعام.

5/} وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ ...{من هم، وما دلالة هذه التسمية؟
هم قوم شعيب عليه السلام. "الأيكة" هي الشجر الملتف الكثيف. وقد كانوا في أرض خصبة كثيرة الأ شجار، فأنعم الله عليهم بالثمار والزرع، ولكنهم كذبوا شعيبًا، وأشركوا، وطففوا الميزان، وأفسدوا في ا لأرض. تسميتهم ب- "أصحاب الأيكة" تهكم بهم، لأنهم ترفوا بظلال الأيك وثمارها، فبطروا النعمة، فأخذهم عذاب يوم الظلة، حيث أظلتهم سحابة عذاب أهلكتهم. إنه نموذج الانحراف الاقتصادي و الغش التجاري.

6/} وَقَوْمُ تُبَّعٍ ...{ما الرسالة الخفية في ذكرهم؟
تبع هو ملك من ملوك حمير باليمن، وكان ذا قوة عظيمة. وقد اختلف في إيمانه، فالراجح أنه كان مؤمنًا نبيًا وقومه كذبوا، أو أنه كان كافرًا ثم تاب. ذكرهم هنا على أنهم أهل قوة وحضارة، ومع ذلك أهلكهم الله بتكذيبهم. وفي ذلك درس لأهل الحضارة أن لا تغنيهم حضارتهم عن الله شيئًا.

7/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الشعور بالعزة الإيمانية .إذ ترى أن هذه القوى الجبارة قد دمرت، فتعلم أن الله مع عباده المؤمنين، وأن النصر قادم مهما طال ليل الباطل.
· رسالة تربوية: شمولية الخطر .حين ترى أن أنواع الانحراف) كبر، غش، فساد أخلاقي، طغيان (كلها تؤدي إلى الهلاك، تتعلم أن تحذر كل هذه الآفات، وأن تكون تلميذًا ناجحًا في مدرسة التاريخ.
· رسالة عقلية: الاستقراء التاريخي .إن تعدد النماذج وتوحد المصير يبني في عقلك قاعدة: "لا يمكن أن ينتصر الباطل انتصارًا نهائيًا، فها هي النماذج كلها قد انتهت" .هذه القاعدة العقلية تمنحك ثباتًا فكريًا عجيبًا.

المحور الثالث: {كُلٌ كَذَّبَ الرُسُلَ فَحَقّ وَعِيدِ} – البيان الختامي للقانون الإلهي

1/ ما معنى} كُلٌ كَذَّبَ الرُسُلَ {مع أن كل أمة كذبت رسولها فقط؟
لقد بعث الله إلى كل أمة رسولا ً يدعوهم، ولكن رسالة الأنبياء واحدة في أصولها (توحيد الله، الإ يمان باليوم الآخر، مكارم الأخلاق). فمن كذب رسولا ً واحدًا، فكأنما كذب جميع الرسل، لأن دعوتهم واحدة. هذه اللفتة العميقة تعلمك أن الإيمان لا يتجزأ، وأن موقفك من نبي واحد هو موقفك من جميع الأنبياء. ومن هنا تعرف خطورة من يفرق بين رسل الله، فيؤمن ببعض ويكفر ببعض.

2/} فَحَقّ وَعِيدِ ...{ما معنى) حق (و)وعيد(؟ ولماذا جاءت الفاء؟

·} حَقّ{: أي وجب وثبت ونزل، وهو فعل يدل على التحقق واللزوم .فكأن العذاب كان دينًا في أعناقهم، فلما جاء أجله، وجب أداؤه.
·} وَعِيدِ{: الوعيد هو التهديد بالشر والعقاب .والفاء في} فَحَقّ {هي فاء السببية، تدل على أن التكذيب هو العلة المباشرة لحلول الوعيد .فالسبب: التكذيب، والنتيجة: نزول العذاب.
إن كلمة} فَحَقّ وَعِيدِ {بمثابة ختم قضائي إلهي على القضية .إنها تذكير بأن وعيد الله لا يخلف،

وأن كلمته هي العليا.

3/ كيف ترتبط هذه العبارة بجواب القسم في بداية السورة؟
لطالما تساءلنا عن جواب القسم في {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ}. وها هو الجواب يتجسد في ثنايا السورة: إن البعث حق، وإن العذاب حق، وإن وعيد الله لواقع بالمكذبين. {فَحَقَّ وَعِيدِ} هو جزء من هذا الجواب العملي. فكأن الآية تقول: "أقسمت بالقرآن المجيد أن هذا القرآن حق، وأن وعيدي للكافرين حق، وها هو التاريخ يشهد بذلك".

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الطمأنينة المطلقة بعدالة الله .حين ترى أن} كلٌ {أهلك بذنبه، تطمئن إلى أن الله لا يظلم مثقال ذرة، وأن العدالة الإلهية ماضية لا محالة .هذا يخفف عنك ألم رؤية الظلم، ويجعلك تكل الأمر لله.
· رسالة تربوية: اليقين الجازم .تربية النفس على أن وعد الله ووعيده لا يتخلفان أبدًا .فكما حق وعيده على الماضين، سيحق وعده بنصر المؤمنين، ووعيده بإهلاك المجرمين .هذا اليقين هو وقود الثبات والصبر.
· رسالة عقلية: قانون السببية الأخلاقي .هناك قانون إلهي مطرد: التكذيب يؤدي إلى الهلاك .هذا القانون يحكم التاريخ كما تحكم الجاذبية الكون .فكر بنفسك في مصير من تكذب بالحق اليوم، بناء على هذا القانون.

المحور الرابع: لطائف وحِكم من سياق الآيات

1/ ما سر هذا الترتيب العجيب في ذكر الأقوام؟
لقد بدأ بقوم نوح (الغرق)، ثم أصحاب الرس (الإبادة)، وثمود (الصيحة)، وعاد (الريح)، وفرعون (الغرق أيضًا)، وإخوان لوط (الحجارة)، وأصحاب الأيكة (الظلة)، وقوم تبع (الدمار). لم يرتبهم ترتيبًا زمنيًا بحتًا، بل لعله راعى التنوع في العذاب ليبين أن خزائن عذاب الله لا تنفد، وراعى القرب الجغرافي من العرب (فثمود وعاد وأصحاب الأيكة وتبع في الجزيرة العربية وما حولها)، ليكونوا عبرة حاضرة أمام أعينهم.

2/ لماذا لم يذكر عذاب بعضهم تفصيلا ً كما ذكر في سور أخرى؟
لأن العبرة هنا ليست في وصف العذاب، بل في إثبات القانون: {كَلٌ كذّبَ الرُسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ}. إنه إيجاز معجز، يصل إلى الهدف مباشرة. وهو يعلمنا أن نركز على الدروس والسنن، لا على التفاصيل التي قد تشغلنا عن المقصد.

3/ ما الفرق بين ذكر هؤلاء هنا وذكرهم في سورة الشعراء أو الأعراف؟
في سورة الشعراء مثلا ً، يأتي التفصيل لكل قصة على حدة، بأسلوب إنذاري رفيق: "كذبت قوم نوح المرسلين... ألا تتقون؟". أما هنا، فالأسلوب موجز حاسم، لأن المقام مقام إثبات حقيقة البعث والقدرة، فجاء بأسلوب الطرق على الرأس بالمطرقة، لا بأسلوب الإقناع التفصيلي الهادئ.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات

والآن، لنجعل هذه الآيات مرآة نرى فيها واقعنا، ودستورًا نضبط به مسيرتنا.

الأمر الأول: أسئلة تدبرية تطبيقية لتوظيف الآيات في واقعك العملي

١/ سؤال الاستمداد:} كذّبَتْ قَبْلَهُمْ ...{هل تستمد ثباتك وطمأنينتك من معرفتك بسنن التاريخ؟

· تطبيق في واقع الدعوة والعمل: إذا كنت تعمل في مجال الإصلاح، أو كنت شابًا متمسكًا بدينك في بيئة منحرفة، ورأيت من حولك يكذبون الحق ويسخرون منك، فماذا تفعل؟ الآية تعلمك أن تستمد من التاريخ طاقة: اقرأ قصص الأنبياء، وتأمل كيف صبروا، وكيف نصرهم الله أخيرًا .هذا الاستمداد يمنحك صبرًا استراتيجيًا.
· تطبيق في مواجهة الإحباط: عندما تشعر أن الباطل ينتصر، عد إلى هذه الآية .تذكر أن فرعون قد طغى وقال أنا ربكم الأعلى، ومع ذلك غرق .باطل اليوم مهما بدا قويًا، هو أضعف من أن يفلت من

سنة الله.

٢/ سؤال القيمة:} كلٌ كذّبَ الرُسُلَ فَحَقّ وَعِيدِ ...{كيف تجعل قيمة "اليقين بالجزاء" حية في قلبك؟

· في تعاملاتك: إذا هممت بظلم أحد، أو غش في تجارة، أو كذب في حديث، استحضر هؤلاء الأقوام .تذكر أنهم لم يهلكوا لشيء إلا لأنهم انحرفوا عن الحق .فهل تظن أنك ستنجو إن فعلت مثلهم؟ اليقين بالجزاء هو قيمة عظمى تحفظ استقامة سلوكك.
· في التخطيط للمستقبل: خطط لحياتك على أن هناك آخرة، وهناك حساب .كما أن عذاب المكذبين تحقق، فجنة المؤمنين ستتحقق .هذا اليقين يجعل استثمارك الحقيقي في الصالحات لا في الفانيات.

٣/ سؤال التأثير:} وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ...{كيف تؤثر في بيئتك لتكون بيئة إيمان لا بيئة تكذيب؟

· في أسرتك: حدث أبناءك بقصص هؤلاء الأقوام بأسلوب مشوق، واربطها بواقعهم .قل لهم: "التنمر الذي نراه، يشبه تكبر عاد .والكذب والغش، يشبه تطفيف أصحاب الأيكة" .هذا يربيهم على رؤية السنن في حياتهم.
· في عملك: إذا رأيت في مؤسستك ممارسات ظالمة) كفرعون(، أو فسادًا أخلاقيًا) كإخوان لوط(، أو غشًا) كأصحاب الأيكة(، فكن أنت المبشر والمنذر .أنكر بمعروف، وانصح بحكمة، لعلك تكون سببًا في إنقاذ المركب من الغرق.

٤/ سؤال اليقين:} فَحَقّ وَعِيدِ ...{هل تعيش وكأن وعيد الله قادم لا محالة؟

· مراجعة الضمير: ما هو الذنب الذي تسوّف التوبة منه؟ انظر إلى كلمة} فَحَقّ {التي تدل على أن العذاب نزل قطعًا .ليس هناك مجال للتسويف، فوعيد الله لا بد واقع .بادر بالتوبة اليوم قبل غد.
· في نصرة المظلومين: إذا رأيت ظالمًا يتمادى، فلا تحزن .تذكر أن "وعيد الله" له قد "حق" في علم الله وسيظهر في أرض الواقع .هذا يجعلك تدعو له بالهداية، وفي نفس الوقت توقن بأن النهاية ليست له.

الأمر الثاني: أهم القضايا التي تعالجها الآيات

· قضية فلسفة التاريخ: ما هو المحرك للتاريخ؟ هل هو المادة أم الصراع الطبقي أم المصادفة؟ الآية تقول: المحرك هو الإيمان والتكذيب، وسنة الله هي الحاكمة.
· قضية وحدة الحق عبر العصور: دعوة الأنبياء واحدة، وتكذيب الأمم واحد، ونتيجة التكذيب واحدة . هذا يعطيك مفتاحًا لفهم حركة التاريخ.
· قضية العبرة من القصص: لماذا نقص القرآن هذه القصص؟ الجواب ليس التسلية، بل} تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ.{
· قضية العدالة الإلهية المطلقة: عدم محاباة الله لأمة من الأمم، مهما بلغت قوتها.

الأمر الثالث: خطوات عملية لتنزيل عظمة الآيات على أرض الواقع

١/ مشروع "سجل العبر":
اشتر دفترًا خاصًا، وسمّه "سجل العبر". كلما قرأت قصة من قصص الهالكين في القرآن أو في التاريخ، سجل فيها: اسم القوم، ذنبهم، عذابهم، العبرة المستفادة، وكيف تطبقها في حياتك. هذا الألبوم يكون مرجعًا لك عند الفتن.

٢/ تحويل الهلاك إلى شكر:
في نهاية كل يوم، إذا سلمت من عذاب نزل بغيرك (زلزال، حادث، مرض)، تذكر أن هذا من فضل الله ، وأنك لست خيرًا من أولئك المهلكين. قل: "الحمد لله الذي نجاني مما أهلكهم به، وأسأله أن يعافيني".

٣/ تدريب "فرعوني الخاص":
كل واحد منا له "فرعون" في داخله، أي جزء من النفس يميل إلى الطغيان والتكبر. حدد صفاتك التي قد تشبه صفات هؤلاء (كبر، غش، شهوة خفية). اكتبها في ورقة، واجعل لك خطة أسبوعية لمواجهة

هذه "الأقوام" الداخلية وإهلاكها بالتوبة.

٤/ زيارة الآثار بالقلب قبل العين:
إذا سافرت أو زرت أماكن تاريخية، لا تلتقط الصور فقط، بل تفكر في مصير أصحابها. أما إذا لم تستطع السفر، فاقرأ عنها وتأمل صورها، واستشعر رسالة الله لك من خلالها.

الأمر الرابع: الدروس والعبر العملية المستخلصة من الآيات

١/ الباطل لا يموت بموت صاحبه فقط، بل بتحقق سنة الله فيه:
فالتاريخ يعيد نفسه، والمبادئ الخاطئة التي قامت عليها هذه الأمم ما زالت حية، وستلقى نفس المصير.

٢/ الصبر الجماعي للمؤمنين هو طريق النصر:
كما صبر نوح قرونًا، وصبر هود وصالح، فالنصر آت مع الصبر واليقين.

٣/ قوة الإيمان تعلو على كل قوة مادية:
فجيش فرعون وثراء عاد وقوة ثمود، لم تغن عنهم شيئًا.

٤/ تعلم من التاريخ لتنجو في المستقبل:
فالغافل عن التاريخ محكوم عليه أن يكرر أخطاءه.

الأمر الخامس: كيف يكون تعميق أثر هذه الآية في حياتك اليومية؟

١/ في الصلاة:
إذا سمعت الإمام يقرأ قصة قوم نوح، تفاعل بقلبك وكأنك تراهم يغرقون، واسأل الله النجاة.

٢/ في التعامل مع الظالم:
إذا رأيت ظالمًا، فلا تنبهر بقوته. قل في نفسك: "هذا فرعون زمانه، وسيأخذه الله كما أخذ فرعون". هذا يحميك من مداهنته أو الخوف منه.

٣/ في التربية:
بدل أن تحكي لأبنائك قصص خيالية مرعبة، احك لهم قصص هذه الأقوام. فهي أبلغ في العظة، وأعظم في التأثير، لأنها حقيقية.

الأمر السادس: أهم الرسائل والتوجيهات من الآيات في حياتنا العملية

· اقرأ التاريخ كأنه رسالة شخصية من الله لك، لا كأحداث ميتة.
· كل تكذيب بالحق سيتبعه عذاب، فانظر أين أنت من الحق.
· لا تغتر بجبروت الطغاة، فالله لهم بالمرصاد.
· عدوك هو إبليس وجنده، أما موكب الأنبياء والصالحين فهم إخوتك، فسر في ركابهم.
· إذا وجدت في نفسك صفة من صفات المهلكين، فبادر بإهلاكها قبل أن تهلكك.

ثالثاً: أهم المفاهيم من الآيات

الأمر الأول: أبعاد الآيات وآفاقها

· البعد التاريخي: تأصيل فكرة قراءة التاريخ بمنظار سنن الله، وليس بمنظار الماديات.
· البعد الاجتماعي: بيان كيف أن الأمراض الاجتماعية) الكبر، الفساد، الغش (تؤدي إلى انهيار الأمم.
· البعد السياسي: دراسة كيف أن الطغيان السياسي) فرعون (يؤدي إلى الدمار، وأن الأمة المطيعة للطاغية تهلك معه.
· البعد التربوي: تحويل التاريخ إلى مادة للتربية الأخلاقية والإيمانية.

الأمر الثاني: مفاهيم البناء والتنمية من الآيات

· مفهوم بناء الحضارة على أساس الإيمان: الحضارات التي تبنى على التكذيب والطغيان، تنهار مهما بلغت من القوة، أما الحضارة المبنية على الإيمان فتبقى وتثمر.
· مفهوم التنمية بالعدالة: إن هلاك أصحاب الأيكة) بسبب التطفيف (يعلمنا أن التنمية الاقتصادية المستدامة لا تقوم إلا على العدل والأمانة.
· مفهوم استئصال عوامل الهلاك: قبل أن نبني، علينا أن نستأصل عوامل الهلاك التي أهلكت السابقين)الفساد الأخلاقي، الظلم الاقتصادي، الاستبداد السياسي.(

الأمر الثالث: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية

· مفهوم الإنذار المبكر :
· التفصيل: قصص الأولين هي نظام إنذار مبكر من الله لنا .حين نرى أنفسنا نسير في نفس الطريق، نعرف أن نهايتنا ستكون نفس النهاية، فنبادر بتصحيح المسار.
· كيفية التطبيق: قيّم مشروعك التجاري، أو أسلوب حياتك، أو علاقاتك، واسأل: "هل فيها شبه من أفعال قوم كذا؟" .هذه مراجعة دورية تحميك من الانهيار.
· مفهوم التضامن الإيماني عبر التاريخ
· التفصيل: شعور المؤمن بأنه جزء من أمة التوحيد الممتدة عبر الزمان، يمنحه قوة نفسية هائلة . أنت لست وحدك، نوح وهود وصالح وشعيب إخوة لك في العقيدة والطريق.
· كيفية التطبيق: عندما تشعر بالغربة في إيمانك، اقرأ سير الأنبياء، وتصور أنك تسير معهم، وأنهم يشدون على يدك، ويقولون لك: "اصبر، فوعد الله حق".

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيات (بشكل مفصل)

· المفاهيم النفسية:
.1 مفهوم التعزية النفسية :
· التفصيل: هذه الآيات هي بلسم لقلب النبي ﷺ ولكل مؤمن يتعرض للتكذيب .إن معرفة أن هذا هو طريق الأنبياء جميعًا، يبدد شعور الوحدة والحزن، ويحوله إلى شعور فخري بالانتماء لموكب الكرام.
· التطبيق العملي: كلما شعرت بحزن بسبب رفض الناس للحق الذي تقوله أو تدعو إليه، اقرأ هذه الآيات .قل لنفسك: "هكذا عومل نوح وهود، وأنا أسير على دربهم".
.2 مفهوم التطهير بالخوف :
· التفصيل: الخوف من عذاب الله ليس حالة مرضية، بل هو حالة علاجية للنفس من غفلتها . التأمل في مصير هذه الأمم يطهر القلب من حب الدنيا والغرور بالقوة، ويملؤه خشية صافية تدفع للعمل.
· التطبيق العملي: في خلواتك، تأمل في أهوال عذاب الأمم السابقة .دع قلبك يبكي من خشية الله .هذه الدموع تطهر النفس، وتلين القلب القاسي.
· المفاهيم الفكرية:
.1 مفهوم السُنَنية في التاريخ :
· التفصيل: القرآن يقدم منهجًا فكريًا لفهم التاريخ، يقوم على أن هناك سننًا إلهية ثابتة تحكم المجتمعات .هذا يعطي العقل أداة تحليلية قوية، فلا يغتر بظواهر الأمور.
· التطبيق العملي: عندما تحلل حدثًا سياسيًا أو اقتصاديًا عالميًا، لا تكتفِ بالتحليل المادي، بل ابحث عن السنة الإلهية التي تنطبق عليه .أين الظلم؟ أين التكذيب؟ وأين العذاب المنتظر؟ هذا يعمق فهمك.
.2 مفهوم العبرة بالعموم لا بالخصوص:
· التفصيل: الآية لم تذكر تفاصيل كل قصة، بل ركزت على المشترك) التكذيب والعقاب .(هذا يعلمنا أن العبرة بالقانون العام، لا بالتفاصيل الجزئية التي تختلف باختلاف الزمان والمكان.
· التطبيق العملي: عندما تقرأ التاريخ، لا تقف عند الأسماء والأرقام، بل استخرج القاعدة العامة . مثلا ً، "الغش التجاري يؤدي إلى تدهور الاقتصاد وهلاك الأمم"، هذه قاعدة مستفادة من قصة أصحاب الأيكة.
· المفاهيم التربوية:
.1 مفهوم التربية بالضرب بالأمثال :
· التفصيل: عرض نماذج بشرية متعددة ومتنوعة، ليرى المتعلم كيف تنطبق القاعدة على حالات مختلفة .هذا يرسخ المبدأ في الذهن .فبدلا ً من أن تقول لابنك "لا تكذب"، اعرض له قصة قوم

نوح، وقوم صالح، ودعه يستنتج بنفسه عاقبة التكذيب.
· التطبيق العملي: اجمع قصص المهلكين في القرآن، واعرضها كـ"دراسة حالة" لأبنائك .اسألهم: "ما الخطأ الذي وقع فيه هؤلاء؟ ماذا كان يمكنهم فعله لينجو؟".
.2 مفهوم تربية الضمير الحي بالتاريخ:
· التفصيل: عندما يشب الطفل وهو يسمع قصص الأمم البائدة، وكيف أن الله يراقبهم ثم يعاقبهم، ينمو عنده ضمير حي، ومراقبة ذاتية، لأنه يعلم أن التاريخ لا ينسى، وأن الله لا يغفل.
· التطبيق العملي: اربط أحداث الحياة اليومية بالقصص .إذا رأى ابنك ظلمًا في المدرسة، قل له: "هذا مثل فعل فرعون" .هذا يجعل القصص حية في ضميره.

الأمر الخامس: كيف نحول مفاهيم الآيات إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية؟

.1على مستوى بناء الإنسان:
· تحويل الخوف إلى قوة دافعة: الخوف من أن نكون مثل هؤلاء الأقوام يدفعنا إلى محاسبة النفس وتهذيبها .هذا الخوف الإيجابي هو طاقة روحية هائلة تبني إنسانًا راسخًا، لا تلهيه الأماني، ولا تغره القوة.
.2على مستوى بناء المجتمع:
· مجتمع قائم على سنة الابتلاء والتمحيص: عندما يعلم المجتمع أن سنة الله في التكذيب هي الهلاك، يسعى جاهدًا لأن يكون مجتمع تصديق وإيمان وعمل صالح .هذا يبني مجتمعًا محصنًا ضد عوامل الانهيار.
.3على مستوى بناء الحضارة:
· حضارة الاعتبار والادكار: حضارتنا ليست حضارة تكرر الأخطاء، بل هي حضارة تقرأ التاريخ لتتجنب مزالق السابقين، وتستلهم من نجاة المؤمنين .إنها حضارة "العين المفتوحة على الماضي، و القدم الثابتة في الحاضر، والقلب المتطلع إلى موعود الله في المستقبل".

رابعاً: المهارات الحياتية المعرفية والعملية التي نتعلمها من الآيات

أولا ً: المهارات المعرفية :

.1مهارة التعرف على الأنماط(:
· التفصيل:} كلٌ كذّبَ الرُسُلَ فَحَقّ وَعِيدِ {هو درس في استخراج النمط المتكرر من أحداث متفرقة .إنها تدرب عقلك على أن ترى القاعدة خلف الحالات الفردية.
· التطبيق: في مشاريعك، حلل إخفاقات الماضي لتكتشف نمط الأخطاء التي تؤدي للفشل .في العلا قات، تعرف على نمط سلوك من يسببون المشاكل لتتجنبهم أو لتعالجهم.
.2مهارة التفكير طويل المدى :
· التفصيل: النظر إلى التاريخ يحررك من أسر اللحظة الراهنة .ترى أن فرعون عاش زمنًا، ثم صار في خبر كان .هذا يجعلك تفكر في عواقب أفعالك بعد عشرات السنين، أو حتى بعد موتك.
· التطبيق: لا تأخذ قرارات حياتية بناءً على متعة فورية .فكر: "ما الذي سأحصده بعد سنوات من هذا القرار؟ أهو نصر مؤقت كهزيمة المؤمنين ظاهريًا، أم هلاك محقق كنجاح الظالمين مؤقتًا؟".

ثانيًا: المهارات العمليه (

.1مهارة بناء المرونة النفسية من التاريخ :
· التفصيل: معرفة أن الصالحين قد عانوا واضطهدوا، ثم ٌصروا، يجعل نفسك مرنة لا تنكسر عند أول محنة .إنها جرعة مناعة نفسية مستخلصة من تجارب السابقين.
· التطبيق: اكتب قائمة بأزمات الأنبياء) نوح مع قومه، إبراهيم مع النمرود(...، وقارنها بأزماتك . سترى أن أزماتك صغيرة جدًا، وستتعلم منهم كيف واجهوها بالصبر والدعاء.
.2مهارة إدارة السمعة بالاستقامة لا بالشهرة:
· التفصيل: كثير من هؤلاء الأقوام كانوا مشهورين) فرعون، ثمود، عاد(، لكن سمعتهم صارت لعنة: }ألَا بُعْدًا لِعَادٍ .{هذه الآية تعلمك أن المهم هو "كيف سيذكرك الله والناس الصالحون بعد موتك؟"، لا كم عدد متابعيك اليوم.
· التطبيق: لا تشغل بالك بعدد الإعجابات أو الشهرة الزائفة .اهتم بأن يكون عملك صالحًا، وأثرك طيبًا .اسأل نفسك: "إذا ذُكرت بعد موتي، هل سأكون في موكب الصالحين أم في سجل الهالكين؟".

الخاتمة: من سجل الهالكين إلى ركب المؤمنين

وها نحن نغلق سجل التاريخ بعد أن تصفحنا بعض أوراقه المظلمة. لقد رأينا مواكب المكذبين، من قوم نوح إلى قوم تبع، قد تتابعت وهم في غرورهم وكبريائهم، ثم رأينا موجات العذاب قد اكتسحتهم فجعلتهم أحاديث وعبرًا. {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ}... هكذا بدأ المشهد، و{فَحَقَّ وَعِيدِ}... هكذا انتهى. بين البداية والنهاية، درس لا ينسى: أن الحق منتصر مهما تأخر، وأن الباطل زاهق مهما ظن أنه دائم.

تأمل معي! لقد ذكر الله هؤلاء الأقوام، وهم في عالم الغيب الآن، يعذبون في برزخهم، ينتظرون يوم البعث ليكتمل جزاؤهم. وفي مقابلهم، هناك المؤمنون الذين آمنوا برسلهم، كآل نوح، وصالح، ولوط، ومؤمن آل فرعون. أولئك لم يذكروا هنا، لكن نجاتهم تذكر في مواضع أخرى. والآن، الخيار أمامك: في أي الفريقين تريد أن تكون؟ في صف المكذبين الذي انتهى بهم المطاف إلى {فَحَقَّ وَعِيدِ}، أم في صف المؤمنين الذي ينتظرهم {جَنَّاتُ النَّعِيمِ}؟

اخرج من هذا التدبر وقد حملت معك زادًا من التاريخ. أمسك بيدك "عصا الاعتبار"، لتقود بها نفسك في صحراء الحياة، فلا تضل الطريق كما ضلّ الأولون. واجعل هذه الآيات مصباحًا في ظلمات الفتن، تنظر إليه كلما أوشكت أن تخطو خطوة في درب الباطل، فيذكرك: "قف! هذه هي النهاية التي انتهى إليها فلان وفلان. عد إلى الطريق قبل أن يفوت الأوان".

اقرأ الآن هذه الآيات وكأنك ترى أطلالهم، وتسمع صيحات عذابهم، وتستنشق عبرة مصيرهم. ثم قل بقلب واعٍ: "اللهم إني أعوذ بك أن أكون من الذين كذبوا رسلك، فحق عليهم وعيدك. واجعلني من عبادك الموقنين، الذين يسيرون على هدى كتابك المجيد".
{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (12) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (13) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (14)}.

المبحث الثاني

يا من طاف في سجل التاريخ، ورأى مواكب المكذبين، وسمع صدى صرخاتهم، ووقف على أطلال حضاراتهم، تعالَ بقلبك وعقلك معًا، لنقف وقفة صدق أمام سؤال يهز الوجدان والعقل، سؤال يبدد كل شك، ويكشف كل غفلة. لقد سار بنا المولى سبحانه من مشهد السماء المبنية إلى الأرض الممدودة إلى الماء المبارك، ثم عبر بنا دهاليز التاريخ فرأينا كيف دمر الجبابرة، وهنا في هذه الآية، يقف بنا وقفة المنطق المهيمن، وقفة البرهان الساطع، ليسأل سؤالا ً لا يحتاج إلى جواب، لأن الجواب مركوز في الفطرة: {أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ}.

تمهيد: لماذا هذه الآية الآن؟ وما صلتها بما قبلها؟

بعد أن أثبت الله سبحانه قدرته على البعث من خلال دورة الحياة النباتية في الآيات (9-11)، وأثبت أنه لا يعجزه شيء من خلال تدمير الجبابرة والمكذبين في الآيات (12-14)، يأتي الآن بخلاصة البرهان العقلي الأقوى والأوضح، الذي يجيب على سؤالهم الاستنكاري: {أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ}. إنه يقول لهم: "إن كنتم تستبعدون الإعادة، فانظروا إلى الابتداء. أفعيينا بخلقكم أول مرة من العدم حتى تعجزنا إعادتكم؟".

هذه الآية هي الضربة القاضية في جدل البعث. إنها انتقال من الأدلة الحسية (السماء، الأرض، النبات) والأدلة التاريخية (الأمم البائدة) إلى الدليل العقلي المحض القائم على بداهة العقل. إنها تخاطب في ا لإنسان منطقه الصريح، وتكشف عن التناقض العجيب في موقف المنكرين: كيف يعترفون بالخلق الأول وينسبونه إلى الله، ثم ينكرون قدرته على الخلق الثاني؟!

أما أهداف الآية ومقاصدها الكبرى فهي:

1. إقامة الحجة القاطعة على البعث من خلال قياس الأولى، وهو أن الإعادة أهون من الابتداء.
2. كشف التناقض العقلي في موقف المشركين الذين يقرون بالخلق الأول وينكرون البعث.
3. تحرير العقل من أوهام الاستبعاد، ليدرك أن قدرة الله لا تتقيد بقياسات البشر المادية.
4. تشخيص الداء الحقيقي وهو أن المشكلة ليست في نقص الأدلة، بل في "اللَّبْس" أي الاختلاط والا ضطراب الذهني.
5. فتح باب اليقين على مصراعيه، فإذا كان الله قادرًا على الخلق الأول بلا مثال سابق، فكيف لا يقدر على الخلق الثاني من مواد موجودة؟

أولا ً: تحليل الآية

لنغص معًا في أعماق هذه الآية القصيرة المبنى، العظيمة المعنى، التي تختزل كل براهين البعث في سؤال واحد.

المحور الأول: {أَفَعَيِينَا بِالخَلقِ الأَوّل} – سؤال الإفحام والإلزام

1/ ما دلالة الهمزة والفاء في} أَفَعَيِينَا{؟
تأمل معي وقع هذا الاستفهام! الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والفاء للعطف والربط بما سبق من آيات البعث وإهلاك الأمم. إنها تقول: "أبعد كل هذه الأدلة والبينات، وبعد كل هذه المشاهد الكونية و التاريخية، وبعد أن رأيتم قدرتنا في إحياء الأرض وفي إهلاك الجبابرة، أَفَعَيِينَا بالخلق الأول؟!". إنه استفهام يحمل في طياته التعجب من غباء هذا الاستبعاد، والتوبيخ على هذا الظن السيئ بالله. إنه يهز كيان المنكر هزًا، ويقول له: "أتفكر هذا في حق الله؟!".

2/ ما معنى} عَيِينَا{؟ وما أصل هذه الكلمة؟
العيُ هو العجز والتعب والانقطاع عن إتمام الأمر بعد محاولة. يقال: عييت بالأمر، إذا عجزت عنه ولم تهتد لوجهه. فاختيار كلمة {أَفَعَيِينَا} بدل "أفعجزنا" أو "أضعفنا" فيه سر بلاغي عظيم. فالعيُ هو العجز المصحوب ببذل الجهد، وكأن السؤال يقول: "أبذلنا جهدًا في خلقكم أول مرة فأعيَانا الأمر، حتى نظن أن الإعادة ستُعيينا؟!". إنه نفي لأن يكون الخلق قد كلف الله جهدًا أو مشقة. إنه يذكرك بقوله تعالى: {وَمَا كانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْض}، وقوله: {وَمَا مَسَنَا مِن لُغُوب}. فالله لا يتعب، ولا يجهد، ولا يعجز، ولا يستصعب عليه شيء.

3/ ما المراد بـ} الخَلقِ الأَوّل{؟ ولماذا كان الاستدلال به في غاية القوة؟
الخلق الأول هو إيجاد الإنسان من العدم. إنه الخلق الذي لم يُسبق بمثال، ولم يقم على مادة سابقة. لقد بدأ الله خلق الإنسان من تراب، ثم من نطفة، ثم سواه ونفخ فيه من روحه. وهذا الخلق الأول أعظم وأصعب (في مقاييس البشر) من الخلق الثاني. فالخلق الثاني (البعث) هو إعادة تركيب لجسم من مواد موجودة أصلا ً (التراب والعظام الرفات).
وهذا هو المنطق القرآني الفريد: قياس "الإعادة" على "الابتداء". فإذا كان الله قد خلق من العدم، أفلا يقدر على الخلق من موجود؟! إنه قياس الأولى المنطقي الذي لا يملك العقل السليم إلا التسليم به. إنها كمن يقول: "من بنى ناطحة سحاب من لا شيء، أيعجز عن إعادة بناء كوخ من حجارته المتناثرة؟ ".

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: تعظيم الله في القلب .عندما تستحضر أن الله خلقك من عدم، ولم يعيَ بذلك، يمتلئ قلبك هيبة وإجلالا ً .إن عظمة الخلق الأول تملأ النفس سكينة وثقة، فلا يبقى فيها مجال للشك في قدرة الله على أي شيء.
· رسالة تربوية: التأمل في الخلق الأول .هذه الآية تدعوك أن تتفكر في خلق نفسك:} وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ .{كيف كنت نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظامًا، ثم كسيت العظام لحمًا، ثم أنشأك الله خلقًا آخر؟ هذا التأمل يزيدك إيمانًا ويزيدك تعظيمًا لخالقك.
· رسالة عقلية: الاستدلال بالأعظم على الأصغر .إنه درس في المنطق العقلي .فإذا واجهت من ينكر البعث، قل له: "هل تعترف بأن الله خلقك أول مرة؟" .فإذا قال: نعم، قل: "فالذي قدر على الخلق من عدم، قادر على الإعادة من موجود، وهذا هو العقل".

المحور الثاني: {بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} – تشخيص الداء

1/ ما سر الإضراب بـ} بَلْ {هنا؟ وما الذي تنفي عنه الانتقال؟
}بَلْ {هنا للإضراب الانتقالي، وهي تنقلك من بيان الدليل الواضح إلى كشف العلة الحقيقية .إنها تقول: "دع عنك الحديث عن الأدلة والبراهين، فالمشكلة ليست في قوة الدليل ووضوحه، بل في قلوبهم وعقولهم .إنهم ليسوا في شك ناتج عن نقص الأدلة، بل هم في} لَبْسٍ{، أي في اختلاط واضطراب وحيرة، سببه ليس الجهل، بل الإعراض والتكذيب" .إنه نفس المعنى الذي رأيناه في قوله:} بَلْ كَذَّبُوا بِالحَقّ لَمّا جَاءَهُمْ.{

2/ ما معنى} لَبْس{؟ وما الفرق بينه وبين الشك والريب؟
اللبس هو الاختلاط والاشتباه، حيث تختلط الأمور على الإنسان فلا يميز الحق من الباطل. إنه حالة أعمق من مجرد الشك. الشك قد يكون تساؤلا ً بريئًا يطلب الجواب، أما اللبس فهو توهان واضطراب فكري لا يستقر على حال. وهو نتيجة حتمية لتكذيب الحق، كما قال تعالى سابقًا: {فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ}. فاللبس هو المرج نفسه، وهو الغطاء الذي يغشى العقل حين يرفض صاحبه نور الوحي.
إنهم في لبس واختلاط من جهة "خلق جديد"، أي من جهة البعث. هم لا يستطيعون أن يتصوروا كيف يتم هذا الخلق الجديد، لأن أذهانهم قد تلبست بالماديات، فظنوا أن قدرة الله مثل قدرتهم.

3/ لماذا قال} مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ {بدل "من البعث"؟
وصف البعث بأنه {خَلْقٍ جَدِيدٍ} فيه إشارة عجيبة. إنه ليس مجرد إعادة تجميع للعظام البالية كما كانت، بل هو خلق جديد، أي إعادة إنشاء بمواصفات جديدة تناسب الحياة الآخرة. فالناس يبعثون حفاة عراة غرلا ً، في أرض غير الأرض، وسماء غير السماء. فهم ليسوا في لبس من إعادة الخلق كما كان، بل هم في لبس من إمكانية خلق جديد بصفات جديدة.

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: فهم الذات ومرضها .الآية تعطيك أداة لتشخيص حالك .إذا وجدت في نفسك اضطرابًا أو لبسًا في أمر من أمور الدين، فاعلم أن السبب ليس في الدين، بل في قلبك أنت .لقد دخلت إلى قلبك ظلمات الإعراض، فأورثتك اللبس.
· رسالة تربوية: تعليم منهج التعامل مع الشكوك .الشك وارد، لكن علاجه ليس بالاسترسال معه، بل بـ الرجوع إلى اليقينيات .إذا شككت في أمر أخبر به الوحي، فاستحضر الأدلة القطعية الأخرى) كالخلق ا لأول(، ليزول اللبس.
· رسالة عقلية: العقل المحجوب لا العقل العاجز .المشكلة ليست في عجز العقل عن فهم البعث، بل في حجبه بنفسه عن الفهم .العقل الذي يسلم لله، يصل إلى اليقين .أما العقل الذي يريد أن يحكم على الله بقوانينه هو، فيقع في اللبس.

المحور الثالث: لطائف وحِكم من سياق الآية

1/ ما وجه الربط بين) الخلق الأول (و)خلق جديد(؟
إنهما طرفا نقيض: الخلق الأول كان من عدم، والخلق الجديد من مادة موجودة. والجمع بينهما في آية واحدة يبرز الحجة بأوضح صورة. فالذي قدر على الطرف الأصعب (الأول)، قادر على الطرف الأ سهل (الجديد). وفي تسمية البعث "خلقًا جديدًا" إشارة إلى أن قدرة الله لا تخلق شيئًا ثم تعجز عن تجديده.

2/ كيف ترتبط هذه الآية ببداية السورة وجواب القسم؟
أقسم الله في البداية بـ {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ}، وها هنا في الآية (15) نرى جواب القسم يتجسد: إن القرآن حق، وإن البعث حق، وإن قدرة الله مطلقة. إن سؤال {أَفَعَيِينَا} هو الرد على ما سبق، وهو من جواب القسم العملي الذي يثبت أن الله لا يعجزه شيء.

3/ لماذا جاءت الآية بصيغة سؤال ولم تأت بصيغة تقرير مباشر؟
لأن السؤال، وخاصة الاستفهام الإنكاري، أشد وقعًا على النفس، وأكثر إثارة للعقل. فحين تقول لمنكر البعث: "أفعيينا بالخلق الأول؟"، فإنك تحمّله هو مسؤولية الجواب، وتجبر عقله على أن يشهد على نفسه. إنها طريقة تربوية في الإقناع، تجعل المقتنع يشعر أنه هو الذي توصل إلى الحقيقة بنفسه.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآية

الأمر الأول: أسئلة تدبرية تطبيقية لتوظيف الآية في واقعك العملي

١/ سؤال الاستمداد:} أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ...{هل تستمد يقينك بالبعث من تأملك في خلقك الأول؟

· تطبيق في مواجهة الشكوك: إذا هاجمك شك في قدرة الله، أو في حقيقة البعث، فانظر إلى نفسك . تأمل في عينيك، في سمعك، في عقلك، في دقات قلبك .واسأل نفسك: "من خلق هذا من عدم؟" .إن الإجابة ستُسكت كل شك، وتجعلك تردد:} أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ.{

· تطبيق في حياتك العملية: عندما تستصعب أمرًا، تذكر أن الله الذي خلقك من عدم قادر على تيسير أمرك .قل: "اللّهم كما لم يعيك خلقي، فلا يعيك تفريج كربي" .هذا الدعاء يمنحك طاقة روحية هائلة.

٢/ سؤال القيمة:} بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ...{كيف تحول اللبس والشك إلى يقين ووضوح؟

· في طلب العلم: هل تعاني من لبس في فهم بعض الأمور الدينية؟ هذه الآية توجهك: لا تترك اللبس يتفاقم، بل اسأل أهل العلم، واطلب البيان، وأكثر من الدعاء بأن يريك الله الحق حقًا ويرزقك اتباعه.
· في قراراتك: إذا تحيرت بين أمرين) لبس(، فاستخر الله، وابحث عن الدليل الأقرب للحق .اليقين لا يأتي إلا باتباع ما جاء من عند الله .فاللبس عقوبة، والهداية جائزة.

٣/ سؤال التأثير: كيف تؤثر فيمن حولك ليخرجوا من لبسهم إلى يقين الإيمان؟

· في الحوار: عندما تتحدث مع منكر للبعث، لا تبدأ بالوعيد، بل ابدأ بمنطق هذه الآية: "أتعترف بأن الله خلقك أول مرة؟" .انقله من الجدل العاطفي إلى المنطق العقلي، لعله يفيق من لبسه.
· في التربية: علم أبناءك هذه الآية واشرحها لهم .دربهم على أن يتأملوا في خلق أنفسهم كلما وسوس لهم الشيطان بإنكار قدرة الله.

٤/ سؤال اليقين: كيف تنتقل بقلبك من العلم بأن الله على كل شيء قدير، إلى اليقين الذي لا يتزعزع ؟

· مراجعة الذات: اسأل نفسك: "هل في قلبي ذرة من لبس تجاه وعد الله أو وعيده؟" .إن وجدت، فردد هذه الآية على نفسك، وتأمل في معانيها حتى يتشربها قلبك.
· في البلاء: إذا نزل بك بلاء، واستبطأت الفرج، تذكر} أَفَعَيِينَا .{لا تقل: "كيف سيفرج الله عني؟"، بل قل: "الذي بدأني من عدم، قادر على إخراجي من هذا البلاء".

الأمر الثاني: أهم القضايا التي تعالجها الآية

· قضية الإلهيات: إثبات كمال قدرة الله ونفي العجز والتعب عنه سبحانه.
· قضية النبوات: إثبات صدق ما أخبر به الرسول ﷺ عن البعث، لأن العقل يؤيده.
· قضية السمعيات: إثبات البعث والنشور من خلال الدليل العقلي.
· قضية المعرفة: بيان أن اللبس والشكوك ليست من طبيعة العقل السليم، بل هي عوارض تعتريه بسبب الإعراض عن الحق.

الأمر الثالث: خطوات عملية لتنزيل عظمة الآية على أرض الواقع

١/ تدبر خلق نفسك يوميًا:
خصص دقيقة كل يوم تنظر فيها إلى يدك، أو تشعر فيها بنبض قلبك، وتتأمل قول الله: {أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ}. هذا التمرين يجدد يقينك ويحيي قلبك.

٢/ كتابة أدلة البعث:
اكتب في مفكرتك قائمة بالأدلة على البعث، وعلى رأسها: "دليل الخلق الأول". كلما راجعتها، ازددت يقينًا وثباتًا.

٣/ تطهير العقل من اللبس:
إذا دخلت عليك فكرة مشوشة، أو قرأت شبهة، فاستعذ بالله فورًا، وقل: "اللّهم أزل لبسي، وأرني الحق حقًا". لا تناقش الشبهة بنفسك إن كنت ضعيفًا، بل اهرب منها إلى محكمات القرآن.

٤/ تطبيق قاعدة "الأولى والأهون":
في كل مشكلة تواجهك، طبق هذه القاعدة العقلية: "من قدر على الأصعب، يقدر على الأسهل". هذا يبني فيك عقلا ً منطقيًا إيمانيًا، يجعلك واثقًا في الله.

الأمر الرابع: الدروس والعبر العملية المستخلصة من الآية

١/ قدرة الله مطلقة لا يحدها شيء:
فلا تعجز عن تصور كيف سيفرج الله همك، فقط آمن أنه قادر.

٢/ أعظم دليل على البعث هو الخلق الأول:
فاربط قلبك دائمًا بهذا الدليل، فهو حبل النجاة عند الشكوك.

٣/ المشكلة الفكرية قد تكون أخلاقية:
اللبس الذي يعانيه المنكرون ليس لقصور عقلي، بل لمرض قلبي.

٤/ العقل السليم شاهد على صحة الوحي:
فلا تظن أن الإيمان قفزة غير عقلانية، بل هو قمة العقلانية.

الأمر الخامس: كيف يكون تعميق أثر هذه الآية في حياتك اليومية؟

١/ في الصلاة:
عندما تسجد، تذكر أنك كنت عدمًا فخلقك الله، وأنك ستعود إلى الأرض، ثم ستخرج منها. اسجد وأنت تستشعر كمال قدرة الله.

٢/ في المرض:
إذا مرضت، تذكر أن الذي خلقك أول مرة قادر على شفائك. لا تيأس من روح الله، وعلق قلبك به وحده.

٣/ في الدعوة:
قدم هذا الدليل العقلي للشباب المتأثر بالإلحاد. قل لهم: "إنكار البعث معناه أن الذي بدأ الخلق عجز عن إعادته، وهذا لا يمكن في حق الله".

الأمر السادس: أهم الرسائل والتوجيهات من الآية في حياتنا العملية

· إذا استصعبت أمرًا، فانظر إلى خلقك الأول، واعلم أن الله لا يعجزه شيء.
· إذا دخل عليك لبس وشك، فبادر إلى طلب اليقين من منابع الوحي.
· لا تخف من المستقبل، فالذي خلق مستقبلك يعلمه ويقدر عليه.
· المنطق والعقل ليسا ضد الإيمان، بل هما جناحاه اللذان يحلق بهما.

ثالثا: أهم المفاهيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد الآية وآفاقها

· البعد العقدي الإيماني: ترسيخ صفة "القدرة" لله سبحانه، وأنها مطلقة.
· البعد المنطقي العقلي: تقديم أسلوب "قياس الأولى" الذي يفحم المنكرين.
· البعد النفسي العلاجي: كشف أن اللبس هو حالة مرضية تحتاج إلى علاج إيماني.

الأمر الثاني: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

· مفهوم بناء اليقين على أساس العقل: اليقين المبني على التفكر في الخلق الأول لا تزعزعه الشبهات.
· مفهوم التنمية الفكرية بحلّ الإشكالات: مواجهة الشبهات المثارة حول البعث بالمنطق والبرهان.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "منطق الأولى":
· التفصيل: هو أعظم سلاح عقلي في مواجهة كل من ينكر قدرة الله في أي مجال) الرزق، النصر، الشفاء، البعث.(
· كيفية التطبيق: درب نفسك على استخدامه .مثلا ً: من خلقك من نطفة، قادر على أن يرزقك . من خلق السمع والبصر، قادر على أن يشفيهما.

· مفهوم حل المشكلات من الجذور:
· التفصيل: الآية لا تعالج سطح الشك، بل تعالج جذره .إنها تقول: المشكلة ليست في عقلك، بل في لبسك.
· كيفية التطبيق: عندما تواجه مشكلة في حياتك) سلوكية، نفسية، فكرية(، لا تعالج الأعراض فقط، بل ابحث عن الجذر .جذر المشاكل هو البعد عن الله.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية (بشكل مفصل)

· المفاهيم النفسية:
.1 مفهوم اليقين كعلاج للقلق الوجودي:
· التفصيل: القلق من الموت والفناء هو أعمق قلق بشري .هذه الآية تمنحك اليقين بأن الموت ليس نهاية، بل هو انتقال .أنت لم تكن شيئًا فخلقك الله، وستموت ثم تبعث .هذا اليقين يحررك من الرعب الوجودي.
· التطبيق العملي: عند الخوف من الموت، ردد هذه الآية، وتأمل في رحلتك: عدم، ثم خلق، ثم موت، ثم بعث .أنت في يد الله في كل هذه المراحل.
.2 مفهوم التواضع الفكري:
· التفصيل: الاعتراف بأن العقل البشري قاصر عن إدراك كيفية الخلق الأول والثاني، ولكنه قادر على الإيمان بإمكانيتهما، هو تواضع فكري صحي .أما من يريد أن يدرك "كيف" بكل شيء فيقع في اللبس .الآية تهمس لك: "سلم عقلك لخالقه تعش في راحة".
· التطبيق العملي: عندما يصعب عليك فهم أمر غيبي، لا ترفضه، بل قل: "آمنت به، وعلمه عند ربي".
· المفاهيم الفكرية:
.1 مفهوم الاستدلال بالخلق على الخالق :
· التفصيل:} أَفَعَيِينَا بِالخَلقِ الأَوّل {هو دليل كوني على وجود الله وقدرته .إنها صياغة قرآنية معجزة لهذا الدليل الفلسفي العميق .كل مخلوق هو برهان على خالقه.
· التطبيق العملي: استخدم هذا الدليل في حواراتك .الكون، الإنسان، الحياة ...كلها أدلة على الله.
.2 مفهوم تفنيد الشبهات بالبراهين:
· التفصيل: القرآن لم يترك الشبهة تمر، بل فنّدها .شبهتهم: استبعاد البعث .جوابه:} أَفَعَيِينَا .{هذا يعلمنا أن الشبهات تُعالج بالحجج، لا بالقمع أو التجاهل.
· التطبيق العملي: اقرأ شبهات الملحدين وردود العلماء عليها، لتكون على بصيرة.
· المفاهيم التربوية:
.1 مفهوم التربية على التساؤل الاستدلالي:
· التفصيل: السؤال} أَفَعَيِينَا {يعلمنا أن نربي أبناءنا على أسلوب السؤال الذي يثير العقل ويقوده للإجابة بنفسه .بدل أن تقول لابنك: "الله قادر"، اسأله: "من الذي خلقك؟ أفيقدر على أن يبعثك؟" . سيجيب هو بالإيمان.
· التطبيق العملي: استخدم أسلوب الأسئلة الاستدلالية مع أطفالك وطلابك، فهم يتعلمون أكثر عندما يكتشفون الإجابة بأنفسهم.
.2 مفهوم تزكية العقل ليكون أداة يقين:
· التفصيل: العقل نعمة .لكنه يحتاج لتزكية بالوحي حتى يعمل بشكل صحيح .الآية تربيك على استخدام عقلك فيما ينفع) التفكر في الخلق(، وتنهى عن استخدامه فيما يضر) الخوض في الشبهات.(
· التطبيق العملي: خصص وقتًا يوميًا للتفكر في خلق الله، ووقتًا لقراءة القرآن، فهذا غذاء العقل ونوره.

الأمر الخامس: كيف نحول مفاهيم الآية إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية؟

.1على مستوى بناء الإنسان:
· تحويل العقل إلى مصباح إيمان: بتدريبه على الاستدلال بالخلق الأول على الخالق، وبربطه الدائم بالله، يتحول العقل من مجرد أداة لحل المشكلات الدنيوية إلى مصباح ينير طريق الإيمان واليقين.
.2على مستوى بناء المجتمع:
· مجتمع لا تهزه الشبهات: إذا تربى أفراد المجتمع على مثل هذه البراهين القاطعة، أصبح مجتمعًا محصنًا ضد موجات الإلحاد والتشكيك .فالشبهات تسقط أمام جدار} أَفَعَيِينَا بِالخَلقِ الأَوّل.{
.3على مستوى بناء الحضارة:
· حضارة العلم واليقين: الحضارة الإسلامية قامت على يقين أن لهذا الكون خالقًا عليمًا قديرًا .هذا

اليقين هو الذي أطلق العنان للبحث العلمي، فالعالم المسلم يبحث في الكون ليكتشف آيات الله التي تدل على قدرته، فيزداد إيمانًا، ويبني حضارة نافعة للبشرية.

رابعًا: المهارات الحياتية المعرفية والعملية التي نتعلمها من الآية

أولًا: المهارات المعرفية

1.مهارة الاستدلال بالأولى
· التفصيل: هي أعلى مراتب الاستدلال المنطقي، حيث تثبت حكمًا في مسألة) البعث (عن طريق قياسها على مسألة أخرى أولى منها) الخلق الأول .(هي مهارة عقلية متقدمة.
· التطبيق: في حياتك، إذا قال لك أحد: "لا أستطيع أن أسامح فلانًا على خطئه الكبير"، ذكره بالأولى: "أليس الله قد سامحك على ذنوبك الكبيرة؟ فالذي قدر على مغفرة الأكبر، قادر على أن يجعلك تسامح".
2.مهارة كشف التناقض:
· التفصيل: الآية تفضح تناقض المشركين الذين يقرون بالخلق الأول وينكرون البعث .تعلم هذه المهارة لتكتشف التناقض في كلام الآخرين وفي تفكيرك.
· التطبيق: إذا وجدت نفسك تقول شيئًا وتفعل نقيضه، فأنت في تناقض .اسأل نفسك: "كيف أقر برحمة الله وأيأس من رحمته؟" .اكتشاف التناقض هو أول طريق العلاج.

ثانيًا: المهارات العملية
1.مهارة بناء الثقة بالنفس من الثقة بالله:
· التفصيل: إذا كان الله لم يعيَ بخلقك الأول، فمعناه أنك خلقت بقدرة وإتقان .هذا يعطيك قيمة عظيمة وثقة بنفسك .أنت لست كتلة تراب، بل أنت صنيعة الله الذي لا يعجزه شيء.
· التطبيق: عندما تشعر بقلة القيمة، تذكر هذه الآية .أنت مشروع إلهي بديع، فامش في الأرض بثقة المؤمن بربه.
2.مهارة التعامل مع الفشل بالرجوع إلى الأصل:
· التفصيل: عندما تفشل في مشروع، عد بذهنك إلى الأصل .تذكر أن الله الذي أنشأك من عدم، قادر على إعادة بنائك من جديد، وعلى إنعاش مشاريعك الميتة.
· التطبيق: بعد أي فشل، لا تقل "انتهيت"، بل قل:} أَفَعَيِينَا بِالخَلقِ الأَوّلِ .{انفض غبار الفشل، وابدأ من جديد، فربك الذي بدأك قادر على تجديدك.

الخاتمة: من سؤال الإفحام إلى سكون الإيمان

وها نحن نقف عند هذه الآية التي تعد ذروة البراهين العقلية في سورة ق. لقد بدأنا رحلتنا مع السورة بـ {ق وَالقُرآنِ المَجِيدِ}، وسرنا معها في دروب الكون والتاريخ والعقل، حتى وصلنا إلى هذا السؤال الذي لا يملك العقل السليم إلا أن يجثو على ركبتيه أمامه خاشعًا مذعنًا: {أَفَعَيِينَا بِالخَلقِ الأَوّلِ}.

لا، يا رب... ما عييت، ولا تعبت، ولا كلفتك خلقي شيئًا. كنت عدمًا فخلقتني، ونطفة فسويتني، وطفلًا فنشأتني، وستقبض روحي ثم تعيدني. كيف أعجزك بالإعادة وأنت لم تعجز بالابتداء؟!

هذا هو منطق اليقين. فليكن هذا السؤال زادك في مواجهة كل شك، وحصنك عند كل فتنة. كلما قال لك شيطان الإنس أو الجن: {مَن يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ}، فقل بقلب مطمئن: {أَفَعَيِينَا بِالخَلقِ الأَوّلِ}. وكلما ضاق صدرك من بلاء، فقل: {أَفَعَيِينَا بِالخَلقِ الأَوّلِ}. وكلما استبطأت نصر الله، فقل: {أَفَعَيِينَا بِالخَلقِ الأَوّلِ}.

اخرج من هذا التدبر وقد أصبحت هذه الآية سلاحك الفكري، وراحتك النفسية. اقرأها بتدبر، واسجد لله شكرًا أن هداك لهذا اليقين. {أَفَعَيِينَا بِالخَلقِ الأَوّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلقٍ جَدِيدٍ (15)}.

القسم الرابع

المبحث الأول

يا من يبحث عن الأنس في زمن الوحشة، ويا من يطارده شعور بأنه منسيّ في زحام هذا الكون، ويا من تساوره الوساوس، وتعتصر قلبه الهموم، ويظن أن لا أحد يفهمه، ولا أحد يعلم حقيقة ما يعانيه... تعالَ بقلبك وعقلك معًا، لندخل إلى رحاب آية هي من أعظم آيات الأنس والمراقبة في كتاب الله. إن

كنتَ قد شعرتَ وأنت تقرأ في الآيات السابقة بعظمة الله في الكون والتاريخ، فاستعد الآن لتشعر بقرب الله منك أنت شخصيًا، قربًا يذهل العقول، ويسكب في القلب الطمأنينة، ويراقب الضمير أشد المراقبة.

تمهيد: لماذا هاتان الآيتان الآن؟ وما صلتهما بما قبلهما؟

بعد أن عرضت الآيات السابقة الأدلة الكونية (السماء والأرض والنبات) على عظمة الخالق، والأدلة التاريخية (الأمم البائدة) على قدرته وعدله، ثم قدمت الدليل العقلي القاطع على البعث (الخلق الأول)... يأتي الخطاب هنا ليتحول تحولاً مذهلاً من آفاق الكون الفسيحة، ومن دهاليز التاريخ الغابرة، ينزل بك القرآن إلى أعماق نفسك، إلى سريرتك، إلى ما يدور في خاطرك. كان الحديث عن "هم"، عن الغائبين المكذبين، فإذا به يتحول فجأة إلى "أنت"، إلى المخاطب الحاضر، فيقول: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ}.

إنها نقلة عجيبة. بعد أن أقام الحجة على الكافرين، أراد أن يوقظ قلب المؤمن، ويربط على قلبه، ويذكره بمن هو، وبمن معه. إنه ينتقل من إثبات "قدرة الله" إلى إثبات "علم الله" و"قربه"، ليبني على ذلك كله حقيقة "المراقبة". فبعد أن بين أن الله قادر على البعث، بين هنا أن الله عالم بكل شيء، محيط بكل شيء، قريب من كل شيء. وهذا العلم والقرب هما أساس الحساب يوم البعث.

أما أهداف هذه الآيات ومقاصدها الكبرى فهي:

1. غرس "المراقبة الإلهية" في قلب الإنسان: ليشعر بأنه لا ينفك عن نظر الله وعلمه في كل أحواله.
2. الأنس بالقرب الإلهي: فالله ليس فقط خالقًا عظيمًا، بل هو قريب لطيف، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.
3. تشخيص طبيعة النفس البشرية: وأنها عرضة للوساوس، ولكن الله يعلمها وسيحاسب عليها بما تطيق.
4. بيان نظام التسجيل الإلهي الدقيق: وأن هناك ملائكة لا تغفل عن قول ولا فعل، تمهيدًا للحساب.
5. التحذير من الغفلة عن هذا القرب: فمن أيقن أن الله أقرب إليه من حبل وريده، انضبطت جوارحه، وخشع قلبه.

أولاً: تحليل الآيات

هلمّ بنا نغوص في هذه الجواهر، ونستخرج كنوزها التي تلامس شغاف القلب.

المحور الأول: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ} – خالقية الله وعلمه بالسرائر

1/ ما دلالة التوكيد بـ) اللام (و)قد (في} وَلَقَدْ خَلَقْنَا{؟
تأمل معي! اللام واقعة في جواب قسم محذوف، و(قد) للتحقيق. والمعنى: "والله لقد خلقنا الإنسان". إنه توكيد مضاعف، يهز كيانك لتنتبه: أنت مخلوق! أنت صنيعة الله! هذه الحقيقة هي أساس كل ما سيأتي. فأنت أيها الإنسان، بجسمك، ونفسك، وعقلك، وضميرك، أنت مخلوق لله سبحانه. وإذا كان هو خالقك، فهو أعلم بك من نفسك، كما قال: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}. فالخلق يستلزم العلم.

2/ لماذا جاء التعبير بـ} الْإِنسَانَ{؟ وما مدلوله هنا؟
"الإنسان" هنا اسم جنس يشمل كل فرد من بني آدم، مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم. إنها رسالة للجميع: أنت أيها الإنسان، في أي بقعة كنت، وفي أي زمان عشت، مشمول بهذا العلم. لقد خلقناك، ونحن نعلم كل ما يدور في نفسك. هذا التعميم يعطي شعورًا بالمسؤولية الفردية، فكل واحد مخاطب ومعني بهذا العلم والقرب.

3/} وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ...{ما هي الوسوسة؟ ولماذا خصها بالذكر؟
الوسوسة هي حديث النفس الخفي، والكلام الدقيق الذي لا يكاد يُسمع، والهواجس التي تتحرك في الصدر دون أن ينطق بها اللسان. أصلها من "وسوسة الحلي" أي صوته الخفي. وخصّها الله بالذكر لأنها أعمق درجات السر. فأنت قد تخفي كلامك عن الناس، وقد تخفي أفعالك عنهم، ولكن هل تستطيع أن

تخفي وساوس نفسك؟ هذه الوساوس هي عالمك السري الذي لا يطلع عليه أحد. يخبرك الله هنا أنه يعلم هذا كله! إنه إعلان عن إحاطة علمه ببواطن الأمور، لا بظواهرها فقط. إنها دعوة لتنقية القلب، فـ الذي يعلم الوسوسة هو الذي سيحاسب على ما استقر في القلب من عزم وإرادة.

4/ ما الفرق بين علم الله بالوسوسة وعلم البشر ببعضهم؟
البشر قد يعرفون ظواهر أعمالك، وقد يسمعون ألفاظك، أما ما يختلج في صدرك، وما تفكر فيه وأنت مستلق على فراشك، وما يمر بخاطرك وأنت في صلاتك، فهذا لا يعلمه إلا الله. وفي هذا طمأنة عجيبة للمؤمن، وتخويف شديد للكافر. فالمؤمن يأنس بأن ربه يعلم همه وغمه وحيرته دون أن ينطق، والكافر يرتعب لأن ربه يعلم كفره وكيده وإن أضمره.

5/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: أنت مفهوم، أنت معلوم. إن شعورك بأن هناك من يعلم ما في نفسك تمامًا، دون أن تضطر لشرحه، يبدد وحشة القلب، ويمنحك أنسًا لا حدود له. الله يعلم معاناتك، يعلم حيرتك، يعلم صراعك الداخلي، وهذا كافٍ لأن يريحك.
· رسالة تربوية: تربية الضمير الحي. استشعار أن الله يعلم الوسوسة، يرتقي بضميرك إلى أعلى درجات اليقظة. فأنت لا تتعامل مع رقيب خارجي يرى أفعالك فقط، بل مع رقيب داخلي يعلم نواياك وخفاياك. هذه هي التربية الإيمانية للضمير.
· رسالة عقلية: استحالة الفرار من الله. إذا كان الله يعلم أخفى الخفايا، فكيف يفر منه أحد؟ وكيف يظن ظان أنه يستطيع أن يخفي شيئًا عن الله؟ هذا يقطع الطريق على كل من يحاول أن يراوغ أو يخادع.

المحور الثاني: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} – قمة القرب الإلهي

1/ ما سر التعبير بـ} وَنَحْنُ {ضمير العظمة؟ وما علاقته بالقرب؟
تأمل معي هذا الجمع بين العظمة والقرب! "نحن" ضمير العظمة، وهو يوحى بالجلال والهيبة. ومع ذلك ، يكمل: {أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}. إنه سبحانه يجمع بين إثبات عظمته وجلاله، وإثبات قربه الشديد من عبده. فهو العظيم في ملكوته، القريب من قلبك. هذا الجمع لا نجده عند أحد من الخلق؛ فالملوك والعظماء يحتجبون عن رعاياهم، أما الله فمع عظمته قريب. وهذا يزرع في قلبك مزيجًا فريدًا من "الهيبة" و"الأنس" في آن واحد.

2/} أَقْرَبُ إِلَيْهِ ...{أقرب ممن؟ وماذا يعني هذا القرب؟
قرب الله من الإنسان ليس قربًا مكانيًا، بل هو قرب علم وإحاطة وقدرة ورحمة. إنه أقرب إليه من كل شيء، حتى من نفسه! {مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} هو مثل ضربه الله لشدة القرب. حبل الوريد هو العرق الكبير الذي في باطن العنق، وهو أقرب شيء إلى الإنسان من جسده، وهو مجرى الدم الذي به حياته. فـالله سبحانه أقرب إلى الإنسان من عرق عنقه الذي لا يفارقه! إنه قرب لا يمكن تخيله، قرب يحيط بك من كل جانب. إنه قرب العلم الخبير، والنصير، والرقيب، والمجيب.

3/ كيف يتحول هذا القرب من عقيدة نظرية إلى طاقة حياة؟
إذا أيقنت أن الله أقرب إليك من حبل وريدك، فإن هذا سيغير كل شيء في حياتك:

· في حزنك: ستعلم أن الله أقرب إليك من دمعك الذي يسيل، فهو يراه ويعلم سببه، وسيجبرك.
· في فرحك: ستعلم أن الله قريب يرى شكرك، ويزيدك من فضله.
· في معصيتك: ستستحي أشد الحياء! كيف تعصي من هو أقرب إليك من نفسك؟!
· في دعائك: لن تحتاج أن ترفع صوتك، فهو يسمع الهمس والوسوسة، فكيف بالدعاء الخفي؟

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الأنس المطلق بـالله. هذه الآية هي أعظم علاج للوحدة النفسية. أنت لست وحدك أبدًا! هناك من هو أقرب إليك من حبل وريدك، يرعاك، يحرسك، يعلمك، يحبك. هذا الشعور يمنحك طمأنينة وسكينة لا توصف.
· رسالة تربوية: التربية على الحياء من الله. استحضار هذا القرب في كل لحظة يورثك حياءً عظيمًا من الله. حياء يمنعك من المعصية قبل أن تمنعك منها خشية الناس أو الخوف من القانون. إنها رقابة

ذاتية مصدرها الحب والجلال.
· رسالة عقلية: إدراك شمولية العلم الإلهي. العقل يدرك أن القرب المكاني مستحيل على الله، فيرتفع إلى إدراك أن المراد هو قرب العلم والإحاطة، وهذا أعظم وأبلغ. فالله ليس فقط محيطًا بك، بل هو محيط بما في داخلك.

المحور الثالث: {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} – نظام التسجيل الدقيق

1/ لماذا جاء ذكر الملائكة بعد ذكر علم الله وقربه؟ وما الحكمة منه؟
بعد أن أثبت الله علمه المطلق وقربه الذاتي، أقام نظامًا ملائكيًا للتسجيل. لماذا؟ مع أنه لا يحتاج إليه؟ الحكمة هنا متعددة:

· إقامة الحجة على الإنسان: ليكون للإنسان سجل مكتوب يشهده، فيكون ذلك أبلغ في إظهار العدل.
· لطف الله بعبده: أن يقيم له ملائكة تحفظ أعماله وتكتبها، مما يعطي العمل قيمته.
· شعور المؤمن بالأهمية: أن الله يقيض ملائكة كرامًا لتسجيل أقواله، هذا يشعره بقيمته عند الله.

2/} إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ ...{ما معنى) يتلقى (و)المتلقيان(؟
(يتلقى) أي يتسلم ويتلقف ما يصدر عن الإنسان من قول أو فعل. و(المتلقيان) مثنى، وهما الملكان الموكلان بكل إنسان. لقد جعلهما الله يتقبلان العمل ويكتبانه. فالعمل الصالح يُتلقى بصدر رحب، و العمل السيء يُسجل بحسرة.

3/} عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ...{لماذا اليمين والشمال؟ وما معنى) قعيد(؟
قعيد بمعنى قاعد، أي ملازم للإنسان لا يفارقه، كالجليس. واحد عن اليمين يكتب الحسنات، وواحد عن الشمال يكتب السيئات. في هذا الترتيب إشارة إلى شمول المراقبة، فالإنسان محاط بالملائكة من الجانبين، لا يغفلان عنه، ولا يتركانه لحظة. إنهما "قعيدان"، أي جليسان ملازمان، يرافقانك أينما كنت، في الخلاء والملأ، في الليل والنهار.

4/} مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ...{ما دقة هذا الوصف!

· {مَّا يَلْفِظُ}: اللفظ هو رمي الكلمة من الفم. و"ما" للنفي، أي لا يرمي ولا ينطق بأي قول.
· {مِن قَوْلٍ}: نكرة في سياق النفي فتعم كل قول، صغيرًا كان أم كبيرًا، جادًا أم هازلا ً، حقًا أم باط لا ً.
· {رَقِيبٌ}: أي ملك يراقب القول ويكتبه، وهو رقيب حاضر لا يغيب.
· {عَتِيدٌ}: أي حاضر مُعَدّ، لا يغيب ولا يتأخر، بل هو جاهز دائمًا للتسجيل. فالسجل مفتوح دائمًا، و القلم لا يجف. هذه المراقبة تجعلك تتحكم في لسانك أشد التحكم.

5/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: وزن الكلمة. لا شيء يضيع! كل كلمة تخرج من فمك لها وزن، ولها أثر، ولها تسجيل. هذا يحررك من آفة الثرثرة والكلام الفارغ، ويدفعك لأن تجعل كلامك إما خيرًا وإما صمتًا.
· رسالة تربوية: التربية على المسؤولية اللفظية. إن معرفة أن هناك "رقيب عتيد" يكتب كل لفظ، هو أعظم ضابط للسان. كم من كلمة أهلكت صاحبها! وكم من كلمة أنجته! هذه الآية تجعلك تعيد النظر في كل رسالة تكتبها، وكل تعليق تنشره، وكل حديث تجريه.
· رسالة عقلية: دقة النظام الإلهي. إن إقامة هذا النظام الدقيق للتسجيل (ملكان، يمنة ويسرة، رقيب عتيد) يدل على أن هذا الكون له إله حكيم عليم، لا يترك شيئًا سدى، وأن هناك حسابًا آتيًا لا محالة.

المحور الرابع: لطائف وحِكم من سياق الآيات

1/ ما وجه الجمع بين علم الله) الآية (16 وتسجيل الملائكة) الآية17 -(18؟
إنه كمال العلم والإحاطة. الله يعلم السر وأخفى، وهذا يكفي للحساب. ولكن من كمال عدله ورحمته، جعل الملائكة تكتب شهادة على الإنسان، لتكون الحجة ظاهرة بادية يوم القيامة، فيقرأ الإنسان كتابه ويرى أعماله مسطرة.

2/ ما سر الانتقال من "الوسوسة" إلى "اللفظ"؟
الوسوسة هي عالم النوايا والخواطر، واللفظ هو عالم الأقوال الظاهرة. الله جمع بينهما ليبين لك أن الرقابة تشمل الداخل والخارج، السر والعلن. فما يختلج في صدرك معلوم لله، وما ينطق به لسانك مسجل عند الملائكة. إنها دائرة مراقبة كاملة لا منفذ منها إلا بالإيمان والعمل الصالح.

3/ كيف ترتبط هذه الآيات بالآيات السابقة عن البعث؟
إن إثبات هذا العلم المطلق وهذا التسجيل الدقيق هو التمهيد المنطقي للبعث والحساب. فلا يمكن أن يكون هناك حساب عادل دون تسجيل دقيق. فاللّٰه لما أراد أن يثبت البعث، أثبت قبله مقدماته: العلم ، والقدرة، والتسجيل. فهذه الآيات تقول لك ضمنًا: "كما أن تسجيل الأعمال حق، فالبعث والحساب حق".

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات

الأمر الأول: أسئلة تدبرية تطبيقية لتوظيف الآيات في واقعك العملي

١/ سؤال الاستمداد:} وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ...{هل تستمد أنسك وسكينتك من يقينك بأن اللّٰه يعلم سرك ونجواك؟

· تطبيق في الشدة النفسية: عندما تعاني من قلق داخلي، أو صراع نفسي، أو همّ لا تستطيع البوح به لأحد... تحدث إلى اللّٰه مباشرة، بلا صوت، بلا ألفاظ. فقط استحضر قلبه، واعلم أنه يعلم وسوستك. هذا هو الترياق الإلهي للقلق.
· تطبيق في الشعور بالفهم: كم مرة شعرت أن لا أحد يفهمك؟ هذه الآية تقول لك: اللّٰه يفهمك. هو يعلم لماذا فعلت ما فعلت، ويعلم ظروفك ونواياك. اركن إليه، فهو الحكم العدل الذي لا يظلم أحدًا.

٢/ سؤال القيمة:} وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ...{كيف تجعل هذه القيمة) القرب الإلهي (حية في سلوكك؟

· في معصيتك: إذا وسوس لك الشيطان بمعصية، استحضر فورًا صورة القرب هذه. تخيل أن الذي هو أقرب إليك من حبل وريدك يراك! أيمكن أن تعصيه وهو بهذا القرب؟! هذا الخيال الإيماني يهدم دواعي المعصية.
· في دعائك: لا تستعجل الإجابة. تذكر أنه أقرب إليك مما تتخيل، وأن تأخر الإجابة لحكمة يعلمها، وأن سؤالك لم يضع، بل هو معلوم مسموع.

٣/ سؤال التأثير:} مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ...{كيف تؤثر هذه الآية في جودة كلامك وء لاقاتك؟

· تصفية الحديث: قبل أن تتكلم، اسأل نفسك: "هل سيسعدني أن أرى هذه الكلمة في صحيفتي يوم القيامة؟". هذا السؤال سيصفّي حديثك من الغيبة والنميمة والكذب واللغو.
· بناء الجسور لا هدمها: استخدم كلماتك في نشر الخير، في كلمة طيبة، في مصالحة، في تشجيع، في ذكر اللّٰه. اجعل "الرقيب العتيد" شاهدًا لك لا عليك.

٤/ سؤال اليقين: كيف تراقب وساوس نفسك كما تراقب ألفاظ لسانك؟

· محاسبة الخواطر: لا تترك الخواطر السيئة تتمكن من نفسك. تذكر أن اللّٰه يعلمها، فجاهدها. إذا خطر ببالك سوء ظن بأخيك، فاستغفر فورًا وقل: "اللّٰهم طهر قلبي من هذه الوسوسة".

الأمر الثاني: أهم القضايا التي تعالجها الآيات

· قضية علم اللّٰه وشموليته: العلاقة بين علم اللّٰه بالسر والعلن، وأثر ذلك على سلوك الإنسان.
· قضية القرب الإلهي: طبيعة هذا القرب (علم، قدرة، رحمة) وما يثمره من أنس وحياء.
· قضية الملائكة ووظائفهم: دورهم في تسجيل الأعمال وإقامة الحجة.

· قضية خطورة اللسان: وأن الكلمة ليست مجرد هواء، بل هي فعل مسجل ومحاسب عليه.

الأمر الثالث: خطوات عملية لتنزيل عظمة الآيات على أرض الواقع

١/ تخصيص وقت للحديث السري مع الله:
اجعل لك وقتًا في السحر أو في أي وقت، تحدث فيه إلى الله بلا صوت، فقط بقلبك. عبر عن همومك، عن مخاوفك، عن آمالك. استشعر أن {وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ} يحيط بك.

٢/ تطبيق "سوار الوريد":
ضع سوارًا بسيطًا على معصمك (أو خيطًا)، وكلما وقع بصرك عليه، تذكر: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}. هذا التذكير البصري سيربط قلبك بالله طوال اليوم.

٣/ تدقيق الكلمة قبل إطلاقها:
تبنى قاعدة: "ثلاث ثوانٍ قبل أي رد فعل". في هذه الثواني، تخيل الملكين، وتذكر أن الكلمة التي ستقولها ستُكتب. هذا سينقذك من آلاف المشكلات.

٤/ مراجعة السجل اليومي) محاسبة النفس(:
قبل النوم، تخيل أن "الرقيب العتيد" قد أنهى تقرير يومك. راجع أبرز ما قلته وفعلته. اسأل نفسك: "هل أنا راضٍ عن هذا التقرير؟". هذه المراجعة تجعلك تبدأ يومًا جديدًا بوعي أعلى.

الأمر الرابع: الدروس والعبر العملية المستخلصة من الآيات

١/ أنت في معية الله الدائمة:
فلا تشعر بالوحدة أبدًا. الله أقرب إليك من كل شيء.

٢/ سرك ليس سرًا على الله:
فكن صادقًا مع نفسك، فالذي يعلم الوسوسة يعلم حقيقتك.

٣/ الكلمة مسؤولية عظيمة:
فلا ترمِ بالكلمات كيفما اتفق، فهي مسجلة عليك.

٤/ الحياء من الله هو أعظم وازع:
فالذي يمنعك عن المعصية هو استشعار قربه، لا الخوف من الفضيحة بين الناس.

الأمر الخامس: كيف يكون تعميق أثر هذه الآية في حياتك اليومية؟
١/ في خلواتك:
أنت في أشد حالات الأنس، لأن الله معك. فلا تكن في خلواتك شقيًا بالمعصية، بل كن سعيدًا بـ الطاعة.

٢/ في ضيقك:
ارفع قلبك إلى الله، فهو يعلم ما بك دون أن تنطق.

٣/ في مجالسك:
كن مستمعًا أكثر منك متكلمًا، وإذا تكلمت فتكلم بخير.

٤/ في توبتك:
إذا أذنبت، فتب فورًا، ولا تؤجل. فالذي يعلم وسوستك يعلم توبتك وندمك.

الأمر السادس: أهم الرسائل والتوجيهات من الآيات في حياتنا العملية

· لا تقل: "لا أحد يفهمني"، فالله يعلم وسوستك.
· لا تشعر بالوحدة، فالله أقرب إليك من حبل وريدك.
· فكر قبل أن تنطق، فكل كلمة في سجل لا يمحى.
· ابنِ علاقتك مع الله على الأنس والحياء، لا على الخوف وحده.

ثالثاً: أهم المفاهيم من الآيات

الأمر الأول: أبعاد الآيات وآفاقها

· البعد النفسي الوجداني: تأسيس أعظم مشاعر الأنس، وإزالة مشاعر الوحدة والقلق الوجودي.
· البعد الأخلاقي السلوكي: إقامة أرقى نظام للرقابة الذاتية يقوم على الحياء والحب، لا على البوليس الخارجي.
· البعد العقدي المعرفي: تعميق الإيمان بصفات الله (العليم، القريب) وملائكته (الرقيب العتيد).

الأمر الثاني: مفاهيم البناء والتنمية من الآيات

· مفهوم بناء "الإنسان المراقِب" لا "الإنسان المراقَب": بناء الشخصية الإنسانية التي تنبع أخلاقها من داخلها (من إيمانها بالرقيب القريب)، لا من خوفها من رقيب خارجي. هذا الإنسان هو الأقدر على التنمية والإبداع لأنه حر من الداخل، منضبط بضميره.
· مفهوم تنمية اللسان والبيان: تحويل اللسان من آلة للهدم (غيبة، نميمة) إلى أداة للبناء (كلمة طيبة، تعليم، إصلاح ذات البين).

الأمر الثالث: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية

· مفهوم الجودة من خلال "الرقيب العتيد":
· التفصيل: إذا كنت تعمل وحدك، أو في مكان لا رقيب فيه من البشر، فكيف يكون أداؤك؟ هذا المفهوم يجعلك تتقن العمل، لأنك تعلم أن الرقيب الحقيقي موجود، وأنه يسجل "إتقانك" أو "غشك".
· كيفية التطبيق: قبل أن تنهي عملا ً، اسأل نفسك: "هل سأفرح برؤية هذا العمل مسطرًا في صحيفة أعمالي؟".
· مفهوم الصحة النفسية بالقرب الإلهي):
· التفصيل: كثير من العلاجات النفسية الحديثة تقوم على استشعار وجود كيان داعم. أما المؤمن فلديه أعظم داعم، وهو الله القريب. هذا المفهوم يمنحه مناعة نفسية ضد الاكتئاب والقلق.
· كيفية التطبيق: في لحظات الخوف، ضع يدك على صدرك، واستشعر قرب الله منك، وقل: "يا رب، أنت أعلم بي وأقرب إليّ، اطمئن قلبي بذكرك".

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيات (بشكل مفصل)

· المفاهيم النفسية:
1. مفهوم التطهير بالمراقبة
· التفصيل: ليس كما في الثقافة الحديثة حيث المراقبة تثير القلق والتوتر، المراقبة الإلهية هنا تطهر النفس. استشعار أن الله والملكين يراقبون، يجعل النفس تتطهر من أوساخ الغفلة، فتصبح نقية شفافة.
· التطبيق العملي: في جلسة محاسبة يومية، استحضر أن كل ما قلته وفعلته قد سُجّل. هذا يجعلك تشعر بالمسؤولية، فتبادر إلى التوبة والاستغفار، فتتطهر نفسك أولا ً بأول.
2. مفهوم الأمن العاطفي:
· التفصيل: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} يمنح الإنسان شعورًا بأنه محاط بالحب والرعاية من أقرب نقطة إليه. هذا يبني "أمانًا عاطفيًا" جوهريًا، يجعله قادرًا على مواجهة العالم بثقة.
· التطبيق العملي: عند مواجهة موقف اجتماعي يسبب لك الرهاب أو الخوف، تذكر أن الله أقرب إليك من هذا الخوف نفسه، فاهدأ واطمئن.
· المفاهيم الفكرية:
1. مفهوم تفعيل العقل للرقابة الذاتية:
· التفصيل: العقل هو الذي يتلقى فكرة "الرقيب العتيد" ويصدقها ويحولها إلى سلوك. الآية تدرب العقل على أن يكون هو الرقيب الأول على الجوارح، قبل الملائكة! فالملائكة تسجل، لكن العقل

هو الذي يوجه.
· التطبيق العملي: درب عقلك على أن يكون دائم اليقظة. قل له: "أنت المسؤول الأول، لسانك، عينك، أذنك... أنت ستحاسب قبل غيرك".
2. مفهوم نفي فكرة الإله الغائب:
· التفصيل: كثير من الفلسفات تؤمن بإله خلق الكون ثم انسحب وتركه. هذه الآية تهدم هذا المفهوم هدمًا. الله ليس إلهًا غائبًا، بل هو أقرب إلينا من حبل الوريد، فعال، مدبر، رقيب.
· التطبيق العملي: في جدالك مع أصحاب هذه الأفكار، قدم لهم هذا النص القرآني الباهر، الذي يجعل الإله حاضرًا في أدق تفاصيل حياتك.
· المفاهيم التربوية:
1. مفهوم التربية بالحضور لا بالغياب:
· التفصيل: المربي الناجح هو الذي يجعل المتربي يشعر بحضوره الدائم ودعمه، لا بمراقبته البوليسية. الآية تقدم نموذجًا للتربية الإلهية القائمة على "القرب" الذي يورث الأنس والحياء.
· التطبيق العملي: مع أبنائك، كن قريبًا منهم، متفهمًا لوساوسهم وهمومهم، لا مجرد مسجل لأ خطائهم. علمهم أن الله أقرب إليهم منك، ليبني فيهم الضمير الحي.
2. مفهوم تربية اللسان تربية إيمانية:
· التفصيل: لا يكفي أن تقول لابنك "لا تشتم"، بل علمه أن هناك "رقيبًا عتيدًا" يكتب. بهذا تنقل التربية من المستوى الظاهري إلى المستوى الإيماني العميق.
· التطبيق العملي: ضع في البيت صندوقًا للصدقات، وفي كل مرة يخطئ أحد في لسانه، يضع فيه مبلغًا رمزيًا بنية التكفير عن هذا الخطأ. هذا يحسسه بوجود "رقيب".

الأمر الخامس: كيف نحول مفاهيم الآيات إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية؟

.1على مستوى بناء الإنسان:
· تحويل المراقبة إلى إبداع: المؤمن الذي يستشعر قرب الله ومراقبته، يتحول إلى إنسان مبدع، لأ نه يعمل بإتقان في الخفاء قبل العلن. هذا يبني إنسانًا صالحًا في ذاته، نافعًا لأمته.
.2على مستوى بناء المجتمع:
· مجتمع الأمانة: إذا ساد مفهوم "الرقيب العتيد" في المجتمع، انعدم الفساد، وانتشرت الأمانة، لأن كل فرد يعلم أن أفعاله في الخفاء مرصودة، حتى لو أفلتت من عيون البشر. هذا يبني مجتمعًا قويًا متماسكًا.
.3على مستوى بناء الحضارة:
· حضارة "الإنسان القريب من الله": هي حضارة تقوم على أن الإنسان ليس مجرد ترس في آلة مادية، بل هو روح لها صلة وثيقة بخالقها. هذه الصلة تمنحه كرامة لا تنتهك، وحقوقًا لا تسلب، وتجعل الحضارة كلها في خدمة الإنسان لتساعده في رحلته إلى الله.

رابعاً: المهارات الحياتية المعرفية والعملية التي نتعلمها من الآيات

أولا ً: المهارات المعرفية):

.1مهارة الاستبطان الواعي(:
· التفصيل: {وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ} هي دعوة لتتعلم مراقبة أفكارك وخواطرك، لتميز الخير منها من الشر، ولتكون واعيًا بذاتك أشد الوعي.
· التطبيق: في نهاية اليوم، لا تسأل نفسك "ماذا فعلت؟" فقط، بل "بمَ فكرت؟ وبمَ وسوست لي نفسي؟". هذا يحسن صحتك النفسية ويصفي ذهنك.
.2مهارة الوعي بالحديث الذاتي :
· التفصيل: حديث النفس هو وسوستها. مراقبة هذا الحديث الداخلي تجعلك تكتشف أنماط تفكيرك السلبية (مثل جلد الذات، أو سوء الظن) وتستبدلها بأخرى إيجابية.
· التطبيق: كلما وجدت نفسك تتحدث بحديث سلبي داخلي، قل لنفسك: "أنا أعلم أن الله يعلم هذا ، وسأبدله بخير".

ثانيًا: المهارات العملية
.1مهارة ضبط اللسان(:
· التفصيل: أعظم آفة في العلاقات وفي المجتمع سببها اللسان. {مَا يَلفِظُ مِن قَوْلٍ} يعلمك مهارة "الصمت الاستراتيجي" و"الكلام المسؤول".

· التطبيق: قبل أي اجتماع أو مكالمة هاتفية مهمة، استحضر الآية، وحدد هدفًا: "لن أقول اليوم إلا خيرًا". وراقب نفسك بعدها.

2.مهارة تحويل الوحدة إلى خلوة:

· التفصيل: كثير من الناس يخاف من الوحدة. لكن المؤمن الذي يعيش {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ} يحول وحدته إلى خلوة ممتعة مع الله. الوحدة تصبح فرصة للأ ُنس، لا للاكتئاب.

· التطبيق: عندما تجد نفسك وحيدًا، لا تسارع لملء الفراغ بالهاتف أو التلفاز. استمتع بالوحدة، تحدث إلى ربك، واشعر بقربه منك.

الخاتمة: في حضرة القريب العليم

وها نحن نقف في هذا المقام المهيب، مقام القرب الإلهي. لقد بدأنا الرحلة مع سورة "ق" وفي قلوبنا رهبة من عظمة القسم، وها نحن نصل إلى هذه الآيات التي تذيب تلك الرهبة في بحر من الأنس و المحبة. {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ}... حقيقة تبعث على التأمل. {وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ}... طمأنينة لا تدانيها طمأنينة. {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}... أنس يملأ جوانح القلب. {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}... مسؤولية تهذب السلوك.

لم تعد الآن مجرد إنسان يعيش على الأرض، بل أنت إنسان مخلوق لله، معلوم السريرة لله، قريب من الله إلى حد يفوق الخيال، ترافقك ملائكة الله في كل لحظة. ألا تشعر معي بقيمتك؟ ألا تشعر بحجم الأمانة الملقاة على عاتقك؟

اخرج من هذا التدبر وأنت تحمل شعارًا جديدًا لحياتك: "ربي أقرب إليّ من حبل وريدي". اجعل هذا الشعار نبراسًا لك في الخلوات والجلوات، في الفرح والحزن، في النطق والصمت. اقرأ هذه الآيات الآن ، واشعر بأن كل كلمة فيها تخاطبك أنت وحدك، وكأنها رسالة خاصة من الله إلى قلبك. {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18)}.

المبحث الثاني

يا من آنستَه آياتُ القرب، ويا من أيقنَ أن الله يعلم السر وأخفى، ويا من عاش مع "الرقيب العتيد" يراقب لسانه وجوارحه... تعالَ بقلبك وعقلك معًا، لنقفَ وقفةً عند بابٍ لا بد لكل حيّ أن يلجَه. وقفةً عند آيةٍ تخلع القلوبَ من أماكنها، وتوقظ النفوس من سُباتها، وتجعل العينَ تدمع قبل أن تنطقَ الشفتان. إنها الآية التي تنقلك من عالم "الأمل" إلى حقيقة "الأجل"، ومن زحام الحياة إلى سكرة الموت، لتقول لك بكل وضوح: "استعد... فقد جاء ما لا مرد له".

تمهيد: لماذا هذه الآية الآن؟ وما صلتها بما قبلها؟

بعد أن جال بنا المولى سبحانه في رحاب علمه المطلق وقربه الشديد في الآيات (16-18)، فاطمأن المؤمن بقرب الله، وارتعش قلب الكافر من إحاطة الله... يأتي الآن المشهد الذي لا مفر منه، المشهد الذي يفضح كل ادعاء، ويبدد كل غفلة، إنه مشهد {سَكْرَةُ الْمَوْتِ}. إنه التحول العظيم: من الحديث عن تسجيل الملائكة للأقوال، إلى اللحظة التي ينقطع فيها القول، ويبدأ فيها الحساب. وكأن الآيات تقول: "لقد سجلنا عليكم كل لفظة، وسجلنا عليكم كل وسوسة، وها هو الآن الموعد الذي سترون فيه ثمرة هذا التسجيل... إنها سكرة الموت التي تأتي بالحق".

هذه الآية هي بمثابة الجرس الأخير، والصيحة المدوية، التي تزلزل كل من ظن أنه سيخلد في الدنيا، أو حسب أنه يستطيع أن يحيد عن لقاء الله. إنها ترد على أولئك الذين كذبوا بالبعث، وتقول لهم: إن كنتم تستبعدون البعث، فها هي أولى مراحله: الموت. فهل تستطيعون الفرار منه؟

أما أهداف الآية ومقاصدها الكبرى فهي:

1.تذكير الإنسان بحتمية الموت: وأنه لا مفر منه لأحد، مهما بلغت قوته أو ضعفت.
2.كشف حقيقة الموت: بأنه ليس مجرد انقطاع للأنفاس، بل هو "سكرة" تصاحبها شدة وكرب، وتأتي ومعها "الحق" الذي طالما فروا منه.
3.دعوة الإنسان للاستعداد: فإذا كان الموت آتيًا بالحق، فالواجب الاستعداد لهذا الحق.
4.تبكيت الفارين من ذكر الله واليوم الآخر: لأنهم سيجدون أن ما كانوا يحيدون عنه قد جاءهم رغمًا عنهم.

.5تحويل الخوف من الموت إلى طاقة إيجابية للعمل: فذكر الموت ليس لتدمير الحياة، بل لتنظيمها وتوجيهها.

أولا ً: تحليل الآية

لنقف مع كل كلمة من هذه الآية، فهي والله ليست كلمات عابرة، بل هي حقائق تدق أبواب القلوب.

المحور الأول: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ} – تحليل الألفاظ وتدبر المعاني

1/ ما دلالة الفعل} وَجَاءَتْ {بصيغة الماضي المؤنث؟
تأمل معي! اختيار الفعل "جاءت" بصيغة الماضي يفيد التحقق والوقوع الجازم، فكأن الأمر قد حدث وانتهى، وهو آتٍ لا محالة. إنه أسلوب قرآني فريد يستخدم صيغة الماضي للأحداث المستقبلية القطعية الوقوع، ليرسخ في النفس أنها حقيقة واقعة لا شك فيها. وأما التأنيث فلمطابقة الفاعل (سكرة الموت). إنه تعبير يوحي بالمفاجأة، فالسكرة "جاءت"، أي أقبلت وحضرت فجأة، دون استئذان، في الوقت الذي لا يتوقعه الإنسان. وكأن الآية تقول لك: "لا تظن أن الموت بعيد، فها هو قد جاء في علم الله، وهو في طريقه إليك بسرعة".

2/ ما المراد ب-} سَكْرَةُ الْمَوْتِ{؟ وما سر التعبير ب-"السكرة"؟
السكرة في اللغة: هي الحالة التي تعتري العقل وتغطيه وتذهله، وأصلها من سكر الشراب. وسكرة الموت هي الشدة والغمرة والكرب الذي يغشى الإنسان عند نزع الروح، فيصيبه من الألم والذهول ما يجعله كالسكران الذي لا يعي ما يقول ولا ما يفعل. قال تعالى في موضع آخر: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ}، وفي آية أخرى: {فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}، ففي الموت كشف للغطاء، ولكن قبله سكرة تذهل العقول. إن استخدام كلمة "السكرة" يصور هول الموت وعنفه، حتى إن الإنسان ليكون في غمرة منه، لا يستطيع دفعًا ولا هروبًا. إنها لحظة ضعف مطلق، يذوق فيها الإنسان مرارة مفارقة الدنيا.

3/ ما معنى} بِالْحَقِّ{؟ وما دلالتها هنا؟
{بِالْحَقِّ} كلمة عظيمة جامعة. الباء هنا للملابسة أو المصاحبة، أي أن سكرة الموت تأتي ملتبسة بالحق، مصحوبة بالحق. وما هو هذا الحق؟

· الحق الأول: أمر الله وقضاؤه الذي لا يرد. فالموت حق، وهو كلمة الله النافذة.
· الحق الثاني: رؤية الإنسان لحقيقة ما كان يجحده. فعند الموت، ينكشف الغطاء، ويرى العبد الحقائق التي كان يكذب بها: يرى الملائكة، ويسمع كلام الحق، ويعرف مصيره. فالسكرة تأتي لتحمل معها "الحق" الذي طالما هرب منه الكافر.
· الحق الثالث: الجزاء. فالموت هو أول مراحل الجزاء، فمن كان محسنًا رأى حق الله في الكرامة، ومن كان مسيئًا رأى حق الله في العقاب.
فكلمة {بِالْحَقِّ} تقول للغافل: "إن الغطاء الذي كان على عينيك في الدنيا، سينكشف عند الموت، وسترى الحق عيانًا، ولكن بعد فوات الأوان!".

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الصدمة العلاجية. تذكر سكرة الموت هو صدمة إيجابية للنفس الغافلة، تفيقها من سكرتها بالدنيا. فكما أن سكرة الموت تذهب بالعقل، فإن ذكرها يذهب بغفلة القلب.
· رسالة تربوية: تهوين الدنيا في العين. إذا استحضرت أن الموت آتٍ لا محالة، وأنه يأتي مصحوبًا بشدة وكرب، هانت عليك مشاق الدنيا ومصاعبها، وعرفت أن الراحة الحقيقية ليست هنا، بل في دار الحق.
· رسالة عقلية: حتمية الحق. العقل يدرك أن كل حي سيموت. فمجيء الموت "بالحق" يعني أنه لا يمكن الهروب منه، ولا يمكن التفاوض معه، ولا يمكن تأجيله. إنها حقيقة عقلية وكونية لا مراء فيها.

المحور الثاني: {ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ} – تبكيت الغافل ومواجهته بحقيقته

1/ ما دلالة الإشارة ب-} ذَٰلِكَ{؟ ولماذا استخدمت للبعيد؟

{ذَٰلِكَ} اسم إشارة للبعيد، والعرب تستخدمه لتعظيم الأمر وتهويله. فالموت ليس بالأمر الهين، بل هو أمر عظيم، وسكرة الموت شديدة، ومجيء الحق خطير. فاستخدام إشارة البعيد يوحي بضخامة الحدث وهوله، حتى لكأنه أمر بعيد المنال في شدته، لا يطيقه بشر.

2/ لماذا قال} مَا كنتَ {بصيغة الخطاب المفرد؟
بعد أن كان السياق في الآيات السابقة بصيغة الغائب (الإنسان، نفسه)، يأتي هنا الخطاب المباشر المفرد ليكسر قلبك ويوقظ ضميرك. إنه يقول لك أنت: أيها الإنسان، أيها القارئ، أيها السامع، أنت المخاطب! ذلك الموت الذي كنت تحيد عنه، ستراه بعينيك، وستذوقه بنفسك. هذا الانتقال إلى الخطاب المفرد هو غاية في البلاغة والتربية؛ فهو يخرجك من دائرة المشاهد العام إلى دائرة المسؤولية الشخصية. فكأن الآية تقبض على كتفك وتقول: "هذا خطابي إليك أنت، لا إلى غيرك!".

3/} تحِيدُ ...{ما معنى الحيد؟ وما الفرق بينه وبين الفرار؟
الحيد هو الميل والانحراف والعدول عن الشيء. يقال: حاد عن الطريق، أي مال عنه ولم يسلكه. فمعنى {تحِيدُ} أي تميل وتنحرف وتفر منه فِرارًا. والفرق بين الحيد والفرار: أن الحيد قد يكون بالميل القلبي والانصراف الذهني، بينما الفرار هو الهروب الجسدي. فأنت كنت تحيد عن ذكر الموت، كنت تحيد عن الاستعداد له، كنت تحيد عن التفكير فيه. ولكن هيهات! فالموت لا يُحَاد عنه، بل هو آتٍ إليك مباشرة. وهذا اللفظ فيه تبكيت وتقريع للإنسان الذي طالما تغافل عن هذه الحقيقة.

4/ ما سر استخدام صيغة المضارع} تحِيدُ {مع أن الحديث عن الماضي؟
استخدام الفعل المضارع "تحيد" بدل الماضي "حدت" فيه دلالة بليغة. إنه يفيد استحضار الصورة: فكأن الإنسان في حياته الدنيا دائم الحيدان عن الموت، مستمر على هذه الحالة. إنها صفة متجددة فيه، فهو لا يكف عن الفرار والانشغال بالدنيا عن الآخرة. وفيه أيضًا دلالة على أن هذا هو طبع الإ نسان ما لم يزكِّ نفسه.

5/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الشعور بالمسؤولية الفردية. الخطاب المباشر يجعلك تشعر أنك المعني وحدك. فليس هناك جماعة تختبئ وراءها، بل أنت وحدك ستواجه هذه السكرة.
· رسالة تربوية: مراجعة خطة الحياة. إذا كان هذا هو الموت، وإذا كان آتيًا لا محالة، فماذا أعددت له ؟ هذه الآية تدعوك لمراجعة شاملة لمسار حياتك، ولجعل الاستعداد للموت هو المحور الأساس في التخطيط.
· رسالة عقلية: عدم جدوى الإنكار. العقل يعلم أن الموت آت، ولكن الإنسان يحيد. الآية تقول: حيدانك لن ينفعك، فالموت قادم، فلماذا تحيد عما لا مفر منه؟ هذا هو المنطق العقلي السليم.

المحور الثالث: لطائف وحِكم من سياق الآية

1/ ما وجه الربط بين "سكرة الموت" و"سكرة الدنيا"؟
الإنسان في الدنيا يعيش في سكرة الغفلة، وسكرة الشهوات، وسكرة حب الدنيا. وقد شبه النبي ﷺ الدنيا بالسكر، فقال: "ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بمَ يرجع؟". فالدنيا سكرة، والموت سكرة. والفرق أن سكرة الدنيا اختيارية (نحن من أسكرنا أنفسنا بها)، أما سكرة الموت فهي إجبارية، تأتي لتفيقنا من سكرة الدنيا! فيا ليتنا نفيق من سكرة الدنيا قبل أن نفيق بسكرة الموت حيث لا ينفع الإفاقة!

2/ كيف ترتبط هذه الآية ببداية السورة) ق والقرآن المجيد(؟
أقسم الله بالقرآن المجيد، وكان جواب القسم أن القرآن حق، وأن البعث حق. وهنا في هذه الآية، يأتي أول تجليات البعث: الموت. فالموت هو الباب الذي يُفضي إلى البعث. وكأن السورة تقول: "إن كنتم في شك من البعث، فها هو الموت الذي هو أوله، فكيف تشكون فيما بعده؟".

3/ لماذا جاءت هذه الآية منفردة؟
لأنها آية فاصلة، وحدها تقوم مقام خطبة كاملة. إنها آية توضع تحت المجهر، لتتأملها وحدك، وتتفكر فيها مليًا. إنفرادها يعطيها قوة وجلالا ً، ويجعل وقعها على النفس أشد وأعمق.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآية

الأمر الأول: أسئلة تدبرية تطبيقية لتوظيف الآية في واقعك العملي

١/ سؤال الاستمداد:} وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ...{هل تستمد زاد تقواك ويقظتك من تذكر الموت؟

· تطبيق في برمجة اليوم: لو أنك تستحضر كل صباح أن هذا اليوم قد يكون يوم مجيء "سكرة الموت" لك، كيف سيكون حالك في عملك، في صلاتك، في تعاملك مع الناس؟ إن تذكر الموت صباحًا يجعلك تعيش يومك وكأنك في سباق للخيرات.
· تطبيق في مواجهة المعصية: إذا راودتك نفسك على معصية، قل لها: "أتجرئين على هذا، وسكرة الموت تنتظر؟!". تذكر أن الموت يأتي بالحق، فكيف تلقى الله بهذا الباطل؟

٢/ سؤال القيمة:} ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ...{كيف تحول "الحيد" إلى "استعداد"؟

· في التخطيط للمستقبل: كثير من الناس يخطط لزواجه، لوظيفته، لبيته، لكنه لا يخطط لقبره وآخرته! هذه الآية تدعوك لتجعل الاستعداد للموت قيمة عظمى في حياتك.
· في علاقاتك: هل هناك أحقاد وضغائن في قلبك؟ ماذا لو جاءتك سكرة الموت وأنت تحمل هذا الحقد؟ سارع إلى تصفية قلبك، فأنت لا تدري متى يأتيك الموت "بالحق".

٣/ سؤال التأثير: كيف تؤثر فيمن حولك بهذه الآية؟

· في أسرتك: اجلس مع زوجك وأولادك، واقرأ عليهم هذه الآية. ناقشهم: ماذا لو مت الآن؟ ماذا أعددت؟ هذا النوع من الحوار يزرع فيهم اليقظة، ويجعل البيت عامرًا بذكر الله والاستعداد للقائه.
· في نصيحتك: إذا رأيت أحدًا غارقًا في الغفلة، فذكره بهذه الآية برفق ولين: "يا أخي، ألا تستعد لـ(سكرة الموت)؟".

٤/ سؤال اليقين: هل تعيش وكأنك ستموت الآن، أم تعيش وكأنك مخلد؟

· مراجعة الضمير: أنت تؤمن بأن الموت حق، ولكن هل تعيش بهذا اليقين؟ قارن بين يقينك النظري وسلوكك العملي. كم ساعة تمضي في التخطيط لدنياك، وكم ساعة تمضي في الاستعداد لأخراك؟ الفجوة بينهما هي مقياس حقيقة يقينك.

الأمر الثاني: أهم القضايا التي تعالجها الآية

· قضية حتمية الموت: وأنه نهاية كل حي، ولا استثناء لأحد.
· قضية الغفلة والهروب النفسي: كيف يهرب الإنسان من التفكير في مصيره المحتوم.
· قضية ظهور الحقائق عند الموت: وأن ما كان مستورًا في الدنيا ينكشف عند سكرة الموت.
· قضية العلاقة بين الإيمان والعمل: فمن أيقن بالموت حق اليقين، انعكس ذلك على عمله وسلوكه.

الأمر الثالث: خطوات عملية لتنزيل عظمة الآية على أرض الواقع

١/ مشروع "آخر يوم في عمري":
كل يوم، خصص ولو دقيقة واحدة، تخيل فيها أن هذا آخر يوم في حياتك، وأن سكرة الموت آتية الليلة. كيف ستتصرف؟ ماذا ستقول؟ لمن ستتصل؟ هذا التمرين الذهني ينظم سلوكك العاطفي و العملي.

٢/ زيارة القبور أسبوعيًا:
اجعل زيارة المقابر وديعة أسبوعية. قف على قبر، وتذكر أن صاحبه قد "جاءته سكرة الموت بالحق". هذه الزيارة من أعظم ما يلين القلب ويصرف عن الدنيا.

٣/ كتابة الوصية:
اكتب وصيتك الشرعية، وراجعها كل فترة. لا تنتظر الكبر أو المرض، فالموت لا يعرف كبيرًا ولا

صغيرًا. كتابة الوصية تذكرك بأنك راحل، وتجعلك تفكر في أمورك بعد الموت.

٤/ عيادة المرضى والمحتضرين:
لا تتردد في عيادة من هم على فراش الموت (إن استطعت). انظر إلى حالهم وهم يعانون السكرات، واعتبر بحالك. هذه العيادة تجعلك ترى الموت واقعًا حيًا، لا مجرد نظرية.

الأمر الرابع: الدروس والعبر العملية المستخلصة من الآية

١/ الحياة قصيرة، فلا تضيعها في الحيدان عن الحق:
كن شجاعًا، واجه حقيقة الموت، ولا تخف منها، بل خف مما بعدها.

٢/ الشجاع هو من يستعد للموت، لا من يغامر بحياته في تفاهات:
الشجاعة الحقيقية هي في تزكية النفس والعمل للآخرة.

٣/ سكرة الموت تهدم كل لذات الدنيا:
فلا تفرح بدنيا زائلة، ولا تحزن على فائت منها، فكلها إلى زوال.

٤/ السعيد من وعظ بغيره، والشقي من لم يتعظ إلا بنفسه:
لقد قص الله علينا أن الموت آت، فاتعظ بهذا الخبر ولا تنتظر المعاينة، فحينها لا ينفع التذكر.

الأمر الخامس: كيف يكون تعميق أثر هذه الآية في حياتك اليومية؟

١/ في الصلاة:
إذا كبرت تكبيرة الإحرام، تخيل أنها آخر تكبيرة لك في الدنيا. صل صلاة مودع، تخشع فيها خشوع من يعلم أن سكرة الموت تنتظره.

٢/ في التعامل مع الخلافات:
إذا اختلفت مع أحد، فبادر إلى الصلح. قل له: "أخي، لا ندري من يأتيه الموت أولا ً، فلنصطلح".

٣/ في الفرح والحزن:
لا تفرح فرح بطر، ولا تحزن حزن قنوط. تذكر أن الموت يأتي على الاثنين معًا. كن معتدلا ً، وعلق قلبك بالباقي لا بالفاني.

الأمر السادس: أهم الرسائل والتوجيهات من الآية في حياتنا العملية

· الموت هو اليقين الوحيد في حياة كل حي.
· لا تحيد عن ذكر الموت، فهو خير واعظ لك.
· عش يومك وكأنك ترى سكرة الموت أمامك، فذلك أجدر أن تلقى الله بقلب سليم.
· ما بعد الموت هو دار الحق والخلود، فاجعل استعدادك لها فوق كل استعداد.

ثالثاً: أهم المفاهيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد الآية وآفاقها

· البعد الوجودي: إثبات أن الموت هو الحقيقة الكبرى التي يجب أن ينطلق منها كل تفكير وجودي.
· البعد الأخلاقي: ترسيخ مبدأ أن الاستعداد للموت هو الحافز الأكبر للأخلاق الفاضلة.
· البعد النفسي: كشف آلية الإنكار والهروب النفسي من فكرة الموت، وكيفية معالجتها باليقين.

الأمر الثاني: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

· مفهوم البناء على أساس النهاية: التخطيط للحياة يجب أن يبدأ من النهاية (الموت). من عرف نهايته، أحسن مسيرته.
· مفهوم استثمار العمر: العمر هو رأس المال الوحيد. وذكر الموت يجعلك مستثمرًا حكيمًا لعمرك، لا مبذرًا له.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "إدارة الوقت باليقين بالموت":
· التفصيل: إذا استحضرت أن الموت قريب، فستتوقف عن تضييع الوقت في التوافه، وستجعل لكل دقيقة قيمة. هذا هو أرقى مفهوم لإدارة الوقت.
· كيفية التطبيق: قبل أن تبدأ أي نشاط، اسأل: "هل سأفرح بهذا العمل إن متّ بعده؟". هذا السؤال سيختصر عليك الكثير من التردد.
· مفهوم "السعي للخلود بالعمل الصالح":
· التفصيل: بما أن سكرة الموت تأتي بالحق، وبما أن الجسد يفنى، فإن الخلود الحقيقي هو في الأ ثر الصالح. فاجعل سعيك في الحياة لبناء شيء يبقى بعد موتك (علم نافع، ولد صالح، صدقة جارية).
· كيفية التطبيق: ابدأ اليوم بمشروع صدقة جارية، ولو كانت صغيرة. ازرع شجرة، انشر علمًا، أصلح بين اثنين. هذا هو استثمار ما قبل الموت لما بعد الموت.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية (بشكل مفصل)

· المفاهيم النفسية:
1. مفهوم العلاج بالمواجه):
· التفصيل: كثير من الناس يخاف من الموت فيهرب من التفكير فيه. هذه الآية تقدم علاجًا نفسيًا فريدًا: "واجه الموت، ولا تهرب منه". فمواجهة الحقيقة المخيفة تفقدها قوتها عليك، وتحول خوفك إلى قوة دافعة للاستعداد. {ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ} هي دعوة لوقف الحيدان والبدء في المواجهة.
· التطبيق العملي: إذا كنت تعاني من وساوس الموت والخوف منه، فتعامل مع هذه الآية كجلسة علاج نفسي. تأملها بتعمق، وتحدث إلى نفسك: "الموت آتٍ، وهذا مؤكد، ومادام آتيًا، فالحكمة في الاستعداد له، لا في الخوف منه".
2. مفهوم تحويل قلق الموت إلى دافعية للحياه):
· التفصيل: علماء النفس يتحدثون عن "قلق الموت" كدافع خفي وراء كثير من السلوكيات البشرية. الإسلام يحول هذا القلق إلى طاقة إيجابية للعمل والعبادة وعمارة الأرض. فالخوف من الموت يجعلك تحسن استقباله، لا أن تشلك الحياة.
· التطبيق العملي: بدلا ً من أن يدفعك الخوف من الموت إلى الاكتئاب والانزواء، اجعله يدفعك إلى إسعاد نفسك والآخرين بالطاعات، وإلى ترك أثر طيب قبل أن {تَحِيد} فلا تجد محيدًا.
· المفاهيم الفكرية:
1. مفهوم "الحق" كحقيقة وجودية كبرى:
· التفصيل: {بِالحَقِّ} تعني أن الموت ليس مجرد حدث بيولوجي، بل هو باب للحقيقة المطلقة. كل ما في الدنيا ظنون وأوهام نسبية، أما الموت فهو اليقين الذي لا شك فيه، وهو الكاشف للحقائق. هذه الفكرة تجعل المؤمن يعيش في الدنيا وهو يرى ما وراء المادة.
· التطبيق العملي: في دراستك للفلسفة أو أي علم إنساني، استخدم هذه الآية كميزان. اسأل: "هل هذه الفكرة تصمد أمام سكرة الموت؟ هل ستنفعني هذه الفلسفة عندما يجيء الحق؟".
2. مفهوم الحتمية الأخلاقية:
· التفصيل: حتمية الموت تستلزم حتمية الجزاء. فمجيء الموت "بالحق" يعني أنه بداية لمرحلة الحساب العادل. هذا المفهوم يعطي للكون معنى أخلاقيًا عميقًا، فليس الظلم هو الكلمة الأخيرة، بل سكرة الموت هي البوابة إلى العدالة المطلقة.
· التطبيق العملي: إذا رأيت ظالمًا يتمادى، فلا يحزنك هذا. تذكر أن سكرة الموت ستأتيه بالحق الذي يهرب منه، وستراه في ميزان العدالة الإلهية. هذا يعطيك صبرًا وطمأنينة.
· المفاهيم التربوية:
1. مفهوم التربية على "حسن الخاتمة":
· التفصيل: الهدف الأسمى للتربية الإسلامية هو أن يموت الإنسان على الإسلام. هذه الآية تجعل "حسن الخاتمة" هو الهدف المنشود، فكل تربية لا تنتهي بحسن الخاتمة هي تربية ناقصة.
· التطبيق العملي: ربّ أبناءك على أن يسألوا اللّه دائمًا حسن الخاتمة. علمهم أن العمل الصالح هو الطريق إلى سكرة موت هينة، يأتي معها الحق بالبشرى والرحمة، لا بالخزي والعذاب.

2. مفهوم التربية على "الواقعية" لا "الخيال":
· التفصيل: الإنسان بطبعه يميل إلى بناء أحلام وردية، وينسى حقيقة الموت. هذه الآية تربي على الواقعية: "أنت ميت لا محالة، فانظر ماذا تعمل". إنها تقطع دابر الأماني الكاذبة، وتجعل الإنسان يعيش في واقعه الحقيقي.
· التطبيق العملي: في جلسات التخطيط الأسري، لا تخطط فقط للإجازة والزواج والوظيفة، بل خطط لـ"ماذا لو مت غدًا؟". هذا الواقعية تجعل الأسرة متماسكة مستعدة لكل طارئ.

الأمر الخامس: كيف نحول مفاهيم الآية إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية؟

.1على مستوى بناء الإنسان:
· تحويل الإنسان من "ابن دنيا" إلى "ابن آخرة": بتذكره الدائم للموت، يتحول الإنسان من كائن نهَم يلهث وراء الشهوات، إلى كائن رسالي، يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدًا، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدًا. هذا هو الإنسان المتوازن المنتج.
.2على مستوى بناء المجتمع:
· مجتمع الطمأنينة لا مجتمع القلق: المجتمعات الغافلة عن الموت تعيش في قلق وجودي رهيب، يدفعها إلى الاستهلاك المفرط، والأنانية، والصراع. أما المجتمع الذي يعيش أفراده وهم يستحضرون "سكرة الموت"، فإنهم يعيشون في طمأنينة وسلام، لأنهم يعرفون مصيرهم، ويعملون له، فتقل جرائمهم ، وتزداد أخلاقهم.
.3على مستوى بناء الحضارة:
· حضارة الأثر الخالد: الحضارة المادية تنتهي عند الموت، أما الحضارة الإسلامية فتمتد إلى ما بعد الموت. إنها حضارة تبني المساجد والمدارس والمستشفيات، لا للتفاخر، بل كصدقات جارية تتلقاها بعد "سكرة الموت". إنها حضارة يكون فيها الموت هو الحافز للبناء، لا معوّقًا له.

رابعاً: المهارات الحياتية المعرفية والعملية التي نتعلمها من الآية

أولا ً: المهارات المعرفيه):

.1مهارة التفكير النهاياتيه (:
· التفصيل: هو التفكير الذي يبدأ من النهاية. فبدلا ً من أن تسأل: "ماذا سأفعل اليوم؟"، اسأل: "ماذا سأفعل قبل أن أموت؟". هذا النوع من التفكير يعطيك رؤية واضحة وأولويات صحيحة.
· التطبيق: اكتب قائمة "أهداف ما قبل الموت". ثم انظر إلى يومك، واسأل: "هل ما أفعله اليوم يقربني من هذه الأهداف أم يبعدني عنها؟".
.2مهارة إعادة التقييم الجذري) -:
· التفصيل: {جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ} تجعلك تعيد تقييم كل شيء في حياتك. ما الذي يستحق أن تعيش من أجله؟ ما الذي لا قيمة له؟ هذه المهارة تحميك من الانشغال بالسفاسف.
· التطبيق: اسأل نفسك كل شهر: "لو مت اليوم، ما أكثر شيء سأندم عليه؟". هذا السؤال يجعلك تعيد ترتيب أولوياتك باستمرار.

ثانيًا: المهارات العملية):

.1مهارة الاستعداد للأزمات(:
· التفصيل: الموت هو أعظم أزمة ستواجهها. الآية تعلمك مهارة الاستعداد الأسوأ. فإذا استعددت للموت، صرت مستعدًا لكل ما هو دونه من أزمات.
· التطبيق: كما تستعد لموعد مهم، استعد لموعد الموت. حافظ على وضوئك، أدم ذكر الله، ليكن قلبك معلقًا بالمساجد، فهذا هو "حقيبة طوارئ" سكرة الموت.
.2مهارة فن الوداع :
· التفصيل: التعامل مع الناس على أنك قد لا تراهم مرة أخرى. هذه ليست سلبية، بل هي مهارة تجعلك تعطي كل لقاء قيمته، وتقول الكلمة الطيبة، وتسامح، ولا تؤجل مبادرة.
· التطبيق: في نهاية كل لقاء مع الأحبة، عاملهم معاملة من قد لا يراهم بعدها. ابتسم، قل خيرًا، ودع بحرارة. هذا يبني علاقات عميقة لا تشوبها الأحقاد.

الخاتمة: إلى أن تأتيك سكرة الموت...

وها نحن نقف مع آية هي أثقل آية على النفس وأخفها على قلب المؤمن في آن واحد. ثقيلة، لأنها تذكر بمفارقة الأحبة، وتذكر بشدة الموت وكربه. وخفيفة، لأنها تذكر باللقاء الأعظم، لقاء الله الحق. {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ}... يا لها من جملة! إنها تختصر رحلة الحياة كلها. كل ما فيها من فرح وحزن، من نجاح وفشل، من غنى وفقر، ينتهي عند هذه اللحظة.

{ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ}... توبيخ لطيف، وعتاب رحيم. كأنه يقول لك: "يا عبدي، لماذا كنت تحيد عني؟ لماذا كنت تهرب من لقائي؟ ها أنا ذا قد جئتك بالحق، فهل آنستَ بعد وحشة، وأمنتَ بعد خوف؟". إنها ليست مجرد آية وعيد، بل هي آية حب. حب الله لعباده إذ ينذرهم قبل فوات الأوان. حبه لهم إذ يوقظهم من غفلتهم قبل أن تأتي السكرة فلا تنفعهم اليقظة.

اخرج من هذا التدبر وقد جعلت هذه الآية رفيقة دربك، مرآة تنظر فيها كل صباح، وجرسًا يدق في أعماقك كل مساء. عش حياتك وأنت ترى "سكرة الموت" أمامك، لا لتتعس، بل لتسعد بالعمل الصالح، ولتفرح بلقاء الله. واجعل شعارك: "اللهم إني أسألك أن تجعل سكرة الموت بالحق خير لقاء لي معك، وأن تجعل قبري روضة من رياض الجنة، وأن لا تجعله حفرة من حفر النار".

اقرأ هذه الآية الآن، بصوت مسموع، وبقلب خاشع، واجعلها تمتزج بدمع عينيك: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19)}.

القسم الخامس

المبحث الأول

يا من عاش مع سكرة الموت، ووقف على أعتاب القبر، وذاق بقلبه مرارة الفراق، ويا من تساءل بعدها: وماذا بعد؟ كيف يكون البعث؟ وكيف تُبعث؟ وكيف يكون المشهد أول ما نفتح أعيننا على أرض المحشر؟ تعالَ بقلبك وعقلك معًا، لا لتقرأ حدثًا غيبيًا بعيدًا، بل لتعيش اللحظة وكأنك فيها، لتسمع الصيحة، وترى المشهد، وتذوق الانكشاف. إنها الآيات التي طالما انتظرتها وأنت تقرأ السورة، ف السورة اسمها "ق"، وها هو قيام الساعة قد بدأ، وها هي أبواب السماء تفتح، وها هو الغطاء ينكشف.

تمهيد: لماذا هاتان الآيتان الآن؟ وما صلتهما بما قبلهما؟

بعد أن أقسم الله بالقرآن المجيد في بداية السورة، ورد على منكري البعث بأدلة كونية وتاريخية وعقلية، ثم قرر حقيقة الموت التي لا مفر منها في الآية (19)، يأتي الآن إلى المشهد الأعظم: مشهد البعث والحشر. لقد انتهت الحياة الدنيا، وجاءت سكرة الموت بالحق، وها هو النفخ في الصور، وها هو يوم الوعيد الذي طالما توعدهم الله به. إنه الانتقال من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة، ومن دار الغفلة إلى دار الانكشاف.

هذه الآيات هي الجواب العملي على سؤالهم {أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ}. إنها تقول لهم: لا، ليس رجعًا بعيدًا، بل هو آتٍ، وها هو أمامكم: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ}. وكأن السياق يسير بك في رحلة: أو لا ً خلقك الله، ثانيًا يعلم سرك ونجواك، ثالثًا يسجل عليك أقوالك، رابعًا يأتيك الموت، وخامسًا يأتي البعث. هذه هي محطات الرحلة، وهذه الآيات هي المحطة الخامسة: النفخ في الصور.

أما أهداف هذه الآيات ومقاصدها الكبرى فهي:

1. إثبات يوم القيامة: وأنه آتٍ لا ريب فيه، مصحوبًا بأحداث كونية عظيمة.
2. بيان كيفية البعث: من خلال النفخ في الصور، وخروج الناس من قبورهم.
3. إقامة الحجة على الإنسان: حيث تأتي كل نفس ومعها سائق وشهيد، ويُكشف الغطاء عن بصره.
4. تهويل المشهد: لتستعد له القلوب، وترتعد منه الفرائص، فيبادر الإنسان إلى التوبة.
5. بيان كمال عدل الله: إذ جعل على كل نفس شهيدًا وسائقًا، فلا يُظلم أحد.

أولا ً: تحليل الآيات

هيا بنا نغوص في هذه الآيات المهيبة، ونعيش مشهدها وكأننا نراه رأي العين.

المحور الأول: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ} – بداية النهاية

1/ ما دلالة الفعل} وَنُفِخَ {بصيغة الماضي؟
تأمل معي! كما أن {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ} جاءت بصيغة الماضي، فإن {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ} كذلك. لماذا؟ لأن الحديث عن أحداث القيامة في القرآن يأتي كثيرًا بصيغة الماضي، للإشارة إلى تحققها قطعًا، وكأنها قد وقعت وانتهت. إنه أسلوب يهز النفس، ويجعل الغيب كأنه واقع ملموس. فأنت حين تقرأ {وَنُفِخَ}، تتخيل أن النفخة قد حدثت فعلا ً، وترى المشهد أمامك. إنها صدمة إيجابية توقظ القلب من رقدته، وتقول له: "ما هو آتٍ، هو في حكم الواقع، فاستعد".

2/ ما هو} الصُّورِ{؟ وما حقيقته؟
الصور هو البوق أو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام. وقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: "إن طرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد، ينظر نحو العرش، مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان". إنه ملك عظيم، واقف منذ أن خلقه الله، ينتظر الإذن بالنفخ. فالصور آلة إلهية عظيمة، ونفخته هي الإيذان بخراب العالم أو بعث الخلائق. وهناك نفختان: نفخة الصعق (يموت فيها من في السماوات والأرض)، ونفخة البعث (يقوم الناس لرب العالمين). والمقصود هنا هو نفخة البعث.

3/} ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ...{ما دلالة الإشارة بـ} ذَٰلِكَ{؟
اسم الإشارة للبعيد {ذَٰلِكَ} هنا لتعظيم اليوم وتهويله. فهو يوم عظيم، شديد، بعيد الشأن في هوله. ووصفه بأنه {يَوْمُ الْوَعِيدِ} يذكرك بكل آيات الوعيد في القرآن. إنه اليوم الذي توعد الله به الكافرين، وأوعدهم فيه بالعذاب. إنه تذكير بأن الله لا يخلف وعده، فكما وعدهم في الدنيا بالحساب، ها هو يوم الوعيد قد جاء. وقد تكرر هذا الوصف مرتين في السورة (هنا، وفي الآية 14: {فَحَقَّ وَعِيدِ})، للربط بين هلاك الأمم ويوم القيامة.

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الاستعداد للصدمة. تصور لحظة النفخ في الصور، تلك الصيحة التي تقوم منها الأموات، تجعلك تعيش يقظة دائمة، فلا تأمن أن تقوم الساعة وأنت على غفلة.
· رسالة تربوية: ربط اليوم بالآخرة. حين تعلم أن {ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ}، فإن كل وعيد في القرآن يصبح حيًا في ضميرك، فتجتنب كل ما يوعد الله عليه بالنار.
· رسالة عقلية: حتمية البعث. النفخ في الصور هو الجواب العملي على استبعادهم للبعث. فإذا كان الله قد جعل هذا اليوم في علمه، وأنفذ أمره فيه، فكيف ينكره العقل؟!

المحور الثاني: {وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} – مشهد المساق إلى المحشر

1/ لماذا قال} كُلُّ نَفْسٍ {بدل "كل إنسان"؟
لفظة "نفس" تدل على الذات والهوية، وتشعرك بالمسؤولية الفردية. إنها تقول لك: "أنت بنفسك، بذاتك، ستأتي، لا ينوب عنك أحد". وهذا يعمق الشعور بالمسؤولية، ويجعلك تستشعر أنك ستقف وحدك أمام الله. ثم إن التعبير بـ"نفس" بدل "إنسان" يشمل المؤمن والكافر، الذكر والأنثى، الأول والآخر.

2/ ما معنى} سَائِقٌ {و}شَهِيدٌ{؟ وما الفرق بينهما؟

· {سَائِقٌ}: هو ملك يسوق العبد إلى المحشر. سمي سائقًا لأنه يحثه على السير، ولا يتركه يهرب أو يتباطأ. إنه سائق لا يرحم، يقوده إلى حيث يُحاسب. فيا لرهبة هذا الموقف! أنت لا تملك لنفسك نفعًا ولا ضرًا، بل تُساق سوقًا.
· {شَهِيدٌ}: هو ملك يشهد على العبد بأعماله. وهو غير "الرقيب العتيد" الذي كان يسجل. فهذا الشهيد يأتي ليشهد بما سجله الرقيب العتيد. وقيل: السائق والشهيد ملكان، أحدهما يسوقه والآخر يشهد عليه. وقيل: السائق هو الملك، والشهيد هو العمل نفسه، أو الجوارح، أو الكتاب. وفي كل الأحوال، هو حضور الحجة القاطعة على الإنسان.

3/ ما سر اقتران السائق بالشهيد؟
إنه كمال العدل الإلهي. فالسائق يمنع الهروب، والشهيد يمنع الإنكار. الإنسان في الدنيا يهرب من المسؤولية (يحيد)، وينكر الذنوب (يجحد). أما يوم القيامة، فلا هروب (بالسائق) ولا إنكار (بالشهيد). إنها محاكمة إلهية كاملة، لا يستطيع فيها المدعى عليه فرارًا ولا مراوغة. وهذا يعطيك صورة عن هيبة الموقف وشدة الحساب.

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الشعور بالرهبة. أن تأتي ومعك سائق يسوقك، وشهيد يشهد عليك، هذا يملأ القلب رهبة وخوفًا، فيدفعك إلى محاسبة نفسك قبل أن تساق.
· رسالة تربوية: تحمل المسؤولية. اعلم أنك مسؤول عن كل أفعالك، وأنه سيكون لك سائق وشهيد، فتصرف اليوم على بينة، وأعد للسؤال جوابًا.
· رسالة عقلية: تمام الحجة. العقل يدرك أن من تمام العدل أن يكون هناك شهيد على العبد، فلا يحاسب بمجرد علم الله، بل تقوم عليه الحجة من نفسه، وهذا أبلغ في الإقناع والإنصاف.

المحور الثالث: {لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} – خطاب التقريع والانكشاف

1/ لمن يوجه هذا الخطاب؟} لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ{
الخطاب هنا موجه للإنسان الكافر الغافل، أو لكل إنسان منشغل بدنيا عن آخرته. وقد يكون المقصود به الجنس البشري مطلقًا، فكلنا في غفلة عن حقيقة الآخرة مهما آمنا بها، لأننا لم نرها. فحين نقف في المحشر، نُقرع بهذا التقريع: {لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا}. إنه خطاب موجع، ينفذ إلى أعماق النفس، ليذكرها بأيام الغفلة التي ضيعتها في الدنيا.

2/ ما معنى} مِنْ هَٰذَا{؟
الإشارة بـ {هَٰذَا} إلى ما يعاينه الإنسان في ذلك اليوم من الأهوال، والحساب، والجزاء. فهو كان في الدنيا في غفلة عن هذا اليوم، عن شدته، عن هوله، عن حسابه. {مِنْ هَٰذَا} تحمل في طياتها كل تفاصيل يوم القيامة التي كان يستهين بها أو يكذب بها. فكأنه يقال له: "لقد كنت غافلًا عن هذا الذي تراه الآن، وهذا الذي تعانيه، وهذا الذي تذوقه".

3/} فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ ...{ما هو هذا الغطاء؟ وما الحكمة من وجوده في الدنيا؟
الغطاء هو الحجاب الذي كان على البصيرة في الدنيا. وهو يشمل عدة أنواع:

· غطاء الغفلة: الانشغال بالدنيا واللذات.
· غطاء الهوى: اتباع الشهوات والميل عن الحق.
· غطاء التكذيب: إنكار البعث والقيامة.
· غطاء المادة: حصر الإدراك في المحسوسات.
لقد جعل الله هذا الغطاء في الدنيا لحكمة: إنها دار تكليف، فلو انكشفت الحقائق لما كان هناك معنى للإيمان بالغيب. ولكن يوم القيامة، انتهى زمن التكليف، وجاء زمن الجزاء، فانكشف الغطاء. وكأن الآية تقول: "في الدنيا، أعطيتَ عقلًا وسمعًا وبصرًا، وأرسلتُ إليك الرسل، فلم تنتفع، بل غطيت على نفسك. واليوم، أزيل الغطاء عنك، لكن بعد فوات الأوان!".

4/} فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ...{ما سر وصف البصر بـ) حديد(؟
الحديد معروف بالقوة والصلابة والنفاذ. فوصف البصر بأنه "حديد" استعارة بليغة. فكما أن الحديد يقطع ويخترق ولا يرتد، فبصرك اليوم قوي نافذ، يرى الحقائق بوضوح لا شك فيه. لقد كان بصرك في الدنيا ضعيفًا عن رؤية الحق، أما اليوم فهو حادّ لا يحتمل الشك. إنها مفارقة موجعة: في الدنيا، كان بصر البدن سليمًا لكن البصيرة عمياء، واليوم في الآخرة، البصيرة حادة ترى كل شيء، لكن بصر البدن لا ينفعه شيئًا. وفي هذا يقول الشاعر:

وكنا في غطاء عنك حتى *** كشفتَ الغطاءَ فانجلى الضريرُ

5/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الخوف من الندم. أن تسمع هذا الخطاب وأنت واقف في المحشر: {لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ}... أي حسرة ستعتصر قلبك! هذا الخوف اليوم يجعلك تنفض غفلتك، وتفتح بصيرتك قبل أن يُفتح بصرك في موطن لا ينفع فيه الندم.
· رسالة تربوية: التحرر من الغطاء طواعية. المؤمن يبادر في الدنيا إلى كشف غطاء الغفلة عن قلبه بـ الذكر والتقوى والتفكر، فلا يحتاج أن يكشف عنه يوم القيامة كشفًا إجباريًا مصحوبًا بالتوبيخ. فهذه ا

لآية تدعوك أن تكون من الذين: {يَخَافُونَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ}.
· رسالة عقلية: قيمة الإيمان بالغيب. لقد أثنى الله على الذين يؤمنون بالغيب. فالغطاء نعمة في الدنيا ، لأنه يمكنك من الإيمان الطوعي. فآمن بالغيب اليوم، تنعم بالشهود غدًا، ولا تكن ممن لا يؤمن حتى يرى، فالرؤية يومها لا تنفع.

المحور الرابع: لطائف وحِكم من سياق الآيات

1/ ما وجه الربط بين) النفخ في الصور (و)كشف الغطاء(؟
النفخ في الصور هو بداية انكشاف الغطاء عن الخلق جميعًا. فبعد النفخة، تقوم الأموات من قبورهم، وقد زال عنهم غطاء الدنيا، وأبصروا الحقائق. فالترتيب هنا دقيق: النفخ، فالمجيء مع سائق وشهيد، ف التقريع على الغفلة، فكشف الغطاء. إنها مراحل متسلسلة يعيشها كل إنسان.

2/ كيف ترتبط هذه الآيات ببداية السورة) ق والقرآنِ المجيد(؟
أقسم الله بالقرآن المجيد، وكان من جواب القسم أن البعث حق. وها هو البعث يتحقق: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ}. ثم إن من صفات القرآن أنه {تَبْصِرَةً وَذِكْرَى}، فمن انتفع به في الدنيا، جاء يوم القيامة وبصره حديد بالإيمان، لا بالحسرة. فالقرآن هو الذي يكشف الغطاء عن بصيرتك في الدنيا، لتكون من السعداء يوم ينكشف الغطاء عن الأبصار في الآخرة.

3/ لماذا قال} فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ {مع أنهم في ظلمات الحشر؟
هذا البصر الحديد هو بصر البصيرة الذي يرى الحقائق، وليس بصر العين الذي يرى المسافات. ففي ذلك اليوم، ترى العين ما كانت تنكره من ملائكة وعذاب ونعيم، وترى البصيرة حقيقة ما كانت تجحده. فالبصر الحديد هو النافذ إلى بواطن الأمور وحقائقها.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات

الأمر الأول: أسئلة تدبرية تطبيقية لتوظيف الآيات في واقعك العملي

١/ سؤال الاستمداد:} وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ...{هل تستمد يقظتك من إيقاع هذه الآية على قلبك؟

· تطبيق في بداية يومك: كل صباح، تخيل أن النفخ في الصور قد حدث، وأنك قمت من قبرك. كيف ستتصرف اليوم؟ هذا الاستحضار يعطيك طاقة روحية هائلة للعمل.
· تطبيق في نهاية يومك: قبل النوم، تخيل أنه نفخ في الصور، وأنك لن تقوم إلا يوم القيامة. هذه الخاتمة تجعلك تنام على توبة وذكر.

٢/ سؤال القيمة:} وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ...{كيف تجعل حياتك تحت إشراف هذه الحقيقة؟

· في مراقبتك لأعمالك: كل عمل تعمله، تخيل أن "السائق" ينتظرك، وأن "الشهيد" يسجله. هذا يجعلك تستحضر الرقابة في كل صغيرة وكبيرة.
· في الدفاع عن نفسك: إذا حدث ووقعت في خطأ، فلا تبرر. تذكر أن هناك شهيدًا سيشهد عليك بـ الحق. فالاعتراف بالخطأ اليوم خير من الفضيحة غدًا.

٣/ سؤال التأثير:} لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ...{كيف تؤثر فيمن حولك ليستيقظوا من غفلتهم؟

· في نصحك للآخرين: كن رفيقًا، وقل لهم: "يا إخوتي، نحن في غفلة، ولسوف ينكشف الغطاء. فهيا بنا نستعد". لا تكن قاسيًا، بل كن مشفقًا، فكلنا في غفلة إلا من رحم الله.
· في تذكير نفسك: قبل أن تذكر غيرك، ذكر نفسك. انظر في مرآة نفسك، واسألها: "هل أنتِ في غفلة عن هذا؟". ثم اعمل على إيقاظها.

٤/ سؤال اليقين:} فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ ...{كيف تشحذ بصيرتك اليوم لتكون من أهل اليقين؟

· بالتفكر في آيات الله: التفكر في الخلق والقرآن يجعل بصيرتك حادة في الدنيا، فترى الحقائق بالإ

إيمان قبل أن تراها بالعين.
· بمجالسة الصالحين: جالس أهل البصيرة، الذين ينظرون إلى الدنيا بعين الآخرة، وستكتسب من بصيرتهم.

الأمر الثاني: أهم القضايا التي تعالجها الآيات

· قضية البعث والنشور: تفصيل أحداثه وكيفية وقوعه.
· قضية الحساب والجزاء: نظام المحاكمة الإلهية (سائق وشهيد).
· قضية الغفلة والانكشاف: طبيعة الإنسان في الدنيا وما ينتظره في الآخرة.
· قضية العدل الإلهي المطلق: وأن كل نفس توفى ما عملت.

الأمر الثالث: خطوات عملية لتنزيل عظمة الآيات على أرض الواقع

١/ مشروع "عيش اللحظة بيقين البعث":
خصص وقتًا كل أسبوع، تأمل فيه في هذه الآيات وكأنها تحدث الآن. اقرأها ببطء، وتخيل كل كلمة. هذا التمرين الروحي يجعلك تعيش بيقين أعلى.

٢/ ممارسة "كشف الغطاء الذاتي":
اجلس في خلوة، واسأل نفسك: "لو كشف عني الغطاء اليوم، فماذا سأرى من عيوبي وذنوبي؟". هذه المحاسبة الصادقة تكشف لك عيوبك قبل أن تنكشف على رؤوس الأشهاد.

٣/ تطبيق "وثيقة الشهادة":
اكتب في مفكرتك شهيدًا على نفسك. مثلا ً: "أشهد الله وملائكتي أني اليوم عفوت عن فلان". هذا الشعور بأن هناك من يشهد، يجعل قراراتك أكثر حزمًا وإخلاصًا.

٤/ بناء ثقافة "اليقظة" في أسرتك:
اجعل في بيتك جلسة أسبوعية قصيرة، تذكر فيها بأحداث يوم القيامة. لا تخوفًا مفزعًا، بل تذكيرًا محفزًا للعمل.

الأمر الرابع: الدروس والعبر العملية المستخلصة من الآيات

١/ البعث حقيقة لا مفر منها:
فلا تعش كما يعيش المنكرون.

٢/ كل إنسان مسؤول عن نفسه:
وليس له مهرب من سائق ولا دفاع دون شهيد.

٣/ الغفلة مرض، وكشف الغطاء هو الشفاء المر:
فاطلب الشفاء في الدنيا بالذكر والقرآن، فهو شفاء حلو.

٤/ اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل:
فاغتنم يومك قبل أن يفوت.

الأمر الخامس: كيف يكون تعميق أثر هذه الآية في حياتك اليومية؟

١/ في المساج للجسد والنفس:
عندما ترى ضعف بصرك أو قوته، تذكر: {فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}. واستعذ بالله من أن يكون بصرك حديدًا يوم لا ينفعك.

٢/ في التعامل مع التكنولوجيا والصور:

كل صورة تلتقطها، وكل فيديو يشهد عليك. فاجعلها أعمالا ً صالحة تشهد لك عند الله.

٣/ في السفر والتنقل:
عندما تركب طائرة أو سيارة، وتشعر بالسرعة، تذكر أن سائقك إلى الآخرة أسرع، وهو الموت. فلا تنسَ زادك.

الأمر السادس: أهم الرسائل والتوجيهات من الآيات في حياتنا العملية

· عش وكأنك تسمع النفخة الآن، فحينها لا ينفع الندم.
· كل خطوة تخطوها، فاعلم أن هناك من يسوقك ومن يسجل.
· لا تنتظر كشف الغطاء يوم القيامة، فابذل جهدك في كشف غطاء الغفلة عن قلبك اليوم.
· بصرك الحقيقي هو بصيرتك، فحدّدها بالإيمان، لا بالحسرة.

ثالثاً: أهم المفاهيم من الآيات

الأمر الأول: أبعاد الآيات وآفاقها

· البعد الأخروي: تفصيل أحداث يوم القيامة، وترسيخ الإيمان بها.
· البعد النفسي الوجداني: إثارة مشاعر الخوف والرجاء، ودفع الغفلة.
· البعد الأخلاقي: ربط السلوك اليومي بيوم الحساب.

الأمر الثاني: مفاهيم البناء والتنمية من الآيات

· مفهوم "التنمية بالوعي الأخروي": لا يمكن بناء مجتمع صالح دون استحضار يوم الحساب.
· مفهوم "إدارة الحياة بالاستعداد للبعث": التخطيط للحياة يجب أن يكون محوره الاستعداد ليوم النفخ في الصور.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية

· مفهوم "المساءلة الذاتية الاستباقية":
· التفصيل: بدلا ً من أن تنتظر السائق والشهيد يوم القيامة، اجعل لنفسك سائقًا (ضميرًا يقظًا) وشهيدًا (محاسبة يومية) في الدنيا.
· كيفية التطبيق: كل ليلة، سق نفسك بنفسك إلى محكمة ضميرك، واستشهد على نفسك بأعمالك، وقرر ما ستفعله غدًا.
· مفهوم "الحياة بغطاء مرفوع جزئيًا":
· التفصيل: المؤمن يعيش وبصيرته مكشوفة على حقائق الإيمان، فهو يرى بالغيب ما لا يراه المنكرون. هذا يجعله أكثر حكمة وسعادة.
· كيفية التطبيق: درب نفسك على أن ترى ما وراء المادة. لا تنظر إلى امرأة جميلة نظرة شهوة فقط، بل انظر إلى أنك ستقف بين يدي الله. لا تنظر إلى مال حرام نظرة متعة، بل انظر إلى أنه سيساق بك إلى النار.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيات (بشكل مفصل)

· المفاهيم النفسية:
1. مفهوم "الصدمة العلاجيه):
· التفصيل: خطاب {لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ} هو صدمة نفسية علاجية للمؤمن في الدنيا. إنه يجعله يرتجف، فيفيق من غفلته. هذه الصدمة ليست محبطة، بل هي محفزة، لأنها مصحوبة بأمل التوبة.
· التطبيق العملي: اقرأ هذه الآية بصوت عال، وخاطب بها نفسك: "يا فلان، لقد كنت في غفلة من هذا!". هذا التطبيق يهز كيانك ويجعلك تراجع مسار حياتك.
2. مفهوم "الوعي بالمراقبة المزدوجة":
· التفصيل: وجود سائق وشهيد، أي مراقب خارجي ومسجل، يجعلك تعيش حالة من الوعي المزدوج بأفعالك. أنت تعلم أنك لن تفلت، لا هروبًا ولا إنكارًا. هذا الوعي يرتقي بسلوكك إلى أعلى

درجات المسؤولية.
· التطبيق العملي: أثناء عملك، تخيل أن هناك كاميرا تصورك (الشهيد)، وحارسًا يقف خلفك (السائق). كيف سيكون عملك؟ هذا هو إحسان العمل.
· المفاهيم الفكرية:
1. مفهوم "النهاية الحتمية للغفلة":
· التفصيل: الغفلة ليست حالة دائمة، بل هي حالة مؤقتة تنتهي بصدمة الانكشاف. هذه الفكرة تحررك من وهم أن ما أنت فيه من غفلة سيستمر. بل إن كل غفلة لها نهاية، فاجعل نهايتها بتوبتك لا بموتك.
· التطبيق العملي: إذا وجدت نفسك تمر بفترة غفلة وفتور، لا تقل: "هذا حالي". بل قل: "هذه الغفلة ستنتهي، وسأفيق، فلماذا لا أفيق الآن؟".
2. مفهوم "بصر القلب وبصر العين":
· التفصيل: هناك فرق بين بصر العين وبصر البصيرة. {فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ} يعني أن بصر البصيرة أصبح قويًا. أما في الدنيا، فبصر العين قوي، وبصر البصيرة ضعيف عند الغافلين. القرآن يدعوك لتقوية بصر البصيرة اليوم.
· التطبيق العملي: عندما تقرأ القرآن، لا تقرأه بعينيك فقط، بل بعين بصيرتك. ابحث عن المعاني التي تنكشف بها غطاء قلبك.
· المفاهيم التربوية:
1. مفهوم "التربية من خلال تقريع الذات":
· التفصيل: بدل أن يقرعك الله يوم القيامة، قرع نفسك اليوم. عاتب نفسك، ووبخها على تقصيرها، وادفعها إلى الخير. هذه التربية الذاتية تجعلك تصلح من نفسك قبل أن تحتاج إلى التقريع الخارجي.
· التطبيق العملي: اكتب رسالة من نفسك إلى نفسك، بعنوان: {لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا}. اذكر فيها غفلاتك، وحدد فيها كيف ستتغير. هذه الممارسة تربوية وعملية.
2. مفهوم "صحبة السائق والشهيد":
· التفصيل: لا تسر في الحياة وحدك، بل تخير لنفسك "سائقًا" يدفعك للخير (كصديق صالح)، و "شهيدًا" من نفسك (كضمير حي). فهذه الصحبة تعينك حتى تصل إلى الله سالمًا.
· التطبيق العملي: صاحب من يذكرك بالله، ومن يدفعك إلى الطاعة. واجعل من نفسك رقيبًا عليها، فهذا خير زاد ليوم المعاد.

الأمر الخامس: كيف نحول مفاهيم الآيات إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية؟

.1على مستوى بناء الإنسان:
· تحويل الخوف من النفخة إلى طاقة عمل: فبدل أن يشلك الخوف، يجعلك هذا المشهد تعمل بجد ونشاط، لأنك تعلم أن كل لحظة تقربك من هذا اليوم.
.2على مستوى بناء المجتمع:
· مجتمع الشفافية المطلقة: حيث يسود شعور عام بأن "الغطاء سينكشف"، فيقل النفاق، وتختفي الجرائم الخفية، لأن الكل يعلم أن ما خفي سيظهر.
.3على مستوى بناء الحضارة:
· حضارة "ما بعد الغطاء": حضارتنا تقوم على أن هناك حياة بعد الموت، وهذا يعطي لكل عمل في الدنيا معنى أبديًا. فنحن نبني لا للمئة سنة القادمة فقط، بل للأبد. هذا المنظور يجعل الحضارة أرقى وأبقى.

رابعاً: المهارات الحياتية المعرفية والعملية التي نتعلمها من الآيات

أولا ً: المهارات المعرفية
.1مهارة التخيل الإبداعي للآخرة :
· التفصيل: استخدام الخيال لتصور مشاهد القيامة كما وردت في القرآن. هذه المهارة تربي فيك الخشية واليقين.
· التطبيق: أغمض عينيك، وتخيل نفسك وقد خرجت من قبرك، وتسمع صوت النفخة، وتمشي ومعك سائقك وشهيدك. هذا التخيل يجعل الإيمان حيًا.
.2مهارة التفكير من منظور النهاية :
· التفصيل: قبل أن تفعل أي شيء، اسأل نفسك: "كيف سيكون حالي في ذلك اليوم وأنا أفعل هذا ؟". هذا المنظور يغير خياراتك تمامًا.
· التطبيق: قبل أن تغضب، تخيل أن هذا الموقف سيعرض عليك وأنت بين يدي الله، وسيسألك

عنه.

ثانيًا: المهارات العملية
.1مهارة "إدارة الغفلة":
· التفصيل: الغفلة طبيعة بشرية. هذه الآية تعلمك كيف تدير غفلتك، بأن تحد من فتراتها، وتسرع في الخروج منها كلما دخلت فيها.
· التطبيق: ضع منبهًا في جوالك كل ساعتين، مكتوبًا فيه: {فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ}. هذا التذكير المتكرر يقصر زمن الغفلة.
.2مهارة "الإفاقة السريعة(:
· التفصيل: أن تتعلم كيف تخرج من حالة الغفلة بسرعة، بمجرد أن يذكرك مذكر. لا تبقَ في الغفلة أيامًا وشهورًا.
· التطبيق: بمجرد أن تسمع آية أو موعظة، بادر فورًا بتطبيق ما استطعت. هذا التعود على سرعة الإفاقة ينقذك من الغفلة الطويلة.

الخاتمة: قبل النفخة...

وها نحن نقف على أعتاب هذه الآيات المهيبة، وقد سمعنا النفخة، ورأينا السائق والشهيد، وسمعنا خطاب التقريع، وشهدنا انكشاف الغطاء. {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ}... يا له من صوت! إنه الصوت الذي ينهي كل شيء في الدنيا، ويبدأ كل شيء في الآخرة. إنه صوت العدل المطلق، والجزاء الحتمي. {فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ}... يا ليتها كانت حادة في الدنيا، فرأت الحق فاتبعته، ورأت الباطل فاجتنبته!

قبل أن تنتهي من قراءة هذا التدبر، ارفع رأسك، وانظر إلى السماء، وتخيل أنها تنفطر، وتخيل أنك تسمع النفخة. ثم انظر إلى قلبك، واسأله: "ماذا أعددت لهذا اليوم؟". لا تنتظر حتى {لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ}، بل قل اليوم: "اللهم أيقظني من غفلتي، واكشف عن قلبي الغطاء، واجعل بصري وبصيرتي حادين في طاعتك، حتى ألقاك وأنت راضٍ عني". واجعل شعارك: "أعيش اليوم وكأني أرى غدًا".

اقرأ هذه الآيات الآن، بصوت مرتعش، وبقلب واجف، وبدموع تنهمر، فهي والله آيات تقلب الموازين، وتغير مجرى الحياة. {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (20) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (21) لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22)}.
المبحث الثاني
يا من سار معنا في دروب السورة، ووقف على أعتاب السكرة، وسمع صيحة النفخ، ورأى مشهد المساق والشهيد، وعاش لحظة انكشاف الغطاء... تعالَ بقلبك وعقلك معًا، لتدخل إلى قاعة المحكمة الكبرى، لا لتشاهد غيرك يُحاكم، بل لترى كيف تُعرض أنت على الله. إنها الآيات التي تفصل ما أُجمل في قوله {فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ}، فها هو بصرك الحديد يرى الآن "قرينك" الذي أغواك، وها هو الأمر الإلهي يصدر، وها هي جهنم تتلقى أهوالها.

تمهيد: لماذا هاتان الآيتان الآن؟ وما صلتهما بما قبلهما؟

بعد أن كُشف الغطاء، وصار البصر حديدًا، ووقف الإنسان في أرض المحشر مسوقًا مشهودًا عليه، يأتي الآن مشهد الحساب والجزاء. لقد انتهى زمن السوق والشهادة، وبدأ زمن النطق بالحكم. في الآيات السابقة، كان الحديث عن "كل نفس"، أما هنا فالحديث عن نموذج بشري محدد: "كل كفار عنيد"، "مناع للخير معتد مريب". إنه الانتقال من العموم إلى الخصوص، لترى بأم عينيك صفات من يستحقون العذاب، ولتحاسب نفسك: "هل فيّ شيء من هذه الصفات؟".

هذه الآيات تكمل مشهد المحاكمة الإلهية. فبعد أن قدم السائق والشهيد، يأتي دور "القرين" ليشهد، ثم يصدر الحكم النهائي من الله: {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ}. إنها ذروة المشهد القضائي، حيث تتنوع الشهود (الملكان، القرين، الجوارح)، وحيث الحكم لا يُرد، وحيث العذاب ينتظر المجرمين.

أما أهداف هذه الآيات ومقاصدها الكبرى فهي:

.1بيان عدل الله المطلق من خلال تعدد الشهود، حتى لا يبقى للإنسان عذر.
.2كشف خطورة القرين السيء والصداقة التي تقوم على غير طاعة الله.

.3توصيف دقيق لأهل النار لنكون على حذر من صفاتهم.
.4إثارة الخوف والرجاء في قلب المؤمن، ليبادر بالتوبة قبل فوات الأوان.
.5ربط الذنوب الكبرى ببعضها: الكفر، والعناد، ومنع الخير، والاعتداء، والارتياب، والشرك بالله.

أولا ً: تحليل الآيات

هلمّ بنا ندخل إلى قاعة المحكمة الإلهية، ونسمع الأصوات، ونشهد المشاهد.

المحور الأول: {وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ} – شهادة القرين

1/ من هو} قَرِينُهُ{؟ ولماذا ينطق الآن؟
القرين هو الشيطان الموكل بالإنسان في الدنيا، والذي ظل يوسوس له، ويزين له الشر، ويصده عن الخير. قال تعالى: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ}. وفي يوم القيامة، بعد أن كان القرين رفيقًا في الدنيا يغوي صاحبه، يأتي ليشهد عليه. إنه مشهد مخزٍ للكافر: الذي كان صديقه وحليفه بالأمس، هو اليوم شاهده الذي يفضحه! لماذا ينطق القرين؟ لأنه لا يملك إلا النطق بـ الحق في هذا اليوم. لقد انتهى زمن الإغواء، وبدأ زمن الشهادة.

2/ ما معنى الإشارة في} هَٰذَا{؟
{هَٰذَا} تشير إلى ما لدى القرين من سجل أو عتاد أو عمل مُعدّ لصاحبه. والمعنى: "هذا الذي عندي من العمل السيء، ومن الذنوب، ومن الكفر، قد أحضرته وأعددته للعرض والشهادة عليك". إنها لحظة فضيحة، فالقرين يقدم لله سجل جرائم صاحبه، ويقول: "هذا الذي وكلتني به، قد أهلكته وأغويته، وها أنا أحضره بأعماله الخبيثة".

3/ ما معنى} عَتِيدٌ{؟
{عَتِيدٌ} أي حاضر مُعَدّ، لا يحتاج إلى تحضير. لقد أعد القرين كل هذا وسجله، وهو الآن جاهز لتقديمه بين يدي الله. وقد ورد هذا الوصف للملكين الرقيب والعتيد في قوله: {مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}. فكما أن الملكين شاهدان حاضران، فالقرين أيضًا شاهد حاضر، يقدم ما عنده دون تأخير. وكأن الآية تقول: "لقد أحاطت بك الشهود من كل جانب: ملكان، وقرين، وجوارح، وكتاب. فأين المفر؟".

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: خيانة الصديق السيء. من أشد المشاعر إيلامًا أن يخونك صديقك. وفي هذا المشهد، يتخلى القرين عن صاحبه ويفضحه. هذا يحررك اليوم من عبودية الصداقات الفاسدة، ويجعلك تتخير أصحابك بعناية.
· رسالة تربوية: احذر قرين السوء. هذه الآية تربي فيك الحذر من الشيطان ووساوسه، ومن أصدقاء السوء الذين هم شياطين الإنس. كل من يزين لك الشر هو قرينك الذي سيشهد عليك يومًا.
· رسالة عقلية: تعدد الشهود لإقامة الحجة. العقل يدرك أن من تمام العدالة تعدد الشهود، لئلا يكون للمتهم حجة. فـالله لا يكتفي بشاهد واحد، بل يجعل لك شهودًا من كل صنف.

المحور الثاني: {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (24) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ} – الأمر الإلهي بالعقاب وصفات المعاقبين

1/ لمن يوجه الأمر} أَلْقِيَا{؟
الخطاب لمثنى، قيل: للملكين السائق والشهيد، أو لخزنة جهنم، أو للملكين الشاهدين على العبد. والأ رجح أنه للسائق والشهيد اللذين كانا معه. فيأمرهما الله أن يلقيا بصاحبهما في جهنم. إنه أمر إلهي حاسم، لا تردد فيه ولا رحمة معه. وكأن الآية تقول: "لقد قادتماه إلينا، وها هو قد ثبت عليه الجرم، فألقياه في مستقر عذابه".

2/ لماذا وصفت جهنم بلفظ} جَهَنَّمَ {هنا؟
جهنم هي اسم دار العذاب، وفيها معنى البعد والقعر والتجهم (العبوس). وكأن الاسم وحده يحمل كل معاني العذاب والظلمة والضيق. فإلقاؤهم في جهنم هو إلقاء في بعد عن رحمة الله، وفي عمق

العذاب، وفي مواجهة العبوس والغضب الإلهي.

3/ ما صفات من يُلقى في جهنم؟) تحليل الأوصاف الأربعة(
لنقف مع كل وصف، فهي مرآة نرى فيها أهل النار، ونحاسب أنفسنا:

· {كُلَّ كفّارٍ عَنِيدٍ}:
· الكفار: صيغة مبالغة من الكفر. ليس مجرد كافر، بل هو كثير الكفر، متمادٍ فيه، مصر عليه. فالكفر عنده طبع وسجية، لا طارئ عابر.
· العنيد: هو المعاند، الذي يعرف الحق ويتمرد عليه. العناد أشد من الجهل، فالعنيد يعرف الحق، ولكنه يأبى اتباعه كبرًا. وهذا الوصف يشير إلى أن العذاب كان على علم وعناد، لا على جهل فحسب.
· {مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ}:
· المناع: صيغة مبالغة من المنع. هو كثير المنع للخير. والخير هنا يشمل كل ما ينفع الناس: المال، والعلم، والنصيحة، والشفاعة الحسنة. فهو لا يفعل الخير فقط، بل يمنع غيره من فعله! فهو شر مطلق ، ضار بنفسه وبغيره. يمنع الزكاة، يمنع الصدقة، يمنع الإحسان، يمنع الكلمة الطيبة، يمنع الإصلاح بين الناس.
· {مُعْتَدٍ}:
· المعتدي: هو المتجاوز للحدود في كل شيء. اعتداء على حرمات الله، واعتداء على حقوق العباد. فهو ظالم، طاغ، متجاوز لحدود الشرع والعقل والفطرة. يظلم في ماله، في لسانه، في جسده، في سلطته.
· {مُرِيبٍ}:
· المريب: هو الشاك في الحق، المرتاب في وعد الله ووعيده، الذي يثير الشكوك في قلوب الآ خرين. هو ليس فقط شاكًا، بل يزرع الريب والشبهات في نفوس المؤمنين. إنه يحب أن يشكك الناس في دينهم، وفي قدرة الله، وفي رحمة الله.

4/ ما سر الجمع بين هذه الصفات الأربع؟
هذه الصفات الأربع تشكل منظومة متكاملة للشخصية المجرمة:

· الكفر العنيد: فساد القلب والعقل (العلاقة مع الله).
· منع الخير: فساد في العلاقات الاجتماعية (البخل والأنانية).
· الاعتداء: فساد في السلوك والأخلاق (الظلم والتجاوز).
· الارتياب: فساد في الفكر والإيمان (الشك ونشر الشبهات).

إنها صورة متكاملة للخبث، تبدأ من القلب (الكفر والعناد)، وتظهر في السلوك (منع الخير والاعتداء)، وتمتد إلى الفكر (الارتياب). وهذا يعلمك أن للذنوب صلة بعضها ببعض، وأن الكفر يقود إلى البخل، و البخل يقود إلى الظلم، والظلم يقود إلى الشك.

5/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الخوف من الاتصاف بهذه الصفات. حين تقرأ هذه الصفات، ينبغي أن يرتجف قلبك خوفًا من أن يكون فيه شيء منها. وهذا الخوف هو خوف إيجابي يدفعك للتطهير.
· رسالة تربوية: تحديد معايير الخير والشر. هذه الآية تعطيك قائمة واضحة بصفات يجب اجتنابها: لا تكن كفارًا، لا تكن عنيدًا، لا تمنع الخير، لا تعتد، لا ترتاب. إنها منهاج تربية نفسي شامل.
· رسالة عقلية: تلازم الصفات السيئة. العقل يرى كيف أن هذه الصفات مرتبطة ببعضها، فالكفر يؤدي إلى الارتياب، والعناد يؤدي إلى الاعتداء، ومنع الخير يؤدي إلى القسوة.

المحور الثالث: {الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي العَذَابِ الشَّدِيدِ} – تفصيل الجرم الأكبر وتكرار ا لأمر

1/ لماذا خص الشرك بالذكر بعد العموم؟
بعد أن ذكر الصفات الأربع العامة، خص الشرك بالذكر لأنه أصل الداء، وأعظم الذنوب. فالذي يجعل مع الله إلهًا آخر، هو كفار عنيد، مناع للخير، معتدٍ مريب. فالشرك هو رأس كل خطيئة، وهو الذي يمنع صاحبه من فعل الخير، ويدفعه للاعتداء، ويجعله في ريب من الحق. إنه تخصيص بعد تعميم، لبيان أن هذا هو الجرم الأعظم الذي استحقوا به هذا العذاب.

2/ لماذا كرر الأمر} فَأَلقِيَاهُ{؟
تأمل معي! لقد قال أولا ً: {أَلقِيَا فِي جَهَنَمَ}، ثم قال هنا: {فَأَلقِيَاهُ فِي العَذَابِ الشَدِيدِ}. هذا التكرار له دلالات:

· التأكيد والتهويل: الأمر جلل، والعقاب شديد، فيكرر الأمر لتأكيده وبيان خطورته.
· بيان تدرج العذاب: الإلقاء الأول في جهنم، والإلقاء الثاني في "العذاب الشديد" الذي هو أخص وأعمق. فكأنهم يُلقون في جهنم أولا ً، ثم يُدفعون إلى أشد عذابها.
· إظهار الغضب الإلهي: تكرار الأمر يوحي بشدة الغضب على هذا المجرم، وكأن الله لا يكتفي بأمر واحد، بل يكرره لشدة البغض والمقت لهذا الصنف من الناس.

3/ ما الفرق بين} جَهَنَمَ {و} العَذَابِ الشَدِيدِ{؟
جهنم هي اسم دار العذاب، والعذاب الشديد هو ما تشتمل عليه هذه الدار من ألوان العقوبات. فجهنم هي المكان، والعذاب الشديد هو الكيفية. فهما متلازمان: يلقون في جهنم، فيذوقون العذاب الشديد الذي فيها.

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: استعظام الشرك. أن يكون الشرك هو الموجب لهذا العذاب الشديد، يجعلك تستعظم هذا الذنب، وتخافه أشد الخوف، وتبرأ إلى الله منه ومن أهله.
· رسالة تربوية: خطر التهاون بالذنوب. هذا المشهد يربيك على أن بعض الذنوب قد تكون سببًا للعذاب الشديد، فلا تتهاون بذنب مهما صغر في عينك.
· رسالة عقلية: تناسب العقاب مع الجريمة. الشرك بالله هو أشد الجرائم، فكان العقاب هو العذاب الشديد. وهذا من كمال العدل الإلهي.

المحور الرابع: لطائف وحِكم من سياق الآيات

1/ ما وجه الربط بين شهادة القرين) الآية (23 والأمر بالإلقاء) الآية24 -(26؟
شهادة القرين هي الختام الذي يثبت الإدانة، وبعدها مباشرة يصدر الحكم. فالمحاكمة تبدأ بالسائق و الشهيد، وتنتهي بشهادة القرين، وحين تثبت الإدانة، يأتي الأمر: {أَلقِيَا}. إنها محاكمة سريعة عادلة، لا نقض فيها ولا إبرام.

2/ كيف ترتبط هذه الآيات بختام الآية(22) :} فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ{؟
لما انكشف الغطاء وصار البصر حديدًا، رأى الإنسان الحقائق، ومنها قرينه الذي كان يوسوس له. ففي الدنيا كان لا يراه، أما اليوم فعيناه تراه، وأذناه تسمع شهادته. فبصره الحديد يرى الآن من كان خفيًا عنه في الدنيا.

3/ لماذا لم يذكر توبة هؤلاء أو استعطافهم؟
لأنه لا توبة في ذلك اليوم. إنه يوم الجزاء لا يوم العمل. وعدم ذكر استعطافهم يوحي بأنهم قد أبلسوا ويئسوا، فلا ينطقون بشيء ينفعهم.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات

الأمر الأول: أسئلة تدبرية تطبيقية لتوظيف الآيات في واقعك العملي

١/ سؤال الاستمداد:} وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ...{هل تستمد الحذر من قرناء السوء؟

· تطبيق في علاقاتك: راجع قائمة أصدقائك. هل فيهم من يزين لك الشر، ويثبطك عن الخير؟ هذا هو "قرينك" في الدنيا، ففارقه قبل أن يشهد عليك يوم القيامة.
· تطبيق في وساوسك: الوسواس الخناس هو قرينك الدائم. استعذ بالله منه في كل حين، ولا تتبع خطواته، فكل خطوة معه هي شهادة عليك.

٢/ سؤال القيمة:} مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ...{هل أنت مناع للخير أم بواب له؟

· في مالك: هل تمنع الزكاة؟ هل تبخل بالصدقة؟ تذكر أن "المناع للخير" من أهل النار. كن سخيًا، واجعل مالك سببًا لدخولك الجنة.
· في علمك ونصيحتك: هل تمنع العلم عمن يسألك؟ هل تمنع النصيحة عن أخيك؟ بذل العلم والنصح من أعظم الخير.

٣/ سؤال التأثير:} مُعْتَدٍ ...{أين تجاوزت حدودك؟

· في أخلاقك: هل تعتدي على الناس بلسانك؟ بالغيبة والنميمة والسخرية؟ هل تعتدي على حقوقهم؟ راجع تجاوزاتك وتب منها.
· في تعاملك مع البيئة والحيوان: لا تكن معتديًا حتى على الطبيعة والحيوان، فالاعتداء يشمل كل شيء.

٤/ سؤال اليقين:} مُرِيبٍ ...{هل في قلبك ريب من وعد الله ووعيده؟

· مراجعة الإيمان: هل تشك في رزق الله فتسعى بالحرام؟ هل تشك في رحمة الله فتقسو على نفسك؟ هل تشك في نصر الله فتذل للباطل؟ اطرد الريب بالإيمان والتوكل.
· تحصين قلبك: لا تستمع للمرتابين والمشككين، ولا تقرأ شبهاتهم إن كنت ضعيفًا، فالاستماع للريب يورث الريب.

الأمر الثاني: أهم القضايا التي تعالجها الآيات

· قضية الصحبة والصداقة: أثر الصديق في الدنيا، وشهادته في الآخرة.
· قضية تجريم الكفر والعناد ومنع الخير: بيان أن هذه الصفات ليست مجرد أخطاء، بل جرائم تستوجب العذاب الشديد.
· قضية عدالة الجزاء: تناسب العقاب مع حجم الجريمة.
· قضية فساد القلب وعلاقته بالجوارح: كيف أن الكفر يولد العناد، والعناد يولد منع الخير، وهكذا.

الأمر الثالث: خطوات عملية لتنزيل عظمة الآيات على أرض الواقع

١/ مشروع "تخلّ عن صفات أهل النار":
اكتب الصفات الأربع (كفار عنيد، مناع للخير، معتد، مريب) في ورقة، وضعها في مكان تراه يوميًا. اسأل نفسك كل ليلة: "هل فعلت اليوم شيئًا من هذه الصفات؟". وتب إلى الله مما كان منها.

٢/ تطبيق "التخلص من القرين":
حدد عادة سيئة واحدة تريد التخلص منها (تدخين، غيبة، تأخير صلاة...). اعلم أن الشيطان هو الذي يزينها لك، فهو "قرينك" فيها. جاهد هذه العادة بنية التحرر من شهادة قرينك عليك بها يوم القيامة.

٣/ مشروع "كن بوابًا للخير":
بدلا ً من أن تكون مناعًا للخير، كن بوابًا له. كل يوم، سهل خيرًا لأحد: أرشد ضالا ً، أطعم جائعًا، تصدق بمال، علم جاهلا ً، أصلح بين متخاصمين.

٤/ مراجعة اليقينيات:
اجلس مع نفسك واسأل: "هل أنا مرتاب؟". اكتب الأدلة القطعية على وجود الله، وعلى صدق القرآن، وعلى البعث. هذه الكتابة تثبت يقينك، وتطرد الريب.

الأمر الرابع: الدروس والعبر العملية المستخلصة من الآيات

١/ الصديق السيء هو خصمك يوم القيامة:
فتخير أصدقاءك اليوم، فهم شهودك غدًا.

٢/ الذنوب مترابطة:
فاحذر صغائرها، فهي طريق إلى كبائرها.

٣/ الكرم والجود طوق نجاة:
فمن كان مناعًا للخير في الدنيا، منع الخير عنه في الآخرة.

٤/ الشكوك والوساوس إن لم تطردها أهلكتك:
فطهر قلبك بالإيمان، وابتعد عن المثيرات.

الأمر الخامس: كيف يكون تعميق أثر هذه الآية في حياتك اليومية؟

١/ في الصداقة:
لا تصاحب إلا من يذكرك بالله، ويقربك من الخير، ويبعدك عن الشر.

٢/ في الكسب والإنفاق:
كن كريمًا، ولا تمنع مالك عن المحتاجين. تذكر أن المال مال الله، وأنك مستخلف فيه.

٣/ في الفكر والعقيدة:
إذا دخلت عليك شبهة، فاطلب العلم، واسأل أهل الذكر، ولا تترك الشبهة تنمو فتصير ريبًا.

٤/ في المراقبة:
استحضر دائمًا أن قرينك يسجل، وملكيك يسجلان، فلا تترك شيئًا يسجل عليك.

الأمر السادس: أهم الرسائل والتوجيهات من الآيات في حياتنا العملية

· كل صديق سوء هو قرين شاهد عليك، فاختر من تشهد معك.
· لا تكن مناعًا للخير، فاليد التي لا تمتد بالعطاء في الدنيا، ستُساق إلى العذاب في الآخرة.
· الاعتداء على حقوق الآخرين جريمة لن تمر بلا عقاب.
· اليقين نجاة، والريب هلاك. فثبّت قلبك بالإيمان.

ثالثًا: أهم المفاهيم من الآيات

الأمر الأول: أبعاد الآيات وآفاقها

· البعد العقدي: إثبات عدل الله في محاكمة العباد، وتعدد الشهود.
· البعد الأخلاقي: بيان الصفات الذميمة التي تؤدي إلى النار.
· البعد الاجتماعي: بيان أثر الفرد على المجتمع (مناع للخير، معتد).

الأمر الثاني: مفاهيم البناء والتنمية من الآيات

· مفهوم "بناء الذات باجتناب المهلكات": أول خطوات بناء الإنسان هي تطهيره من صفات الهلاك.
· مفهوم "التنمية بالكرم والعطاء": مقابل {مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ}، نجد أن المجتمع ينمو بالكرم وبذل الخير.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية

· مفهوم "تدقيق السجل الشخصي":
· التفصيل: كما أن القرين يحضر السجل {هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ}، اجعل لك سجلا ً شخصيًا تراجع فيه أعمالك يوميًا.
· كيفية التطبيق: دفتر تحاسب فيه نفسك كل ليلة، ليكون "سجلك" حجة لك لا عليك.
· مفهوم "الفلترة الأخلاقية":

· التفصيل: استخدام قائمة الصفات الأربع كمعيار لفلترة سلوكك. كل فعل قبل أن تفعله، اعرضه على هذه القائمة: هل فيه كفر؟ عناد؟ منع للخير؟ اعتداء؟ ريب؟
· كيفية التطبيق: ضع القائمة في جوالك، وراجعها كلما هممت بفعل.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيات (بشكل مفصل)

· المفاهيم النفسية:
1. مفهوم "العار من شهادة القرين":
· التفصيل: شعور الإنسان بالعار والفضيحة حين يشهد عليه قرينه. هذا الشعور يمكن استثماره اليوم للتوبة، فالعار اليوم خير من العار غدًا.
· التطبيق العملي: تخيل أن كل ذنب تفعله سيشهد به قرينك يوم القيامة أمام الخلائق. هذا الخيال يردعك عن المعصية.
2. مفهوم "علم النفس العكسي في التربية":
· التفصيل: عرض صفات أهل النار ليكرهها المؤمن ويجتنبها. هذا أسلوب قرآني في التربية: لا تقل "كن بخيلا ً"، بل أرني البخيل وما مصيره، فأجتنبه.
· التطبيق العملي: اقرأ هذه الآيات بتأمل، واسأل نفسك: "هل أريد أن أكون مثل هذا؟".
· المفاهيم الفكرية:
1. مفهوم "الجريمة المنظمة للشخصية":
· التفصيل: الصفات المذكورة ليست عشوائية، بل هي منظومة جريمة متكاملة: فكر (ريب)، قلب (كفر)، سلوك (اعتداء)، معاملة (منع). إنها شخصية إجرامية متكاملة الأركان.
· التطبيق العملي: في دراستك لعلم النفس أو علم الجريمة، استخدم هذه الآية لتصنيف الشخصيات الإجرامية.
2. مفهوم "السببية المتسلسلة للشر":
· التفصيل: الآية تبين تسلسل الشر: الكفر يؤدي للعناد، العناد يؤدي لمنع الخير، منع الخير يؤدي للاعتداء، والاعتداء يؤدي للريب. إنها سلسلة شر.
· التطبيق العملي: اقطع سلسلة الشر من أولها. إياك والكفر، فإن سلمت منه، سلمت مما بعده.
· المفاهيم التربوية:
1. مفهوم "التربية بضرب الأمثال السيئة":
· التفصيل: كما أن هناك قدوات حسنة، هناك نماذج سيئة يجب معرفتها لتجنبها. الآية تعرض "نموذج الكفار العنيد" ليكون عبرة.
· التطبيق العملي: في تربية أبنائك، لا تذكر لهم فقط قصص الصالحين، بل اذكر لهم أوصاف الطالحين في القرآن، ليكرهوها ويجتنبوها.
2. مفهوم "تربية الضمير بالشعور بالمراقبة الجمعية":
· التفصيل: الإنسان لا يراقبه ملك واحد، بل ملكان وقرين ونفسه. هذا الجمع من المراقبين يربي ضميرًا حيًا لا يغفل.
· التطبيق العملي: درب نفسك على أن تستشعر وجود هؤلاء الشهود، فتعيش في يقظة دائمة.

الأمر الخامس: كيف نحول مفاهيم الآيات إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية؟

.1على مستوى بناء الإنسان:
· تحويل الخوف من الصفات المذمومة إلى دافع للتحلي بأضدادها: فبدل الكفر: الإيمان، وبدل العناد: التسليم، وبدل منع الخير: الكرم، وبدل الاعتداء: العدل، وبدل الريب: اليقين.
.2على مستوى بناء المجتمع:
· مجتمع البر والخير: إذا اجتنب أفراده منع الخير والاعتداء، واتصفوا بالكرم والعدل، صار المجتمع جنة في الدنيا قبل الآخرة.
.3على مستوى بناء الحضارة:
· حضارة الشهود: حضارتنا تقوم على أن كل شيء مسجل ومشهود. هذا يعطي لكل عمل قيمة، ويجعل الحضارة كلها متجهة نحو الكمال والجودة، لأن الله شهيد على كل شيء.

رابعاً: المهارات الحياتية المعرفية والعملية التي نتعلمها من الآيات

أولا ً: المهارات المعرفية
.1مهارة تحليل الشخصية(:

· التفصيل: الآية تعطيك أداة لتحليل الشخصيات من خلال أربعة أبعاد: البعد العقدي (كفار)، البعد النفسي (عنيد)، البعد الاجتماعي (مناع للخير)، والبعد الفكري (مريب).
· التطبيق: في التعامل مع الناس، حلل شخصياتهم من هذه الأبعاد، لتعرف من تقرب ومن تبتعد.
.2مهارة التفكير العكسي:
· التفصيل: التفكير في أضداد الصفات المذمومة لتحصيل الصفات المحمودة. ما هو ضد الكفار العنيد؟ المؤمن المذعن. ما هو ضد المناع للخير؟ الباذل للخير.
· التطبيق: كلما قرأت صفة مذمومة، اسأل نفسك: "ما ضدها؟ وهل أنا من أهلها؟".

ثانيًا: المهارات العملية
.1مهارة إدارة العلاقات :
· التفصيل: التعلم من شهادة القرين أن الصديق السيء سيكون وبالا ً. هذه مهارة في اختيار الأ صدقاء وفحصهم.
· التطبيق: قبل أن تتخذ صديقًا حميمًا، راقب أخلاقه، واسأل: "هل سيكون هذا قرين خير أم قرين شر؟".
.2مهارة التطهر الأخلاقي الدوري:
· التفصيل: كما تنظف جسدك يوميًا، نظف أخلاقك من صفات: العناد، منع الخير، الاعتداء، الريب.
· التطبيق: اجعل لك يومًا في الأسبوع (كيوم الجمعة) تراجع فيه نفسك، وتتوب من هذه الصفات، وتجدد العهد على أضدادها.

الخاتمة: قبل أن يقال {ألقِيَا}...

وها نحن نغادر قاعة المحكمة الإلهية، وقد سمعنا الشهود، ورأينا المجرمين، وعرفنا صفاتهم، وسمعنا الحكم. {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ}... يا له من أمر! إنه أمر لا رجعة فيه، ولا استئناف بعده، ولا شفاعة تنفع صاحبه. {كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ}... هذا هو الصنف الذي يستحق هذا. فهل أنا منه؟ هل أنت منه؟

قبل أن ينتهي بك المطاف في هذه الآيات، ارفع يديك إلى السماء، واسأل الله بصدق: "اللهم طهرني من الكفر والعناد، ومن منع الخير والاعتداء، ومن الريب والشك. واجعلني من أهل الإيمان واليقين، و البذل والعدل. واجعل قريني شاهدًا لي لا عليّ، واجعل ملائكتي تكتب الخير لا الشر". إنها فرصة العمر، أن تقرأ هذه الأوصاف وتتطهر منها، قبل أن يأتي اليوم الذي لا ينفع فيه التطهر.

اجعل هذه الآيات دستورًا لك في كل علاقة، وفي كل فكرة، وفي كل سلوك. وقل بقلب واثق: "اللهم إني أعوذ بك أن أكون ممن يقال لهم: {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ}، وأسألك أن أكون ممن يقال لهم: {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ}".

{وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (23) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (24) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (25) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (26)}.
المبحث الثالث
يا من طاف بقاعة المحكمة الإلهية، وسمع شهادة القرين، ورأى بأم عينيه مصير "الكفار العنيد"، ووقف مذهولا ً أمام قوله: {هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ}... تعالَ بقلبك وعقلك معًا، لنقف على مشهد آخر من مشاهد تلك المحكمة، مشهد لا يقل هولا ً وعبرة. إنه مشهد الحوار المحتدم بين المجرم وقرينه، مشهد التخاصم والتنصل، مشهد يفضح حقيقة النفس البشرية التي تبحث لنفسها عن أعذار، فيأتيها الرد الإ لهي على لسان ألد أعدائها. إنها الآية التي تكشف لك أن أعذارك لن تنفعك يوم القيامة، وأن الشيطان نفسه سيتبرأ منك!

تمهيد: لماذا هذه الآية الآن؟ وما صلتها بما قبلها؟
بعد أن عرضت الآيات السابقة (23-26) مشهد الإدانة، حيث شهد القرين على صاحبه، وصدر الأمر الإ لهي بإلقاء المجرم في جهنم، وبُيّنت صفاته الأربع (كفار عنيد، مناع للخير، معتد مريب، مشرك)... يأتي الآن مشهد آخر، ليس في ساحة الحكم، بل ربما على أعتاب جهنم، أو في داخلها، حيث تدور ألسنة اللهب، وتحتدم الحسرات، ويبدأ التخاصم والتلاوم. إنه مشهد جانبي لكنه بالغ الدلالة، يريك كيف يتفاعل المجرم مع مصيره، وكيف يتخلى عنه أعوانه.

في الآية (23)، كان السياق: {وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ} أي قدم القرين سجل الإدانة. وهنا في الآ

آية (27)، يعود القرين ليتكلم مرة أخرى، ولكن هذه المرة ليس ليقدم سجلا ً، بل ليرد على اتهام صاحبه له! فكأن المجرم حين رأى العذاب، التفت إلى قرينه الشيطان وقال له: "أنت أطغيتني، أنت أضللتني، أنت السبب!". فيجيبه القرين بهذه الكلمات التي تحمل في طياتها تبرؤًا وتحقيرًا وإقامة للحجة.

أما أهداف الآية ومقاصدها الكبرى فهي:

.1بيان حقيقة المسؤولية الفردية: وأن الإنسان هو المسؤول الأول عن ضلاله.
.2كشف حقيقة دور الشيطان: وأنه مجرد داع ومزين، لا مسيطر ولا قاهر.
.3قطع الأعذار يوم القيامة: فلا ينفع الإنسان أن يلقي باللوم على الشيطان أو غيره.
.4زرع اليقين بأن الشيطان عدو لا صديق: فهو يتبرأ من أتباعه في أحلك اللحظات.
.5دعوة الإنسان إلى تحمل مسؤولية اختياراته: قبل فوات الأوان.

أولا ً: تحليل الآية

لنقف مع كل كلمة من هذه الآية، فهي خلاصة حوار بين شقي ومعذب، وبين متبوع وتابع.

المحور الأول: {قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ} – تبرؤ الشيطان ونفي الجبر

1/ من هو} قَرِينُهُ {هنا؟ ولماذا يتكلم الآن؟
القرين هنا هو الشيطان الموكل بالإنسان في الدنيا. وقد تحدث في الآية (23) مقدمًا سجل الأعمال، وهنا يتحدث مرة أخرى دفاعًا عن نفسه، وردًا على اتهام صاحبه. ويجوز أن يكون القرين هنا هو الملك، أو الشيطان، والأكثر أنه الشيطان. والملاحظ أنه يخاطب الله بأدب: {رَبَّنَا}، مع أنه في موقف العذاب، وهذا يدل على أن الجميع، حتى الشياطين، يقرون بربوبية الله في ذلك اليوم. إنه يتحدث الآ ن لأن المجرم قد اتهمه، فأراد الله أن يفضح حقيقة هذا الاتهام، وأن يسمع المجرمَ كلمة الحق من عدوه نفسه.

2/ ما دلالة النداء ب{ رَبَّنَا}؟
النداء ب{ "ربنا" فيه إقرار بالعبودية والربوبية. الشيطان نفسه يقر بأن الله هو الرب. وهذا الإقرار يأتي في سياق التبرؤ، ليكون أبلغ في قطع عذر الإنسان. فكأن الشيطان يقول: "يا ربنا، أنت تعلم الحقيقة، وأنا أعترف بها، وأتبرأ مما يدعيه هذا المجرم". إنه يخاطب الله بصفة الربوبية التي تقتضي العدل والعلم، ليشهد الله على صدقه في هذا الموقف.

3/} مَا أَطْغَيْتُهُ ...{ما معنى الطغيان؟ وما سر نفي الإطغاء؟
الطغيان هو تجاوز الحد في الكفر والعصيان. و{مَا أَطْغَيْتُهُ} أي ما جعلته طاغيًا، وما أجبرته على الطغيان، وما كنتُ سببًا في طغيانه إجبارًا وقهرًا. "ما" هنا نافية. فالشيطان ينفي نفياً قاطعاً أنه هو الذي أطغى الإنسان. إنه يقول: "لم أكن أنا الفاعل الحقيقي لطغيانه، فأنا لم أملك عليه إرادته، ولم أسلب منه اختياره". وفي هذا النفي تفصيل دقيق: الشيطان يفرق بين "الإغواء" و"الإطغاء". هو اعترف بالإغواء (الوسوسة والتزيين)، لكنه ينفي الإطغاء (الجبر والإكراه). فهو يقر بدور الوسوسة، لكنه يرفض تهمة الإجبار.

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: زيف الأعذار. الإنسان بطبعه يبحث عن شماعة يعلق عليها أخطاءه. وهنا، الشماعة نفسها (الشيطان) ترفض أن تكون شماعة! هذا يجعلك تواجه نفسك بصراحة، وتترك الأعذار الواهية.
· رسالة تربوية: تحمل مسؤولية أخطائك. هذه الآية تربي فيك النضج الأخلاقي، فلا تقل: "الشيطان أطغاني"، بل قل: "الشيطان وسوس لي، وأنا استجبت وضعفت". هذا الفرق يعينك على التوبة الصادقة.
· رسالة عقلية: إثبات حرية الإرادة. نفي الإطغاء يثبت أن الإنسان مختار، وليس مجبرًا. فلو كان الإ نسان مجبورًا، لكان عقابه ظلمًا، والله أعدل من أن يظلم. فالعقل يدرك أن وجود المسؤولية يستلزم وجود الاختيار.

المحور الثاني: {وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ} – إرجاع العلة إلى الإنسان

1/ ما دلالة} وَلَٰكِن {هنا؟
{وَلَٰكِن} للاستدراك. بعد أن نفى الشيطان عن نفسه تهمة الإطغاء، استدرك ليبين العلة الحقيقية لطغيان هذا الإنسان. إنه ينتقل من نفي السبب عنه، إلى إثبات السبب في الإنسان نفسه. وهذا الاستدراك قاطع للحجة، ومبين للحقيقة.

2/} كانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ...{ما معنى الضلال البعيد؟
الضلال هو البعد عن الحق والهدى. ووصفه ب-"البعيد" يفيد أنه كان ضلالا ً شديدًا، متجاوزًا للحد، بعيدًا عن طريق النجاة. فالإنسان لم يكن في شك يسير، ولا في هفوة عابرة، بل كان غارقًا في ضلا ل بعيد الغور، شديد التمادي، بعيد الأفق عن الصواب. وهذا الضلال هو باختياره وإيثاره، أحبه واستمرأه، واسترسل فيه. فلم يكن ضحية بريئة، بل كان هو مصدر ضلاله.

3/ كيف يكون الإنسان في ضلال بعيد مع وجود الرسل والكتب؟
لقد أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وأودع في الإنسان فطرة سليمة، وعقلا ً يميز، وأعطاه سمعًا وبصرًا. فإذا اختار الإنسان الضلال على الهدى، وأعرض عن الآيات، واتبع هواه، فقد اختار الضلال البعيد بنفسه. فالعلة ليست في نقص الأدلة، بل في إيثار الضلال. وهذا هو مراد الشيطان: "أنا لم أجبره، بل هو الذي آثر الضلال البعيد على الهدى القريب".

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: انكسار الغرور. أن يسمع الإنسان من الشيطان نفسه أنه كان في ضلال بعيد، هذا يكسره ويذله. إنها فضيحة كبرى أن يصفه عدوه بهذا الوصف. وهذا الانكسار في الآخرة يذكرك بأن تتواضع اليوم وتعترف بضلالك إن كنت ضالا ً.
· رسالة تربوية: اختيار الهدى بنفسك. هذه الآية تدفعك لأن تختار الهدى اختيارًا شخصيًا واعيًا، لا أن تكون تابعًا لأحد. اختر الحق بنفسك، وارفض الباطل بنفسك.
· رسالة عقلية: العلة في المعلول لا في العلة. العلة الحقيقية للضلال هي إرادة الإنسان، لا وسوسة الشيطان. فالشيطان سبب خارجي، أما إرادة الإنسان فهي السبب الداخلي الحقيقي. وهذا يفسر لماذا يضل البعض ويهتدي البعض الآخر مع أن الشيطان يوسوس للجميع.

المحور الثالث: لطائف وحِكم من سياق الآية

1/ ما وجه الربط بين هذه الآية والآية(23) :} هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ{؟
في الآية (23)، كان القرين شاهد إدانة. وفي هذه الآية (27)، يتحول من شاهد إدانة إلى خصم منازع، يتبرأ من صاحبه ويتهمه بأنه هو مصدر ضلاله. فشتان بين الموقفين: في الأول يقدم الجريمة، وفي الثاني يتبرأ من المجرم. إنه مشهد يعكس كمال الخزي للمجرم.

2/ لماذا لم يرد المجرم على هذا الكلام؟
عدم ذكر رد المجرم في هذه الآية بالذات، يوحي بأنه أُفحم، وأُسكت، وليس لديه ما يقوله. فحين يتبرأ منه الشيطان، تنقطع كل حججه، وينكسر تمامًا. وفي آيات أخرى، يُذكر تخاصمهم، كما في قوله: {قَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...} الآيات. لكن هنا، كان التركيز على حقيقة واحدة: الشيطان يتبرأ، وهذه هي الكلمة الأخيرة.

3/ كيف ترتبط هذه الآية بمفهوم "كسب الإثم"؟
قال تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ}. وهذه الآية تؤكد هذا المبدأ. فالشيطان لن يحمل وزر الإنسان، ولن يتحمل عنه شيئًا. كل نفس بما كسبت رهينة. فهذه الآية هي ترجمة عملية لهذا المبدأ العقدي.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآية

الأمر الأول: أسئلة تدبرية تطبيقية لتوظيف الآية في واقعك العملي

١/ سؤال الاستمداد:} قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ ...{هل تستمد الشجاعة لمواجهة أخطائك دون أن تبحث عن شماعة؟

· تطبيق في محاسبة النفس: إذا وقعت في ذنب، فلا تقل: "الشيطان لعنه الله أوقعني في هذا". نعم، الشيطان وسوس، لكنك أنت الذي استجبت. قل: "ربي إني ظلمت نفسي واستجبت للشيطان، فاغفر لي". هذا الإقرار هو أول طريق التوبة.
· تطبيق في الاعتذار للآخرين: إذا أخطأت في حق أحد، لا تبرر خطأك بظروف خارجية: "الزحام، الطقس، المدير...". اعترف بخطئك بصراحة. هذه الشجاعة تجعلك مهيبًا عند الناس، وتريح ضميرك.

٢/ سؤال القيمة:} وَلَٰكِن كانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ...{كيف تجعل الهدى اختيارك الشخصي العميق؟

· في طلبك للعلم: لا تكن مقلدًا في دينك. تعلم الأدلة، وابحث عن اليقين بنفسك. فالذي في ضلال بعيد هو الذي ورث دينه بالتقليد دون تفكر.
· في قراراتك المصيرية: لا تترك قراراتك للآخرين، بل اختر بنفسك بعد الاستشارة. فأنت المسؤول عن اختيارك.

٣/ سؤال التأثير: كيف تؤثر فيمن حولك ليتحملوا مسؤولياتهم بدلا ً من إلقاء اللوم على الشياطين؟

· في نصحك: إذا سمعت أحدًا يقول: "الشيطان هو السبب!"، ذكره برفق: "نعم الشيطان داع، لكن الا ختيار لنا. فلنستعن بالله عليه، ولنعترف بضعفنا لنقوى".
· في تربية أبنائك: علمهم أن الشيطان عدو، لكنه لا يستطيع إجبارهم على الخطأ. هم الأقوياء بإيمانهم، وهم المختارون.

٤/ سؤال اليقين: هل توقن أن أعذارك لن تنفعك يوم القيامة؟

· مراجعة الذات: ما هو العذر الذي تعيش به على المعصية؟ "ظروفي صعبة، المجتمع فاسد، أصدقائي..." تذكر أن هذه الأعذار ستسقط في ذلك اليوم، وستبقى وحدك مسؤولا ً. تصرف اليوم من منطلق هذا اليقين.

الأمر الثاني: أهم القضايا التي تعالجها الآية

· قضية الحرية والمسؤولية: إثبات حرية الإرادة الإنسانية وأنها أساس التكليف.
· قضية دور الشيطان الحقيقي: تفنيد الاعتقاد بأن الشيطان يسيطر على الإنسان سيطرة مطلقة.
· قضية الاحتجاج بالقضاء والقدر: إبطال حجة من يحتج بالقدر على معاصيه.
· قضية الصداقة يوم القيامة: بيان أن الصداقات على الباطل تنقلب عداوات.

الأمر الثالث: خطوات عملية لتنزيل عظمة الآية على أرض الواقع

١/ تمرين "لا أعذار":
كل ليلة، راجع ثلاثة أخطاء فعلتها. اكتب بجانب كل خطأ: "ما العذر الذي ألصقته به؟". ثم اكتب: "الحقيقة: أنا المسؤول، وأنا سأعالجه بكذا". هذا التمرين يبني فيك شخصية مسؤولة.

٢/ مشروع "كفى شماعة":
في مناقشاتك الأسرية أو العملية، إذا وجدت نفسك تلقي باللوم على الآخرين، توقف فورًا، وقل: "أنا مسؤول عن هذا الجزء". هذا يوقف سلسلة التبريرات، ويجعلك قدوة.

٣/ تدبر قصة إبليس مع التائبين:
اقرأ قصة إبليس مع المؤمنين في سورة إبراهيم: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ...}. تأمل كيف يتبرأ من كل أتباعه. هذا يعمق فيك كراهية الشيطان، والحرص على عدم اتباعه.

٤/ تطبيق "اختيار الهدى":
كل صباح، جدد اختيارك. قل: "اللهم إني أختار طاعتك، وأرفض معصيتك، وأتبرأ من حولي وقوتي إلى حولك وقوتك". هذا الاختيار الواعي يجعلك ثابتًا.

الأمر الرابع: الدروس والعبر العملية المستخلصة من الآية

١/ أنت صاحب القرار الأول والأخير:
لا تجعل من الشيطان أو غيره سببًا لضلالك، بل اختر الهدى بنفسك.

٢/ الأعذار الواهية زاد الضعفاء:
الأقوياء يعترفون بأخطائهم ويصلحونها، والضعفاء يبحثون عن أعذار.

٣/ أعدى أعدائك سيتبرأ منك:
فلا تغتر بصداقة من يدعوك للشر، فسيأتي يوم يتخلى فيه عنك.

٤/ الضلال البعيد يبدأ بخطوة صغيرة:
فانتبه لخطواتك، ولا تستصغر ذنبًا، فهو بداية طريق الضلال البعيد.

الأمر الخامس: كيف يكون تعميق أثر هذه الآية في حياتك اليومية؟

١/ في التوبة:
إذا أذنبت، فتب فورًا، وقل: "رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا". أنت المسؤول، وأنت التائب.

٢/ في النجاح والفشل:
إذا نجحت، فلا تقل: "بذكائي". وإذا فشلت، لا تقل: "بظروفي". ارجع الفضل لله، وراجع نفسك في الفشل.

٣/ في العلاقات:
إذا اختلفت مع صديق، فلا ترمِه بكل الذنب. كن شجاعًا، واعترف بنصيبك من الخطأ.

الأمر السادس: أهم الرسائل والتوجيهات من الآية في حياتنا العملية

· لا تكن كبش فداء للشيطان، ولا تجعله كبش فداء لك.
· اعترف بخطئك، ففي الاعتراف قوة لا ضعف.
· الهدى قرار تتخذه كل لحظة، فاختره اليوم.
· كل عذر تتعلق به في الدنيا، سينقطع حبله في الآخرة.

ثالثاً: أهم المفاهيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد الآية وآفاقها

· البعد العقدي: إثبات عدل الله، ونفي الجبر عن الإنسان.
· البعد النفسي: كشف آلية التبرير النفسي، وكيفية التحرر منها.
· البعد التربوي الأخلاقي: بناء شخصية تتحمل المسؤولية الأخلاقية الكاملة.

الأمر الثاني: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

· مفهوم بناء الإنسان المسؤول): الإنسان الذي لا يلقي اللوم على غيره، هو إنسان ناضج قادر على البناء والتطوير.
· مفهوم تنمية "مركز التحكم الداخلي): وهو مفهوم نفسي يعني أن الشخص يعتقد أنه هو المسيطر على مجريات حياته، لا الظروف الخارجية. وهذه الآية تؤسس لهذا المفهوم بعمق.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "إدارة الذات بالمسؤولية":
· التفصيل: أنت مدير نفسك. لا تنتظر من أحد أن يصلح أخطاءك، ولا تلم أحدًا عليها. أنت المسؤول الأول والأخير عن إدارة ذاتك وتطويرها.
· كيفية التطبيق: في مراجعاتك الدورية (أسبوعية، شهرية)، ركز على "ماذا فعلت أنا؟"، لا على "ماذا فعل الآخرون بي؟".
· مفهوم "قفص الاتهام الذاتي البناء":
· التفصيل: بدل أن تنتظر أن يضعك الآخرون في قفص الاتهام، ضع نفسك فيه طواعية. حاسب نفسك قبل أن تحاسب. هذا الاتهام الذاتي يبني فيك ضميرًا حيًا.
· كيفية التطبيق: خصص وقتًا أسبوعيًا لمحاسبة النفس، سمّها "جلسة اعتراف". اعترف فيها لله بأخطائك، وبمسؤوليتك عنها.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية (بشكل مفصل)

· المفاهيم النفسية:
1. مفهوم تفكيك آلية "الإسناد الخارجي):
· التفصيل: في علم النفس، "الإسناد الخارجي" هو ميل الإنسان لنسب إخفاقاته للظروف الخارجية. هذه الآية تهدم هذا الميل هدمًا، بدعوتك لنسب الضلال لنفسك. هذا التفكيك يحررك من الجمود، ويدفعك للتغيير.
· التطبيق العملي: كلما وجدت نفسك تقول: "بسبب فلان، بسبب الظرف الفلاني..."، توقف واسأل: "ما هو دوري أنا في هذه المشكلة؟". هذا السؤال يغير حياتك.
2. مفهوم "النضج الأخلاقي"):
· التفصيل: النضج الأخلاقي الأعلى هو أن تتحمل مسؤولية أفعالك كاملة، دون أن تنقص منها شيئًا. هذه الآية ترتقي بك إلى هذا المستوى الرفيع من النضج.
· التطبيق العملي: في خلافاتك الزوجية أو العائلية، لا تنتظر الطرف الآخر ليعتذر. بادر أنت وقل: "أنا المسؤول عن هذا الجزء، وأعتذر عنه". هذا هو سمت المؤمن الناضج.
· المفاهيم الفكرية:
1. مفهوم "حرية الإرادة أساس التكليف":
· التفصيل: {مَا أَطْغَيْتُهُ} دليل قاطع على أن الإنسان حر الإرادة. فلو كان مجبورًا، لما كان لشهادة الشيطان معنى، ولما كان للعقاب معنى. هذه الحرية هي التي تجعل الإنسان إنسانًا مكرمًا، وهي التي تجعل الجنة والنار عدلا ً محضًا.
· التطبيق العملي: استخدم هذه الآية في حواراتك مع من ينفي حرية الإنسان. بين له أن الإس لام يثبت حرية الإنسان، ويحمله ثمرة اختياره.
2. مفهوم "شهادة العدو حجة":
· التفصيل: لم يشهد للمجرم صديق، بل شهد عليه عدوه. وشهادة العدو أقوى في الإثبات، لأنه ليس متهمًا بالمحاباة. فهذا منتهى العدل الإلهي.
· التطبيق العملي: في تقييمك لأمر ما، لا تستمع فقط لشهادة المحبين، بل استمع لشهادة الخصوم، فقد يكون فيها من الحق ما لا تراه.
· المفاهيم التربوية:
1. مفهوم "التربية على الصدق مع الذات":
· التفصيل: أعظم تربية هي أن تتعلم الصدق مع نفسك. أن ترى أخطاءك كما هي، دون تجميل أو تبرير. هذه الآية تربي فيك هذا الصدق، فأنت ترى أن الشيطان نفسه لا يقبل منك التبرير، فكيف تقبله أنت من نفسك؟!
· التطبيق العملي: قف أمام المرآة، وحدث نفسك بصراحة: "يا فلان، أنت الذي أخطأت. أنت الذي فرطت. أنت المسؤول. ماذا أنت فاعل الآن لتصلح؟".
2. مفهوم "تربية الإرادة بالاختيار الواعي":
· التفصيل: الإرادة القوية تنمو باتخاذ القرارات الواعية. كل يوم، درب إرادتك على أن تختار الخير، وتترك الشر، متذكرًا أنك المسؤول.
· التطبيق العملي: ضع تحديًا يوميًا: "سأختار اليوم أن أقرأ قرآنًا بدل تصفح الجوال". هذا الا ختيار البسيط يبني إرادتك.

الأمر الخامس: كيف نحول مفاهيم الآية إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية؟

.1على مستوى بناء الإنسان:
· تحويل التبرير إلى إصلاح: بدل أن تهدر طاقتك في التبرير والدفاع، وجه كل طاقتك للإصلاح و

التغيير. أنت مسؤول، فأنت قادر على التغيير.
.2على مستوى بناء المجتمع:
· مجتمع المسؤولية: مجتمع يتحمل كل فرد فيه مسؤوليته، فلا يرمي أحد بذنبه على غيره، مجتمع يقل فيه الفساد، لأنه يقوم على ضمائر حية مسؤولة.
.3على مستوى بناء الحضارة:
· حضارة الإنسان الحر المسؤول: الحضارة الإسلامية لا تبني إنسانًا تابعًا مقودًا، بل تبني إنسانًا حرًا واعيًا مسؤولا ً عن قراراته، وهذا هو أساس الإبداع الحضاري.

رابعاً: المهارات الحياتية المعرفية والعملية التي نتعلمها من الآية

أولا ً: المهارات المعرفية
.1مهارة الاستبطان المسؤول :
· التفصيل: أن تنظر إلى دواخلك لترى دورك أنت في المشكلات، لا لترى دور الآخرين.
· التطبيق: عند حدوث مشكلة، اسأل: "ما هو الجزء الذي أنا مسؤول عنه؟". لا تسأل: "من المذنب؟ ".
.2مهارة تحليل السببية(:
· التفصيل: التفريق بين السبب المباشر (اختيار الإنسان) والسبب غير المباشر (الوسوسة). هذه المهارة تعطيك فهمًا عميقًا للأحداث.
· التطبيق: عند تحليل أي خطأ، ميز بين الدوافع الداخلية (إرادتك) والمؤثرات الخارجية (الإغراءات). هذا يجعلك تعالج جذور المشكلة.

ثانيًا: المهارات العملية):

.1مهارة الاعتذار الحقيقي :
· التفصيل: تعلم كيف تقول: "أنا آسف، لقد أخطأت، وأنا أتحمل المسؤولية". دون أن تتبعها بكلمة "لكن...". هذا الاعتذار الصادق هو أقوى وسيلة لإصلاح العلاقات.
· التطبيق: اليوم، إذا أخطأت بحق أحد، قدم اعتذارًا خاليًا من التبرير: "أنا آسف لأني فعلت كذا. هذا خطئي، وسأصلحه".
.2مهارة مواجهة التبرير عند الآخرين:
· التفصيل: كما تعلمت أن لا تبرر، تعلم أن تواجه المبررين. حين يأتيك أحد بلوم الآخرين، ساعده بلطف ليرى دوره هو.
· التطبيق: إذا قال لك ابنك: "أخي هو الذي بدأ!"، قل له: "وأين كنت أنت من قول النبي: (لا تغضب)؟ أنت مسؤول عن غضبك".

الخاتمة: قبل أن ينطق القرين...

وها نحن نقف على هذه الكلمات القليلة من الشيطان، التي تحمل في طياتها أعظم درس في المسؤولية الفردية. {قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ}. إنها جملة تختصر علاقة الإنسان بإبليس، وتلخص مشهد التخاصم يوم القيامة. إنها تذكرك بأن كل تلك الأعذار التي تنسجها اليوم ، ستنقطع حبالها غدًا، وستقف وحدك، مسؤولا ً عن كل اختياراتك.

لا تنتظر حتى تسمع هذا الكلام من قرينك في موقف الحساب. اسمعه اليوم، من كتاب الله، واجعله زاجرًا لك. اسمعه بأذن قلبك: "أنت المسؤول، أنت الضال، أنت المختار... فارجع إلى ربك، واختر الهدى، واحمل نفسك على الحق حملًا، فهذا خير لك من أن تسمعها من عدوك يوم لا ينفع الندم".

اخرج من هذا التدبر وقد خلعت ثوب التبرير، ولبست ثوب المسؤولية. قل بقلب صادق: "اللّهم إني أعوذ بك أن أكون ممن قال له قرينه {وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ}. واجعلني ممن يختار الهدى ويحيا به ويموت عليه". واجعل هذه الآية شعارك: "أنا المسؤول، أنا المختار، أنا المريد للخير بإذن الله".

{قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (27)}.
المبحث الرابع
يا من سار معنا في المحكمة الإلهية، وسمع شهادة الملائكة، ورأى فضح القرين، ووقف على عجز الإ

إنسان عن دفع العذاب عن نفسه... تعالَ بقلبك وعقلك معًا، لنقف الآن على المشهد الأكثر رهبة والأكثر رجاءً في آنٍ واحد. إنه المشهد الذي يتكلم فيه الله، رب العالمين، بصوت الحكم الفصل، الذي لا يُرد ولا يُستأنف. إنه المشهد الذي نسمع فيه زئير جهنم وهي تستقبل أهلها، ونسمع فيه نداء الرحمن الرحيم وهو يدعو عباده إلى جنته قبل فوات الأوان.

تمهيد: لماذا هاتان الآيتان الآن؟ وما صلتهما بما قبلهما؟

بعد أن عرضت الآيات السابقة (23-27) مشهد الإدانة الكامل، حيث شهد القرين على صاحبه، وحاول المجرم أن يلقي بالتهمة على شيطانه، فأفحمه الشيطان بقوله: {رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ}... انقطعت كل الحجج، وسقطت كل الأعذار. لم يعد هناك مجال للمرافعة ولا للاستئناف. والآن، يحين وقت تنفيذ الحكم.

هنا تأتي الآيات (28-30) لتكون الخاتمة المنطقية للمشهد القضائي. إنها الآيات التي تنقلنا من "ساحة المحاكمة" إلى "باحة تنفيذ العقاب". وإذا كانت الآيات السابقة قد بينت أن الإنسان هو المسؤول وحده عن ضلاله، فإن هذه الآيات تبين أن الله هو الذي ينفذ حكمه العادل، وأن جهنم هي التي تستقبل من أعدّت لهم.

أما أهداف هذه الآيات ومقاصدها الكبرى فهي:

1.بيان كمال عدل الله: فالله لا يظلم أحدًا، وهو يعلم من يستحق العذاب ومن يستحق النعيم.
2.بيان شدة العذاب وتأكيد وقوعه: وأنه لا مرد له، لتستيقظ القلوب الغافلة.
3.تحديد المسؤولية الفردية: فكل إنسان يُعذب بما كسبت يداه، لا بجرم غيره.
4.فتح باب الرجاء: فما دام الله هو الحكم العدل، فإن من تاب وأناب، سيجد الله غفورًا رحيمًا.
5.تحذير المؤمنين من الغفلة: فذكرى العذاب تدفعهم دفعًا إلى العمل والاجتهاد.

أولا ً: تحليل الآيات

هيا بنا نصغي إلى النداء الإلهي، وإلى الجواب الجهنمي، وإلى سؤال الخزنة، في هذا المشهد المهيب الذي يخلع القلوب.

المحور الأول: {قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ} – قطع الخصام وإقامة الحجة

1/ من هو القائل؟ وما دلالة هذا النداء؟
تأمل معي! القائل هنا هو الله سبحانه وتعالى، رب العالمين، مالك يوم الدين. هذه المرة الأولى في سياق السورة التي يأتي فيها فعل "قال" مسندًا إلى الله في مشهد يوم القيامة. إنها لحظة فارقة. بعد أن كان المتكلمون هم الملائكة (السائق والشهيد)، والقرين (الشيطان)، يأتي صوت الحق من فوق سبع سماوات، ليضع حدًا للجدال. إنه ليس مجرد كلام، بل هو أمر نافذ، حكم قاطع، يفصل بين العباد. فإذا تكلم الله، انقطعت الأصوات، ووجلت القلوب، وخشعت الأبصار.

2/} لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ ...{ما معنى الاختصام المنهي عنه هنا؟
الاختصام هو المخاصمة والمجادلة والتنازع. فالمنهي عنه هنا هو التلاوم والجدال الذي كان بين المجرم وقرينه، أو بين أهل النار بشكل عام. إنهم كانوا يتخاصمون ويتلاومون: هذا يلقي باللوم على شيطانه، وهذا على رفيقه، وهذا على ظروفه. فيأمرهم الله بأن يكفوا عن هذا الجدال. لماذا؟ لأن الجدال لا ينفع في ذلك اليوم، ولأن الحجة قد قامت عليهم جميعًا. وكأنه يقول لهم: "لا فائدة من لوم بعضكم بعضًا، فالكل شريك في الجريمة، والكل يستحق العقاب. والأهم من ذلك، أن حجتي قد سبقت إليكم، فلا عذر لأحد".

3/} وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ...{ما معنى تقديم الوعيد؟ وما دلالة "قد"؟
تقديم الوعيد يعني: أرسلت إليكم الرسل، وأنزلت عليكم الكتب، وبينت لكم طريق الهدى وطريق الضلا ل، وحذرتكم من عذابي، ووعدتكم بثوابي. فما كان منكم إلا أن كذبتم وأعرضتم. "قد" هنا للتحقيق و التأكيد، أي أن هذا الأمر قد حصل وانتهى، ولا مجال للشك فيه. إنه يقول لهم: "لستم مفاجئين بهذا العذاب، بل قد جاءتكم النذر، وقامت عليكم الحجة، فلم يبق لكم إلا الصمت والجزاء". هذا القول الإ لهي هو منتهى العدل، ومنتهى الرحمة في نفس الوقت. عدلٌ في أنهم استحقوا ما هم فيه، ورحمةٌ

بأن الله لم يعذبهم قبل أن يرسل إليهم منذرين.

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: قطع الأمل في الأعذار .أن تسمع الله يأمرك بالسكوت، فهذا يعني أن كل باب قد أغلق، وأن الحكم قد صدر .إنه شعور باليأس التام، يذكرك بأن يوم القيامة ليس يوم أعذار، بل يوم قرار.
· رسالة تربوية: تحمل المسؤولية دون جدال .هذه الآية تربي فيك أن تتوقف عن الشكوى واللوم، وأن تتحمل مسؤولية أخطائك .فكما أن الله سيأمرك بالسكوت يوم القيامة، فاسكت اليوم عن التبرير، واعمل على الإصلاح.
· رسالة عقلية: منتهى العدالة .العقل يدرك أن الحكم العادل لا يصدر إلا بعد إقامة الحجة .فالله بين أنه قدم الوعيد، أي أقام الحجة، ثم يأمر بتنفيذ الحكم .وهذا هو عين العدل الذي لا يختلف عليه عاقلان.

المحور الثاني: {مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلعَبِيدِ} – تأكيد حتمية القضاء ونفي الظلم

1/} مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ ...{ما هو القول الذي لا يبدل؟
القول الذي لا يبدل هو حكم الله وقضاؤه. فما قضى به الله، لا يتغير ولا يتبدل. إنه تأكيد على أن ا لأمور قد حُسمت، وأن ما سيحدث لهم هو ما وعدهم الله به. القول هنا يشمل: وعيده للكافرين، ووعده للمؤمنين، وكلماته التي سبقت (مثل: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}). إنها رسالة حاسمة: "لا تظنوا أن العذاب سيرفع عنكم، أو أن الحكم سيخفف. ما قضيته فهو كائن لا محالة".

2/} وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلعَبِيدِ ...{ما سر اختيار صيغة "ظلّام"؟
"ظلّام" صيغة مبالغة من ظالم .والمعنى: لست بذي ظلم، ولا ينسب إليّ شيء من الظلم، لا كثير ولا قليل .إنها تنفي الظلم بكل درجاته .وهذا النفي في هذا الموطن بالذات له دلالة عظيمة: فحين يرى ا لإنسان العذاب الشديد، قد يخطر بباله سؤال: "هل هذا العذاب كله عادل؟" .فيأتي الجواب الإلهي مباشرة: "وما أنا بظلام للعبيد" .إن هذا العذاب ليس ظلمًا، بل هو عدل محض، لأنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم وعنادهم.

3/ كيف تجمع الآية بين عدم تبديل القول ونفي الظلم؟
إن الجمع بينهما في غاية الدقة. فعدم تبديل القول يعني حتمية العذاب. ونفي الظلم يعني أن هذا العذاب الحتمي هو عدل لا جور فيه. فكأن الآية تقول: "العذاب واقع لا محالة (لأن القول لا يبدل)، وهو عدل لا ظلم فيه (لأن الله لا يظلم)". وهذا المزيج يجعل المؤمن يخاف ويطمئن في آن واحد: يخاف من شدة العذاب وحتميته، ويطمئن إلى أن الله لا يعذب أحدًا إلا بما يستحق.

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الأمان من الظلم .إن استشعارك أن الله ليس بظلام، حتى وهو يعذب، يملأ قلبك طمأنينة وسلامًا مع قضائه .فمهما نزل بك من بلاء في الدنيا، فاعلم أن الله ليس بظلام لعبيده، وأن في هذا البلاء حكمة ورحمة.
· رسالة تربوية: تعلم العدل في أحكامك .إذا كان الله العظيم، مالك يوم الدين، ينفي الظلم عن نفسه، فكيف بك أنت أيها الإنسان؟ احذر أن تكون ظلامًا لغيرك، في أهلك، في عملك، في مجتمعك .كن عاد لا ً، فالعدل هو صفة ربانية.
· رسالة عقلية: التوازن بين الخوف والرجاء .العقل السليم يدرك أن الخوف من الله لا يعني إساءة الظن به، بل الخوف الحقيقي مقرون بإحسان الظن واليقين بعدله ورحمته .هذه الآية تبني هذا التوازن العظيم في النفس.

المحور الثالث: {يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ} – مشهد السؤال والجواب العجيب

1/ ما سر سؤال الله لجهنم؟ هل هو استفهام حقيقي؟
الله سبحانه هو العليم بكل شيء، فهو يعلم هل امتلأت جهنم أم لا. إذًا، ليس الاستفهام هنا استفهامًا حقيقيًا، بل هو استفهام تقريري وتهويلي. إنه يريد أن يسمع الملائكة والناس هذا الحوار ليتحقق وعيده، وتظهر قدرته، ويشهد الجميع أن جهنم قد امتلأت من الكافرين والمجرمين. إنه استفهام

الغضب على من ملأها، واستفهام إظهار العدل والقدرة.

2/ لماذا خُصت جهنم بالسؤال؟
لأنها الموضع الذي أُعدّ لأهل الشقاوة، وهي التي ورد فيها وعيد الله بأن يملأها. فسؤالها هو تنفيذ لهذا الوعيد وإعلان عنه. وكأن الله يريد أن يشهد هذا المخلوق العظيم (جهنم) على تحقيق الوعيد. وفيه أيضًا تعظيم لشأنها وتهويل لأمرها، فهي التي يتوجه إليها الخطاب الإلهي.

3/} وَتقولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ...{كيف تنطق جهنم؟ وماذا تطلب؟
جهنم تنطق بإذن الله، كما تنطق الجوارح يوم القيامة. وقولها: {هَلْ مِن مَّزِيدٍ} هو سؤال عجيب. "هل من مزيد" أي هل هناك زيادة من المعذبين؟ هل بقي أحد لم يدخلني؟! إنه تعبير عن شدة غضبها، وسعتها التي لا تملأ، وطلبها للمزيد والمزيد. وفي هذا التعبير من البلاغة ما لا يوصف: فجهنم، بطلبها المزيد، تثبت أنها لم تمتلئ بعد، وأن وعيد الله لا يزال مستمرًا، وأن هناك المزيد من المجرمين. إنه مشهد يرتعد له كل من في الموقف، لعلمهم أن جهنم لا تشبع، وأن الله جعلها كذلك لتستوعب أعداد الكافرين.

4/ ما الحكمة من جواب جهنم بهذا السؤال؟
الحكمة متعددة:

· تحقيق معنى السعة: فجهنم واسعة جدًا، حتى إنها مع كثرة من أُلقي فيها، لا تزال تطلب المزيد.
· إظهار كثرة الهالكين: فكأنها تقول: "لقد ألقيتَ فيّ أممًا لا تُحصى، ومع ذلك فأنا أسأل: هل بقي أحد ؟".
· تخويف السامعين: فسماع هذا الطلب يزرع الرعب في قلوب الخلائق، ويدفع المؤمن إلى الاجتهاد في النجاة.
· تأكيد الوعيد: فالله وعد أن يملأ جهنم، وها هي لم تمتلئ بعد، وسيتم وعد الله فيها بمن بقي من الكافرين.

5/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الرعب والهلع .أن تسمع جهنم وهي تقول بغضب:} هَلْ مِن مَّزِيدٍ{، فهذا يزلزل كيانك . إنه شعور بالخوف الشديد يجعلك تتمسك بأهداب النجاة، وتفر من طريق يوصل إليها.
· رسالة تربوية: عدم الاغترار بالكثرة .كثرة الهالكين لا تعني أنهم على حق .فجهنم تطلب المزيد، وهذا يعني أن الكثيرين في النار .فلا تغتر بكثرة الضالين، بل انظر إلى الحق واتبعه ولو كنت وحدك.
· رسالة عقلية: التصوير الفني للوعيد .هذا المشهد القرآني يستخدم أعلى درجات البلاغة لتصوير الوعيد .العقل يتفاعل مع الصورة، فيتخيل جهنم وهي تنطق وتطلب، فيستقر الإيمان في قرارة نفسه.

المحور الرابع: لطائف وحِكم من سياق الآيات

1/ ما وجه الربط بين قوله} لَا تختَصِمُوا {وقوله} هَلْ امْتَلَأْتِ{؟
}لَا تختَصِمُوا {إيذان بانتهاء المحاكمة، و}هَلْ امْتَلَأْتِ {إيذان ببدء تنفيذ العقاب .فالآية الأولى تغلق باب الدفاع، والثانية تفتح باب العذاب .إنهما متلازمتان في بيان مراحل اليوم الآخر: محاكمة، ثم حكم، ثم تنفيذ.

2/ كيف ترتبط هذه الآيات ببداية السورة) ق والقرآن المجيد (وجواب القسم؟
أقسم الله بالقرآن المجيد أن البعث حق، وأن الجزاء حق. وها هنا يتحقق هذا القسم: جهنم تطلب المزيد، والعذاب واقع، والقول لا يبدل. إنها إجابة عملية على من كذب بالقرآن وبما جاء فيه من الوعيد. وكأن السورة تقول: "الذي أقسم بالقرآن هو الذي يقول لجهنم هل امتلأت، وهو الذي لا يبدل القول، وهو الذي ليس بظلام للعبيد".

3/ لماذا ذكرت هذه الآيات صفة العدل) وما أنا بظلام (في سياق العذاب؟
لأن العذاب في نظر الكثيرين قد يبدو قاسيًا، فأراد الله أن يؤكد أن هذا العذاب ليس صادرًا عن قسوة، بل عن عدل. فهو سبحانه أرحم بعباده من الأم بولدها، لكن عدله يقتضي معاقبة المجرمين. فذكر العدل في سياق العذاب يطمئن القلوب المؤمنة، ويجعلها تسلم بقضاء الله.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات

الأمر الأول: أسئلة تدبرية تطبيقية لتوظيف الآيات في واقعك العملي

١/ سؤال الاستمداد:} وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ...{هل تستمد حذرك ويقظتك من تذكر هذا التقديم الإلهي للوعيد؟

· تطبيق في علاقتك بالقرآن: القرآن هو أعظم ما قدم الله به إلينا من الوعيد والوعد .فاقرأ القرآن بتدبر، وتذكر أن الله سيحتج به عليك يوم القيامة .فاجعل كل آية وعيد تنهض بك للعمل، وكل آية وعد تدفعك للرجاء.
· تطبيق في تذكير الناس: كن ممن يقدمون الوعيد للناس بالحسنى .ذكرهم بالله، وباليوم الآخر، برفق ولين، لتكون سببًا في نجاتهم.

٢/ سؤال القيمة:} وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ...{كيف تجعل قيمة "العدل" منهجًا في كل تعاملاتك؟

· في أسرتك: هل تعدل بين أولادك؟ هل تعدل مع زوجتك؟ تذكر أن الله ليس بظلام، فكن أنت عادلا .
· في عملك: هل تعدل مع الموظفين والعملاء؟ لا تفضل أحدًا على أحد بغير حق .اجعل العدل ميزانك ، فهو سبب البركة في رزقك وعملك.

٣/ سؤال التأثير:} يَوْمَ تَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ ...{كيف تؤثر في نفسك بهذا المشهد المهيب؟

· تطبيق لتقوية الخوف: كلما شعرت بقسوة في قلبك، أو فتور في عبادتك، اقرأ هذه الآية وتأملها . تخيل جهنم وهي تطلب المزيد! هذا التخيل يلين القلب ويقوي اليقظة.
· تطبيق للدعاء: أكثر من الدعاء: "اللهم أجرني من النار، واملأني برحمتك، ولا تجعلني ممن يملأ جهنم".

٤/ سؤال اليقين: هل تؤمن حقًا أن القول لا يبدل؟

· مراجعة الإيمان بوعيد الله: إذا كان الله يقول:} مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ{، فهذا يعني أن ما وعد به الكافرين واقع لا محالة، وما وعد به المؤمنين واقع أيضًا .راجع يقينك بهذا، واجعله دافعًا لك للا ستبشار والاجتهاد.

الأمر الثاني: أهم القضايا التي تعالجها الآيات

· قضية حتمية الجزاء: وأنه لا راد لقضاء الله.
· قضية العدل الإلهي: نفي الظلم عن الله في عقاب العباد.
· قضية الحجة والإعذار: أن الله لا يعذب أحدًا إلا بعد أن يقيم عليه الحجة.
· قضية سعة جهنم وكثرة الهالكين: للتحذير والترهيب.

الأمر الثالث: خطوات عملية لتنزيل عظمة الآيات على أرض الواقع

١/ مشروع "التزود من الوعيد":
اجمع الآيات التي فيها وعيد الله للكافرين والعصاة في مصحفك. اقرأها بتدبر، واستشعر أنها رسالة من الله لك لتحذرك قبل فوات الأوان. هذا المشروع يجعلك تعيش مع الوعيد فتسلم منه.

٢/ تطبيق "ميزان العدل":
اجعل لك دفترًا صغيرًا، أو ملاحظة في جوالك، تسجل فيها كل يوم: "هل كنت عادلا ً اليوم؟". راجع مواقفك مع أهلك، زملائك، وحتى مع نفسك. هذه المراجعة تجعلك تنفي عنك الظلم كما نفاه الله عن نفسه.

٣/ ممارسة "التأمل في الجنة والنار":
خصص وقتًا أسبوعيًا، تأمل فيه في أوصاف الجنة والنار كما وردت في القرآن والسنة. هذا التأمل

يحرك فيك مشاعر الحب للجنة والخوف من النار، فتندفع للعمل.

٤/ تذكير يومي: "هل من مزيد؟":
اجعل هذه العبارة "هل من مزيد؟" على شاشة جوالك، أو على مكتبك. كلما رأيتها، تذكر أن جهنم لا تزال تطلب، فاسأل نفسك: "ماذا أعددت لألا أكون من طعامها؟".

الأمر الرابع: الدروس والعبر العملية المستخلصة من الآيات

١/ لا تنتظر يوم القيامة لتعرف أنك مسؤول:
فالله قد قدم إليك الوعيد في الدنيا، فاعمل على أساسه.

٢/ عدل الله معك يقتضي أن تكون عادلا ً:
فكما تحب أن يعدل الله معك، اعدل أنت مع عباده.

٣/ الجنة والنار تطلبان أهلهما:
فاختر لنفسك أي الدارين تريد أن تكون من طلابها.

٤/ الأعذار لا تنفع، والأعمال هي التي تبقى:
فاجعل سجلك حافلا ً بالصالحات، فالجدال لا يجدي يوم القيامة.

الأمر الخامس: كيف يكون تعميق أثر هذه الآية في حياتك اليومية؟

١/ في الصلاة:
إذا قرأت الفاتحة، واستعذت بالله من الشيطان، تذكر أن الشيطان هو الذي يريد أن يجعلك من زبانية جهنم. واستعذ بالله حقًا من أن تكون ممن يملأ النار.

٢/ في التعامل مع من تكره:
لا تظلم أحدًا بسبب كراهيتك له. تذكر قوله: {وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ}. أحسن إلى من أساء إليك، فهذا هو العدل والإحسان.

٣/ في لحظات اليأس:
إذا شعرت أن ذنوبك كثيرة، فلا تيأس. تذكر أن الله ليس بظلام، وأن رحمته وسعت كل شيء، وأن باب التوبة مفتوح. فجهنم تطلب المزيد، ولكنك تستطيع أن لا تكون من زيادتها.

الأمر السادس: أهم الرسائل والتوجيهات من الآيات في حياتنا العملية

· الله حذرك وأعذرك، فهل أنت معتذر أم مستمر في الغفلة؟
· كن عادلا ً، فالعدل صفة ربك، وهو يحب العادلين.
· لا تخف من كثرة أهل الباطل، فجهنم تتسع لهم.
· القول الفصل يوم القيامة، فاجعل قولك اليوم فصلا ً في اتباع الحق.
· جهنم تسأل: "هل من مزيد؟"، والجنة تقول: "هل من مزيد؟" فأجب دعوة الجنة.

ثالثاً: أهم المفاهيم من الآيات

الأمر الأول: أبعاد الآيات وآفاقها

· البعد العقدي: إثبات صفة الكلام لله، وإثبات عدله المطلق، وإثبات حتمية وعيده.
· البعد الأخلاقي: الدعوة إلى العدل، ونفي الظلم، وتحمل المسؤولية.
· البعد الوجداني: إثارة مشاعر الخوف والرجاء معًا، ودفع الغفلة.

الأمر الثاني: مفاهيم البناء والتنمية من الآيات

· مفهوم بناء الشخصية المسؤولة: التي لا تلقي باللوم على غيرها، بل تواجه أخطاءها وتصلحها.
· مفهوم التنمية بالعدل: فالمجتمع الذي يسوده العدل ينمو ويزدهر، ويأمن فيه الضعيف.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية

· مفهوم "الحكم الذاتي العادل":
· التفصيل: كما أن الله يحكم بالعدل، اجعل في داخلك قاضيًا عادلا ً يحاسبك قبل أن تحاسب.
· كيفية التطبيق: في خلافاتك، لا تنتظر حكمًا خارجيًا، بل حكم ضميرك، وكن عادلا ً مع نفسك ومع خصمك.
· مفهوم "الاستثمار في النجاة":
· التفصيل: كما أن جهنم تطلب المزيد، فأنت تطلب النجاة .استثمر كل لحظة في عمل يقربك من الجنة ويبعدك من النار.
· كيفية التطبيق: كل عمل تعمله، اسأل: "هل هذا يقربني من الجنة أم من النار؟" .واختر ما يقربك من الجنة.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيات)

· المفاهيم النفسية:
.1 مفهوم "الخوف الرجائي(:
· التفصيل: الخوف من جهنم لا يجب أن يكون خوفًا قاتلا ً لليأس، بل خوفًا مقرونًا برجاء رحمة الله .فكون الله ليس بظلام يعني أن من تاب وأناب سيجده غفورًا رحيمًا.
· التطبيق العملي: إذا غلبتك مشاعر الخوف من النار، فاقرأ آيات الرحمة والمغفرة، وادعُ الله أن يجمع لك بين الخوف والرجاء.
.2 مفهوم "توكيد الذات بالعدل" :
· التفصيل: أن تكون عادلا ً يمنحك ثقة عالية بنفسك، وشعورًا بالقيمة .فأنت تتخلق بصفة من صفات الله.
· التطبيق العملي: كافئ نفسك كلما تصرفت بعدل في موقف صعب .هذا التعزيز الإيجابي يجعلك تستمر.
· المفاهيم الفكرية:
.1 مفهوم "السببية الأخلاقية":
· التفصيل: العذاب ليس عشوائيًا، بل هو نتيجة حتمية للكفر والعناد .وهذا يعطيك فهماً أخلاقيًا للكون.
· التطبيق العملي: عند تحليل الأحداث، لا تنظر فقط للأسباب المادية، بل ابحث عن الأسباب الأ خلاقية والسنن الإلهية.
.2 مفهوم "الإعذار الإلهي":
· التفصيل:} وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ {يعني أن الله لا يحاسب عباده إلا بعد أن يقيم عليهم الحجة .وهذا يبين أن أصل التعامل بين الله والإنسان هو الرحمة والإرشاد.
· التطبيق العملي: إذا أردت أن تنصح أحدًا، فقدّم له الحجة أولا ً، واشرح له العواقب، فلا تحاسبه قبل أن تعذره.
· المفاهيم التربوية:
.1 مفهوم "التربية بالعدل والمسؤولية":
· التفصيل: تربية النشء على تحمل المسؤولية، وعلى العدل في الأقوال والأفعال .فهذا يبني جيلا ً واعيًا.
· التطبيق العملي: إذا أخطأ طفلك، لا تقل له: "لماذا جعلتني أفعل كذا؟" بل دعه يعترف بخطئه ويتحمل نتيجته.
.2 مفهوم "التخويف المحمود":
· التفصيل: تذكير النفس والآخرين بجهنم وعذابها هو تخويف محمود، ما دام يقود إلى العمل الصالح والتوبة.
· التطبيق العملي: خصص جلسة عائلية أسبوعية لتذكير بعضكم بالآخرة، وتبادل الأدعية بالنجاة من النار.

الأمر الخامس: كيف نحول مفاهيم الآيات إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية؟

.1على مستوى بناء الإنسان:

· تحويل الخوف إلى قوة دافعة: فخوف المؤمن من النار يجعله يعمل ويجتهد ويتقن، فيتحول إلى إنسان منتج.
.2على مستوى بناء المجتمع:
· مجتمع العدل والمسؤولية: يسوده الأمن والسلام، لأن كل فرد يعلم أنه مسؤول عن أفعاله، وأن العدل هو الأساس.
.3على مستوى بناء الحضارة:
· حضارة الوعي بالآخرة: تكون أعمالها خالدة، لأنها لا تبنى للدنيا فقط، بل تبنى للأبد.

رابعاً: المهارات الحياتية المعرفية والعملية التي نتعلمها من الآيات

أولا ً: المهارات المعرفيه):

.1مهارة الاستدلال بالعدل الإلهي:
· التفصيل: استخدام يقينك بأن الله عادل في فهم قضاء الله وقدره في حياتك.
· التطبيق: إذا نزل بك بلاء، استدل بعدل الله على أن فيه خيرًا لك، وأنه ليس ظلمًا.
.2مهارة التفكر في العواقب:
· التفصيل:} يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ {يعلمك أن تنظر إلى عواقب أفعالك.
· التطبيق: قبل أي خطوة، اسأل: "ما نهاية هذا الطريق؟".

ثانيًا: المهارات العملية):

.1مهارة "كفى لومًا":
· التفصيل: كما قال الله:} لَا تَخْتَصِمُوا{، تعلم أن تتوقف عن لوم الآخرين والظروف، وابدأ في إصلا ح ما يمكنك إصلاحه.
· التطبيق: في اجتماعات العمل أو الأسرة، إذا بدأ الجميع في توجيه الاتهامات، ارفع شعار: "كفى لومًا، ولنبحث عن حل".
.2مهارة "املأ كأسك خيرًا":
· التفصيل: كما أن جهنم تسأل:} هَلْ مِن مَّزِيدٍ{، فأنت اسأل نفسك: هل في مزيد من الخير لأفعله؟ لا تشبع من الخير أبدًا.
· التطبيق: كلما أنهيت عملا ً صالحًا، اسأل نفسك فورًا: "ماذا بعد؟ هل من مزيد من الخير أستطيع فعله؟".

الخاتمة: بين يدي الرحمن... وبين فكي جهنم

وها نحن نختتم هذا المقطع المهيب من سورة ق. لقد وقفنا بين يدي الله وهو يقول: {لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ}، فسكتت كل الأصوات. وسمعناه يقول: {وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ}، فاطمأنت القلوب المؤمنة. ورأينا جهنم تسأل: {هَلِ امْتَلَأْتِ}، فتقول بغضب وجوع: {هَلْ مِن مَّزِيدٍ}.

إنه مشهد يهز الوجدان، ويفتح للعقل أبوابًا من التفكر، ويدفع الروح إما إلى اليأس أو إلى الأمل. لكن المؤمن الصادق يعلم أن الله رحيم، وأن عدله لا يتناقض مع رحمته. فجهنم تطلب المزيد، لكن الجنة أيضًا تطلب ساكنيها. ففي أي الفريقين تريد أن تكون؟

اخرج من هذا التدبر وقد عاهدت الله على أن تكون من أهل الجنة، الذين قال الله لهم: {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ}. قل بقلب ملؤه الرجاء والخوف: "اللهم إني أسألك الجنة، وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار، وما قرب إليها من قول وعمل. واملأني برحمتك، ولا تجعلني ممن يملأ جهنم".

}قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (28) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (29) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ.{(30)
القسم السادس
المبحث الأول
يا من ذاق مرارة الخوف في مشاهد العذاب، ورأى زبانية جهنم، وسمع زئيرها وهي تقول: {هَلْ مِن مَّزِيدٍ}، ووقف بين يدي الله يسمع قوله: {لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ}... تعالَ بقلبك وعقلك معًا، لتنتقل من ذلك

المشهد المظلم الموحش إلى مشهد النور والأنس والفرح. تعالَ لنقف على أعتاب الجنة، وهي تزف إلى المتقين، لا كما زفت جهنم للمجرمين. تعالَ لتسمع نداء البشارة، لا نداء التهديد. إنه المشهد الذي ينسي المؤمن كل تعب، وكل بلاء، وكل خوف. إنه المشهد الذي طالما انتظرته، والذي لأجله صبرت عن الشهوات، وجاهدت النفس، وسهرت الليالي.

تمهيد: لماذا هاتان الآيتان الآن؟ وما صلتهما بما قبلهما؟

بعد أن عرضت الآيات السابقة (28-30) مشهد تنفيذ العقاب على الكافرين، وأغلقت أبواب الجدال، وبيّنت أن القول لا يبدل، وأن الله ليس بظلام للعبيد، وأسمعتنا سؤال جهنم: {هَلِ امْتَلَأْتِ} وجوابها: {هَلْ مِن مَّزِيدٍ}... يأتي الآن، في تناسق بديع معتاد في القرآن الكريم، ذكر مصير المؤمنين. لقد جرت سنة القرآن أن يذكر النار ويتبعها بذكر الجنة، ليظل القلب بين الخوف والرجاء، وليعلم المؤمن أن الذي خلق النار وأهلها، هو الذي خلق الجنة وأهلها.

هذه الآيات هي نهاية المطاف، وختام المسير. بعد أن سار بنا السياق من الخلق الأول، إلى تسجيل الأعمال، إلى سكرة الموت، إلى النفخ في الصور، إلى العرض والحساب، إلى شهادة القرين، إلى إلقاء الكفار في جهنم... ها نحن نصل إلى بر الأمان، إلى حيث لا خوف ولا حزن، إلى حيث الكرامة و النعيم المقيم. إنها الآيات التي تفيض بالرحمة واللطف، والتي تخبرك أن الله لم يخلق الجنة إلا لأهل صفات محددة، فإن كنت منهم، فهي لك، وإن لم تكن، فالباب مفتوح لتكون منهم.

أما أهداف هذه الآيات ومقاصدها الكبرى فهي:

1. إثارة الشوق إلى الجنة: بتصوير مشهد اقترابها من المتقين.
2. بيان صفات أهل الجنة: ليتحقق المؤمن بها، ويسعى لاكتسابها.
3. تحقيق التوازن بين الخوف والرجاء: بعد أن ملأ الخوف القلوب من مشاهد النار، يأتي الرجاء ليعيد التوازن النفسي.
4. ربط الجزاء بالعمل: فالجنة جزاء لأعمال قلبية وسلوكية محددة.
5. فتح باب الأمل: فكل من اتصف بهذه الصفات، فالجنة قريبة منه.

أولاً: تحليل الآيات

هيا بنا ندخل إلى رياض الجنة، ونقف على صفات أهلها، ونستنشق عبير الرضوان.

المحور الأول: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ} – مشهد الزفاف إلى دار الكرامة

1/ ما دلالة الفعل} وَأُزْلِفَتِ{؟ وما سر بنائه للمجهول؟
تأمل معي! "أُزْلِفَت" بمعنى قُرّبت وأُدنِيَت. وهو فعل مبني للمجهول، إشارة إلى أن هناك من يقربها ويزفها، وهم الملائكة الكرام. إنه مشهد زفاف عظيم، لا كما تزف العروس إلى زوجها، بل الجنة تزف إلى المتقين. وكأنها تأتي إليهم، لا هم يذهبون إليها! إنه تكريم لا يوصف: فبدلاً من أن يتكبد المؤمن مشقة السير، تزف إليه الجنة سعيدة مسرورة بلقائه. هذا البناء للمجهول يزيد المشهد روعة، فأنت تتخيل الملائكة وهي تزف الجنة زفًا، وتحفها من كل جانب.

2/} لِلْمُتَّقِينَ ...{من هم المتقون؟
المتقون هم الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية، بفعل الأوامر واجتناب النواهي. إنهم ليسوا مجرد مؤمنين، بل هم في أعلى مراتب الإيمان. هم الذين اتقوا الشرك، والمعاصي، والغفلة، وكل ما يبعد عن الله. هذا الوصف "المتقين" هو التاج الذي يكلل به رب العالمين جباه عباده الصالحين. فهنيئًا لهم، وهنيئًا لمن سعى ليكون منهم.

3/} غَيْرَ بَعِيدٍ ...{ما سر هذه الإضافة؟
الجنة ليست بعيدة، لا عنهم، ولا هم عنها. إنها قريبة منهم، دانية قطوفها. "غير بعيد" تأكيد على سهولة الوصول إليها، وقربها من قلوبهم قبل أبدانهم. في الدنيا، الجنة كانت بعيدة المنال تحتاج إلى جهاد وصبر. أما يوم القيامة، فإذا انقضى الحساب، فهي قريبة، سهلة المنال، تسعى إليهم وتسعى نفوسهم إليها. إنها كلمة تبعث في القلب طمأنينة غامرة: "لم يبقَ بينك وبين الجنة إلا لحظات!".

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: بشارة الأمان والفرح .بعد رحلة الخوف الطويلة، يأتي هذا المشهد ليملأ قلب المؤمن فرحًا وسرورًا .إنها لحظة الانعتاق من كل خوف، والإيذان بدخول دار الأمان.
· رسالة تربوية: تحفيز للتقوى .حين تعلم أن الجنة تزف للمتقين، فإنك ستسعى جاهدًا لتكون من أهل التقوى .فاجعل التقوى شعارك، ومراقبة الله دثارك.
· رسالة عقلية: الترغيب بعد الترهيب .الجمع بين مشهد جهنم) في الآيات السابقة (ومشهد الجنة)هنا (هو أسلوب قرآني فريد في التربية، يخاطب العقل بجناحي الخوف والرجاء معًا، فلا يطغى أحدهما على الآخر.

المحور الثاني: {هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ} – تفصيل صفات أهل الجنة (الجزء الأول)

1/} هَٰذَا ...{ما المشار إليه؟ وما دلالة التعبير؟
الإشارة هنا إلى الجنة، وإلى ما فيها من نعيم مقيم. استخدام اسم الإشارة للقريب "هذا" مع أن الجنة لم يروها بعد، فيه إشارة إلى تحققها وشدة قربها. فكأنها حاضرة أمام أعينهم، ماثلة لهم، لا يحتاجون إلى عناء للوصول إليها. إنها لغة الواثق المتيقن الذي يرى المستقبل كأنه واقع أمامه.

2/} مَا تُوعَدُونَ ...{ما دلالة الفعل المضارع المبني للمجهول؟
"توعدون" أي تعدون، وهو وعد وليس وعيد .والوعد هنا من الله، وهو أصدق الصادقين .استخدام المضارع يفيد التجدد والاستمرار، فكأنهم في الدنيا كانوا يُوعدون بهذه الجنة وعدًا متجددًا مع كل عمل صالح، ومع كل توبة نصوح .والآن، تحقق الموعود .فكل آية وعد في القرآن هي جزء من هذا الموعود.

3/ لماذا خص الجنة ب{ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ {بعد أن قال} لِلْمُتَّقِينَ{؟
هذا من باب تفصيل صفات المتقين. فالمتقون هم الأوابون الحفيظون. إنه ينتقل من الوصف العام (المتقين) إلى الأوصاف الخاصة (أواب، حفيظ، خاش، منيب). ليعلم المؤمن أن التقوى ليست كلمة تقال، بل هي منظومة صفات قلبية وعملية.

4/} أَوَّابٍ ...{ما معنى الأواب؟ وكيف يكون العبد أوابًا؟
الأواب صيغة مبالغة من "آب" أي رجع. فالأواب هو كثير الرجوع إلى الله. رجوع عن الذنب، رجوع عن الغفلة، رجوع عن الاعتماد على النفس، رجوع دائم مستمر. كلما أذنب، آب. كلما غفل، آب. كلما بعد، آب. إنه ليس مجرد تائب مرة واحدة، بل هو تائب أوّاب، يعيش في حالة أوبة دائمة إلى الله. وهو أيضًا الذي يرجع عن كل شيء إلى الله: يرجع في همومه، في أحزانه، في أفراحه. فالأوبة هي رحلة العمر، تبدأ من الله، وتعود إلى الله.

5/} حَفِيظٍ ...{ما معنى الحفيظ؟ وما الذي يحفظه؟
الحفيظ هو الحافظ. وهو يحفظ أشياء كثيرة:

· حفيظ لحدود الله: يحافظ على أوامره ونواهيه، فلا يتعداها.
· حفيظ لأمانة الله: يحافظ على ما ائتمنه الله عليه من جوارح وأسرار.
· حفيظ لوقته: لا يضيعه في غير طاعة.
· حفيظ لعهده مع الله: يفي بما عاهد الله عليه.
فهو حافظ لأمانته، حفيظ على عهده، حفيظ لوقته .إنه إنسان منضبط، مسؤول، يدرك قيمة ما لديه فيحافظ عليه.

6/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الأمل في التوبة .وصف الأواب يبعث في نفس المؤمن الأمل، فمهما أذنب، فباب الأ وبة مفتوح .والمؤمن الحق هو الذي لا يمل من الرجوع إلى الله مهما تكرر الذنب.
· رسالة تربوية: الانضباط وحفظ الأمانات .وصف "حفيظ" يربيك على الانضباط والمسؤولية .اجعل لك عهدًا مع الله تحفظه، وأمانة ترعاها، ووقتًا لا تضيعه.
· رسالة عقلية: تلازم التوبة والاستقامة .الجمع بين "أواب" و"حفيظ" يدل على أن التوبة الصادقة تورث الاستقامة والمحافظة على الطاعة.

المحور الثالث: {مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ} – تفصيل صفات أهل الجنة (الجزء الثاني)

1/} مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ...{ما معنى خشية الرحمن بالغيب؟
الخشية هي الخوف المقرون بالمعرفة والتعظيم. وهي أرقى من مجرد الخوف. والخشية من "الرحمن" تنبيه عظيم: أن تخشى الله لا لأنه جبار منتقم فقط، بل لأنه رحمن رحيم. إنك تخشى رحمته أن تفوتك، وتخشى عذابه لأنه من الرحمة بالمؤمنين أن يحذرهم. أما "بالغيب" فتعني أن هذه الخشية تحدث وهو غائب عنك، لم تره. فأنت تخشاه وأنت في خلواتك، حيث لا يراك أحد، لأنك تستشعر أنه يراك. هذه الخشية بالغيب هي صفة عظيمة، وهي علامة الإيمان الصادق. فأنت لا تخشى الله خوفًا من رقابة بشرية، بل خوفًا من الله الحي القيوم الذي لا تخفى عليه خافية.

2/ ما دلالة اختيار اسم "الرحمن" في هذا الموضع دون غيره من الأسماء؟
تأمل معي هذا اللطف! لم يقل: "من خشي الجبار" ولا "القهار" ولا "المنتقم"، بل قال: "الرحمن". لماذا؟!

· لتشويق المؤمن: فتذكيره بالرحمن يجعله يشتاق إلى رحمة الله، فيخشى أن يحرم منها.
· للدلالة على أن الخشية من الرحمن هي أعظم الخشية: لأن من عرف رحمة الله حق المعرفة، خاف أن يعرّض نفسه لسخطه فيحرم من تلك الرحمة الواسعة.
· للإشارة إلى أن هذا المقام) مقام الخشية بالغيب (إنما ناله برحمة الله لا بقوته.
فيا له من تكريم! أن تنسب خشيتك إلى الرحمن، فكأنك تقول: "أخشى رحمانًا رحيمًا، أفلا أخشى أن تفوتني رحمته؟!".

3/} وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ...{ما هو القلب المنيب؟ وكيف يجيء به؟
الإنابة هي الرجوع والإقبال. والقلب المنيب هو القلب المقبل على الله، الراجع إليه في كل أحواله. وهو ضد القلب الغافل، أو القلب المنيب إلى الدنيا. وجيء بهذا التعبير البديع: {وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ}، فكأن الإنسان هو الذي يحمل قلبه ويقدمه لله سالمًا طائعًا. لم يكتفِ بأن يكون قلبه منيبًا في داخله، بل "جاء" به، أي قدمه بين يدي الله، كما تقدم الهدية، وكما تقدم البضاعة. إنه يقول: "يا رب، هذا قلبي، قد أتيتك به سليمًا، مقبلاً ً عليك، معرضًا عما سواك. قد طهرته من كل شائبة، وملأته بحبك وخشيتك. فاقبله مني".

4/ كيف تجتمع "الخشية بالغيب" و"الإنابة" في قلب واحد؟
إنهما كجناحي طائر: الخشية تمنع من المعصية، والإنابة تدفع إلى الطاعة. الخشية تورث الهيبة، والإنابة تورث المحبة. فالقلب المنيب يخاف الله، والقلب الخاشي ينيب إلى الله. هما متلازمان لا يفترقان. فكل منيب خاش، وكل خاش منيب. هذا القلب المتوازن هو الذي يستحق الجنة.

5/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: قيمة الخلوات .خشية الله بالغيب تعني أن لك مع الله سرًا لا يعلمه أحد .هذه الخشية السرية تمنحك أنسًا خاصًا في خلواتك، وتجعلك تشعر بقرب الله منك.
· رسالة تربوية: تقديم القلب لله ."وجاء بقلب منيب" تدعوك أن تراجع قلبك: هل هو منيب حقًا؟ هل هو مقدم لله؟ اجعل لك كل يوم وقفة تقدم فيها قلبك لله، وتجدد فيه الإنابة والإقبال.
· رسالة عقلية: توازن العاطفة والعقل .الخشية والإنابة معًا تمثلان التوازن المطلوب في العلاقة مع الله: خوف يمنع، وحب يدفع .فالعقل السليم يدرك أن العلاقة مع الله يجب أن تجمع بين الخوف و الرجاء، والرهبة والرغبة.

المحور الرابع: لطائف وحِكم من سياق الآيات

1/ ما وجه الجمع بين} لِلْمُتَّقِينَ {و} لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ {و} مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ{؟
إنها أوصاف متدرجة مترابطة:

· المتقون: وصف عام، هم من وقوا أنفسهم النار.
· الأواب الحفيظ: وصف سلوكي، كثير الرجوع، كثير الحفظ.
· الخاشي بالغيب ذو القلب المنيب: وصف قلبي داخلي، هو منبع السلوك.
فكأن الآيات تقول: الجنة لمن كان ظاهره التقوى، وسلوكه الأوبة والحفظ، وباطنه الخشية والإنابة .

إنها ثلاثية الإيمان: العقيدة) التقوى(، والعمل) الأوبة والحفظ(، والقلب) الخشية والإنابة.(

2/ كيف ترتبط هذه الآيات ببداية السورة) ق والقرآن المجيد(؟
أقسم الله بالقرآن المجيد، وأثبت أنه كتاب حق، وأن البعث حق، وأن الجزاء حق. وها هو الجزاء يتحقق: جهنم للمكذبين، والجنة للمتقين. إنه جواب القسم العملي. فالذي أقسم بالقرآن هو الذي أزلف الجنة للمتقين.

3/ لماذا جاء ترتيب صفات أهل الجنة بهذا الشكل؟
بدأ بـ "الأواب الحفيظ" ليبين أن الإيمان ليس مجرد مشاعر، بل هو سلوك وعمل. ثم ختم بـ "الخاشي بالغيب ذو القلب المنيب" ليبين أن هذا السلوك مصدره قلب ممتلئ بالخشية والإنابة. إنه بناء متكامل: أساسه قلب، وسقفه عمل.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات

الأمر الأول: أسئلة تدبرية تطبيقية لتوظيف الآيات في واقعك العملي

١/ سؤال الاستمداد:} وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ...{هل تستمد شوقك إلى الجنة من يقينك بقربها من المتقين؟

· تطبيق في الشدائد: عندما تشتد بك البلايا، تذكر أن الجنة قريبة، وأنها تزف للصابرين المتقين .هذا الاستحضار يهون عليك كل صعب، ويجعل البلاء نعمة تستعجل بها الجنة.
· تطبيق في الطاعات: اجعل شعارك: "الجنة تنتظرني، وهي قريبة" .هذا الشعور يجعلك تسارع في الطاعات شوقًا إلى لقاء الجنة.

٢/ سؤال القيمة:} هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ...{كيف تجعل الأوبة والحفظ قيمتين أساسيتين في حياتك؟

· في علاقتك مع الذنوب: كن أوابًا .لا تيأس من كثرة ذنوبك، بل عد إلى الله كلما أذنبت .الأوبة ليست مرة واحدة، بل هي نمط حياة.
· في علاقتك مع الأمانات: كن حفيظًا .حافظ على صلاتك، على وقتك، على جوارحك، على عهدك مع الله .اسأل نفسك كل ليلة: "ماذا حفظت اليوم لله؟".

٣/ سؤال التأثير:} مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ...{كيف تبني في نفسك خشية الغيب؟

· في خلواتك: أكثر من العبادات السرية: قيام الليل، صيام النفل، الصدقة الخفية .هذه العبادات تبني فيك الإحساس بخشية الغيب، وتجعلك تشعر بأن لك مع الله سرًا لا يعلمه أحد.
· في معاصيك: إذا هممت بمعصية في الخفاء، تذكر أن الله يراك .قل لنفسك: "أنا أخشى الرحمن بـ الغيب، فكيف أعصيه وهو يراني؟".

٤/ سؤال اليقين:} وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ...{هل جئت الله بقلبك؟

· مراجعة صادقة: اختل بنفسك، واسألها: "يا نفس، أين قلبك؟ هل هو معلق بـالله، أم بالدنيا؟" .اصدق مع نفسك، واعرض قلبك على ميزان الإنابة .فإن وجدته لاهيًا، فجدد إنابته، وأقبل به على الله.
· تجديد الإنابة يوميًا: اجعل لك دعاءً صباحيًا: "اللهم إني جئتك بقلب منيب، فتقبله مني، واجعله لك خالصًا" .هذا الدعاء يربط قلبك بـالله كل يوم.

الأمر الثاني: أهم القضايا التي تعالجها الآيات

· قضية الجزاء العادل: الجنة جزاء المتقين، كما النار جزاء الكافرين.
· قضية الصفات القلبية والعملية: الربط بين أعمال القلوب) الخشية، الإنابة (وأعمال الجوارح) الحفظ، الأوبة.(
· قضية القرب الإلهي: بيان أن الجنة قريبة من أهلها، وأن الله قريب من عباده المتقين.
· قضية الأمل والرجاء: فتح باب الأمل على مصراعيه لكل من اتصف بهذه الصفات.

الأمر الثالث: خطوات عملية لتنزيل عظمة الآيات على أرض الواقع

١/ مشروع "الجنة قريبة":
اكتب هذه الآية وعلقها في مكان بارز في بيتك أو مكتبك. كلما وقع بصرك عليها، تذكر أن الجنة تزف للمتقين، فزد في تقواك.

٢/ برنامج "الأواب":
كلما وقعت في ذنب، بادر فورًا بالتوبة. لا تؤجل. اجعل هذه هي قاعدتك: "لا يمر يوم أذنب فيه إلا وأنا أواب تائب".

٣/ تطبيق "الحفيظ":
ضع لك جدولا ً أسبوعيًا تراجع فيه: "هل حفظت صلاتي؟ هل حفظت وقتي؟ هل حفظت لساني؟". هذه المحاسبة تجعلك من الحفيظين.

٤/ تنمية "خشية الغيب":
خصص كل يوم ولو دقائق لخلوة مع الله، تصلي فيها، أو تدعو، أو تتفكر. في هذه الخلوات، استشعر أنك وحدك مع الله، وأنه يراك، فازدد خشية.

٥/ تجديد "الإنابة":
في نهاية كل صلاة، اجلس قليلا ً، وخاطب ربك بقلبك: "اللهم جئتك بقلب منيب، فتقبله".

الأمر الرابع: الدروس والعبر العملية المستخلصة من الآيات

١/ الجنة ثمنها التقوى:
فمن أراد الجنة، فعليه بطريق التقوى.

٢/ الأوبة المتكررة صفة المحبوبين:
فلا تيأس من ذنب، وكن أوابًا.

٣/ الحفظ والأمانة هما تاج الصالحين:
فكن حفيظًا على كل ما ائتمنك الله عليه.

٤/ الخشية بالغيب هي أصل الإحسان:
فاعبد الله كأنك تراه.

٥/ القلب المنيب هو أغلى هدية تقدمها لله:
فطهر قلبك، وأقبل به على الله.

الأمر الخامس: كيف يكون تعميق أثر هذه الآية في حياتك اليومية؟

١/ في الصلاة:
إذا كبرت، استحضر أنك واقف بين يدي الرحمن، فتخشع وتخشى.

٢/ في التعامل مع الناس:
إذا خانك أحد، فتذكر أنك حفيظ على عهدك مع الله، فلا تخن من خانك.

٣/ في الذنوب:
إذا أذنبت، فتب فورًا، وكن أوابًا، ولا تقنط من رحمة الله.

٤/ في الابتلاءات:
إذا نزل بك بلاء، فتذكر أن الجنة قريبة من الصابرين، فهون على نفسك.

الأمر السادس: أهم الرسائل والتوجيهات من الآيات في حياتنا العملية

· الجنة تنتظرك، فلا تبطئ في السير إليها.
· كن أوابًا، فالله يحب التوابين.
· كن حفيظًا، فالله يحب الحافظين لحدوده.
· اخشَ الرحمن في خلواتك، تكن من أهل كرامته.
· قدم قلبك لله منيبًا، فهو أغلى ما تملك.
· لا تجعل الدنيا تلهيك، فالجنة أقرب مما تتصور.

ثالثاً: أهم المفاهيم من الآيات

الأمر الأول: أبعاد الآيات وآفاقها

· البعد العقدي: إثبات الجنة ونعيمها، وإثبات الجزاء على الأعمال.
· البعد الأخلاقي: بيان الصفات التي تؤدي إلى الجنة) التقوى، الأوبة، الحفظ، الخشية، الإنابة.(
· البعد الوجداني: إثارة الشوق إلى الجنة، والرجاء في رحمة الله.

الأمر الثاني: مفاهيم البناء والتنمية من الآيات

· مفهوم "بناء الإنسان الرباني": وهو الإنسان الذي يجمع بين الخشية والإنابة، والتقوى والعمل.
· مفهوم "تنمية الذات بالأوبة": تحويل التوبة من حدث طارئ إلى ثقافة دائمة وسلوك متجدد.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية

· مفهوم "القرب المعنوي":
· التفصيل: كما أن الجنة قريبة من المتقين، فالجنة في الدنيا هي قرب الله من القلب .فمن تقرب إلى الله، شعر بقرب الجنة من قلبه.
· كيفية التطبيق: كلما شعرت بقسوة، فتقرب إلى الله بالطاعة، تجد أن قلبك قد اقترب من الجنة.
· مفهوم "التوبة ثقافة حياة":
· التفصيل: ليس المهم أن لا تذنب، بل المهم أن تكون أوابًا .فالأوبة هي ثقافة الحياة اليومية للمؤمن.
· كيفية التطبيق: لا تنم ليلتك إلا وقد تبت من ذنوب يومك .هذا يجعلك تعيش خفيفًا من الأحمال.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيات (بشكل مفصل)

· المفاهيم النفسية:
1. مفهوم "الأمل الاستباقي(:
· التفصيل:} وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ {تجعلك تعيش الأمل في الجنة كأنها أمام عينيك .هذا ليس مجرد أمل سلبي، بل هو أمل يدفعك للعمل، لأنك ترى المستقبل مشرقًا.
· التطبيق العملي: تصور الجنة في خيالك وأنت في قيام الليل، واستشعر قربها منك، فهذا يعطيك طاقة للعبادة.
2. مفهوم "السكينة بالخشية":
· التفصيل: الخشية ليست خوفًا مقلقًا، بل هي سكينة وطمأنينة .فالذي يخشى الرحمن بالغيب، يعيش مطمئنًا لأن الله يحرسه ويحوطه.
· التطبيق العملي: إذا شعرت بالقلق، فاخشَ الله في سرك، واستشعر مراقبته، تجد أن القلق يزول.
· المفاهيم الفكرية:
1. مفهوم "شمولية التقوى":
· التفصيل: التقوى ليست فقط في العبادات، بل في كل شيء .والأواب الحفيظ الخاشي المنيب كلها تفاصيل للتقوى .فالتقوى منهج حياة شامل.
· التطبيق العملي: اسأل نفسك في كل موقف: "أين التقوى هنا؟" .في البيع، في الشراء، في الغضب، في الرضا.

.2 مفهوم "الجزاء من جنس العمل":
· التفصيل: هم أتوا بقلب منيب، فجزاؤهم جنة قريبة .هم خَشوا الله بالغيب، فأكرمهم الله بقربه .الجزاء مطابق للعمل.
· التطبيق العملي: إذا أردت قرب الجنة، فقرب قلبك من الله.
· المفاهيم التربوية:
.1 مفهوم "تربية القلب قبل الجوارح":
· التفصيل:} وَجَاءَ بِقلبٍ مُنِيبٍ {يعني أن إصلاح القلب هو الأساس .فالتربية الإيمانية تبدأ من القلب.
· التطبيق العملي: درب قلبك على الإنابة، بالذكر والتفكر .فاللسان يذكر، لكن القلب هو الذي ينيب.
.2 مفهوم "التربية على الخشية لا على الخوف فقط":
· التفصيل: الخشية أعمق من الخوف .الخوف من العقاب، والخشية من المعاقب .تربية النفس على خشية الله تجعلها تراقب الله حبًا لا كرهًا.
· التطبيق العملي: حدث أبناءك عن رحمة الله وجماله، لتنشأ عندهم خشية الحب، لا خشية الكره.

الأمر الخامس: كيف نحول مفاهيم الآيات إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية؟

.1على مستوى بناء الإنسان:
· تحويل الأمل إلى عمل: فالأمل في الجنة يدفع إلى العمل للجنة .فيتحول الإنسان إلى كائن إيجابي، يزرع الخير لدنياه وآخرته.
.2على مستوى بناء المجتمع:
· مجتمع الأوابين الحفيظين: مجتمع تسوده الأمانة، ويقل فيه الفساد، لأن أفراده أوابون حفيظون، يخافون الله في السر والعلن.
.3على مستوى بناء الحضارة:
· حضارة القلوب المنيبة: حضارتنا لا تقوم على المادة فقط، بل على القلوب المنيبة التي تقدم لله أعمالها .هذه هي الحضارة التي تباركها السماء.

رابعاً: المهارات الحياتية المعرفية والعملية التي نتعلمها من الآيات

أولا ً: المهارات المعرفية
.1مهارة التفكير بالمآلات الإيجابية :
· التفصيل: بدل أن تفكر في الفشل، فكر في النجاح .بدل أن تخاف من النار، اشتق إلى الجنة . هذا التفكير الإيجابي يحفزك للعمل.
· التطبيق: في كل مشروع، تخيل النتيجة الإيجابية، واجعلها حافزًا لك.
.2مهارة ربط العمل بالجزاء:
· التفصيل: كل صفة من هذه الصفات لها جزاء في الجنة .تعلم أن تربط كل سلوك بنتيجته الأ خروية.
· التطبيق: قبل أي عمل، اسأل: "ما ثمرته في الجنة؟".

ثانيًا: المهارات العملية :

.1مهارة "التوبة الفورية"(:
· التفصيل: خاصية الأواب .لا تؤجل التوبة .بمجرد أن تخطئ، عد فورًا .هذه مهارة تجعل قلبك نقيًا دائمًا.
· التطبيق: إذا وقعت في غيبة، فتب فورًا قبل أن تبرح مجلسك.
.2مهارة "المراقبة الذاتية في الخفاء":
· التفصيل:} مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ {تعلمك أن تكون رقيبًا على نفسك في خلواتك .هذه المهارة هي أصل الإتقان والإحسان.
· التطبيق: في مكان عملك، إذا كنت وحدك، اعمل بإتقان كأن مديرك يراك، لا، كأن الله يراك.

الخاتمة: إلى جنة عرضها السماوات والأرض...

وها نحن نقف على أعتاب الجنة، وقد رأيناها تزف إلينا، وسمعنا الملائكة تقول: {هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ}. لقد

انتهت الرحلة. رحلة الخلق الأول، والوسوسة، والتسجيل، والموت، والبعث، والحساب، والعذاب... انتهت، وها هو النعيم. إنها لحظة الوصول، لحظة الفرح الأبدي، التي يذوب فيها كل تعب، وينمحي فيها كل ألم.

{لِكلّ أوّابٍ حَفِيظٍ ...مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالغَيْبِ وَجَاءَ بِقلبٍ مُنِيبٍ ...{هذه هي بطاقة الدخول إلى هذا النعيم .ليست بطاقة مال ولا جاه، بل بطاقة قلب سليم، وروح أوابة، ونفس حفيظة .هل أعددت بطاقتك؟ هل أتيت الله بقلب منيب؟

اخرج من هذا التدبر وقد حملت بشارة الجنة في قلبك. لتكن هذه الآيات شعارك: "أنا أواب إلى ربي، حفيظ على عهده، أخشاه بالغيب، وأقبل عليه بقلب منيب. وهذه هي زادي إلى جنة عرضها السماوات والأرض". قل بقلب ملؤه الشوق: "اللهم إني أسألك الجنة، وما قرب إليها من قول وعمل. واجعلني أوابًا حفيظًا، وارزقني خشيتك في الغيب، وتقبل قلبي المنيب".

{وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (31) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكلّ أوّابٍ حَفِيظٍ (32) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالغَيْبِ وَجَاءَ بِقلبٍ مُنِيبٍ.{(33)

المبحث الثاني

يا من سار معنا في دروب السورة، من بدايتها ب- {ق وَالقُرْآنِ المَجِيدِ}، ووقف على أعتاب الموت، وسمع صيحة البعث، ورأى أهوال الحساب، ونجا من زفير جهنم وهي تقول {هَلْ مِن مَّزِيدٍ}، وبلغ أخيرًا مشارف الجنة وهي تزف للمتقين... تعالَ بقلبك وعقلك معًا، لتدخل الآن، لا لتقف على الأعتاب، بل لتتجاوز العتبة، ولتسمع النداء الأخير، نداء الدخول، ووعد الخلود، وعطاء المزيد. إنها الآيات التي تمحو من القلب آخر ذرة من خوف، وآخر أثر من تعب، وآخر شعور بالنقص. إنها الآيات التي تعلن بداية الأبد السعيد، حيث لا موت ولا فناء، وحيث كل ما تشتهيه الأنفس موجود، وفوق ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

تمهيد: لماذا هاتان الآيتان الآن؟ وما صلتهما بما قبلهما؟

بعد أن أزلفت الجنة للمتقين، ووصف أهلها بأنهم أوابون حفيظون، خاشون للرحمن بالغيب، جاءوا بقلب منيب... بعد كل هذا التأهيل، يأتي التكريم. لقد انتهى زمن الصفات والمؤهلات، وبدأ زمن العطاء والهبات. في الآيات السابقة (31-33)، كانت الجنة تُزف، وكان الوعد يتحقق. أما هنا، فالباب يُفتح، ويُقال للمؤمن: {ادْخُلُوهَا}. إنه الانتقال من "الوعد" إلى "الدخول"، ومن "الرجاء" إلى "العيان"، ومن "العمل" إلى "الجزاء".

هاتان الآيتان هما ذروة مشهد الجنة في سورة ق. فبعد أن ذكر الله أوصاف أهل الجنة، يأتي ليبين ماذا ينتظرهم فيها. إنها ليست مجرد جنة حسية، بل هي سلام وخلود، وتحقيق كل رغبة، وزيادة لا توصف. إنها الآيات التي تجيب على أعمق أسئلة النفس البشرية: "ماذا سأجد في الجنة؟ هل سأمل؟ هل سأحزن؟ هل سأفنى؟". فيأتي الجواب: {لَهُم مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}.

أما أهداف هذه الآيات ومقاصدها الكبرى فهي:

1. إعلان دخول الجنة: وبهذا يتحقق الوعد الأعظم، وتنتهي رحلة الخوف.
2. بيان نعمة السلام والأمان: فالجنة دار سلام، لا خوف فيها ولا حزن.
3. تأكيد الخلود: ليطمئن المؤمن أن النعيم دائم لا ينقطع.
4. بيان كمال النعيم: بتحقيق كل ما يشتهون، وزيادة لا تخطر على بال.
5. إثارة الشوق إلى الجنة: ليعمل المؤمن بجد ليكون من أهل هذا المقام.

أولا ً: تحليل الآيات

هيا بنا ندخل من باب السلام، ونعبر إلى دار الخلود، وننعم بما لا عين رأت.

المحور الأول: {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الخُلُودِ} – نداء الدخول ويوم الخلود

1/} ادْخُلُوهَا ...{ما دلالة الأمر هنا؟ ومن هو الآمر؟

تأمل معي! {ادْخُلُوهَا} فعل أمر. والآمر هو الله سبحانه وتعالى، أو الملائكة بأمر الله. إنه أمر تكريم وتشريف، لا أمر تكليف. بعد أن كان الأمر في الدنيا: {ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً}، و{ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}، يأتي الأمر هنا إيذانًا بتحقق الموعود. إنه أمر يفيض حبًا ورحمة. "ادخلوها" أي هلموا إلى ما أعددت لكم. إنها دعوة إلى دار الكرامة، بعد أن طال انتظارهم. وكأن المؤمن يقف على أعتابها متعجبًا ، فيُقال له: لا تقف، ادخل! فهي لك.

2/ ما معنى الدخول} بِسَلَامٍ{؟ وما أنواع السلام هنا؟
الباء للملابسة، أي ادخلوها ملتبسين بالسلام، مصحوبين به. والسلام هنا يشمل أنواعًا متعددة:

· سلام من الله: وهو التحية العظمى، كما قال تعالى: {سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَبٍّ رَحِيمٍ}. فيسلم الله عليهم، وهذا أعظم تكريم.
· سلام من الملائكة: فالملائكة تستقبلهم على كل باب: {سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}.
· سلام من كل آفة ونقص: فهم في سلام من الموت، والمرض، والحزن، والهم، والشيطان، والنصب. سلام من كل ما ينغص الحياة.
· سلام من الخوف: فلا خوف عليهم من انقطاع النعيم، ولا من زواله، ولا من عدو.
فالدخول بسلام يعني أنهم محفوفون بالأمان من كل وجه، ظاهرًا وباطنًا، من الله ومن ملائكته. إنه مشهد يعمه السلام، فلا خصام، ولا صياح، ولا بكاء، بل سلام دائم.

3/} ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ...{ما سر الإشارة بـ} ذَٰلِكَ{؟ وما معنى الخلود؟
اسم الإشارة للبعيد {ذَٰلِكَ} هنا للتعظيم والتفخيم، فهو يوم عظيم الشأن. ويوم الخلود هو اليوم الذي يبدأ منه الخلود الأبدي. الخلود هو البقاء الدائم الذي لا نهاية له. وقد سُمي يوم القيامة بيوم الخلود، لأن أهل الجنة يخلدون في نعيمها، وأهل النار يخلدون في عذابها. فهذا اليوم هو باب الأبدية، حيث ينتهي زمن الفناء، ويبدأ زمن البقاء. ويا لها من لحظة! أن تعلم أنك لن تموت أبدًا، وأن فرحك دائم، ونعيمك لا ينقطع. إنها كلمة تطفئ كل قلق، وتمحو كل حزن من الذاكرة.

4/ كيف تعمل} بِسَلَامٍ {و} الْخُلُودِ {معًا في تحقيق كمال النعيم؟
إن اجتماع السلام مع الخلود هو كمال النعيم. فقد يكون الشيء حسنًا، لكنه مؤقت، فينغص توقع زواله. وقد يكون دائمًا، لكنه مشوب بالخوف والقلق، فينغص ذلك دوامه. أما في الجنة، فقد اجتمع الأمران: السلام (أي الأمان والطمأنينة) والخلود (أي الدوام والبقاء). فنعيمهم دائم لا يزول، وهم فيه آمنون لا يخافون. هذا هو الكمال الذي لا مزيد عليه.

5/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الأمان المطلق. أن تسمع كلمة {ادْخُلُوهَا} فهذا يعني أن الامتحان قد انتهى، وأنك قد نجحت. هذا الشعور بالوصول إلى بر الأمان بعد رحلة شاقة، هو منتهى الراحة النفسية.
· رسالة تربوية: عمل للخلود. بما أن الخلود حق، فاعمل عملا ً يليق بالخلود. لا تعمل عمل من يظن أنه سيفنى، بل اعمل عمل من يوقن أنه سيبقى. واجعل استثمارك الحقيقي فيما يبقى، لا فيما يفنى.
· رسالة عقلية: قيمة الأبدية. العقل يدرك أن اللذات الفانية لا تساوي شيئًا أمام لذة أبدية. فكيف يبيع الإنسان أبديته بلحظة عابرة؟ هذا الاستدلال العقلي يدفعك لترجيح كفة الآخرة.

المحور الثاني: {لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} – تحقيق كل رغبة، وزيادة لا توصف

1/} لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا ...{ما دلالة لام الملكية والفعل} يَشَاءُونَ{؟
لام الملكية في {لَهُم} تدل على أن ما في الجنة هو ملك لهم، لا يستأجرونه ولا يستعيرونه، بل هو ملك خالص. والفعل {يَشَاءُونَ} بصيغة المضارع يفيد التجدد والاستمرار: فهم كلما شاءوا شيئًا، وجدوه. لا يقتصر الأمر على ما كانوا يشتهونه في الدنيا، بل كل ما تخطر به نفوسهم في الجنة، فهم يجدونه محضرًا. وفي هذا إشارة إلى أنهم لا يشاءون إلا ما هو جميل كريم، فقد طهرت نفوسهم من الشهوات الدنيئة. فالجنة ليست مكانًا لقضاء الشهوات الحيوانية، بل هي مكان لتذوق أرقى أنواع اللذائذ التي تليق بأهل الكمال.

2/} وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ...{ما هو هذا المزيد؟ وما عظمته؟
{مَزِيدٌ} نكرة للتعظيم، أي زيادة عظيمة لا توصف. وقد ورد عن جمهور المفسرين أن المزيد هو النظر إلى وجه الله الكريم، وهو أعظم نعيم الجنة على الإطلاق. فبعد أن يروا كل ما فيها، يتجلى الله لهم،

فيرونه بأبصارهم، فذلك هو المزيد الذي ينسيهم كل شيء. وقيل: المزيد هو مضاعفة الثواب، وقيل: المزيد هو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. والمهم أن "المزيد" هو شيء فوق ما يشاءون، شيء لا يخطر على بالهم فيطلبوه، فيتفضل الله به عليهم. إنها مفاجأة الأبد السعيدة.

3/ كيف تكمل الآية الأولى) السلام والخلود (والآية الثانية) ما يشاءون والمزيد (بناء النعيم الكامل؟
إنها رباعية الكمال:

· السلام: نفي لكل مكروه.
· الخلود: دوام لكل محبوب.
· ما يشاءون: تحقيق كل رغبة.
· المزيد: زيادة لا تخطر ببال.
بهذه الأربع، يكتمل النعيم، فلا يبقى في النفس بقية من حاجة، ولا شائبة من خوف، ولا ذرة من نقص. إنها الحياة التي تليق بكريم، أكرم بها كرامًا.

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الشعور بالغنى المطلق. {لَهُم مَّا يَشَاءُونَ} تجعلك تشعر أنك أغنى الأغنياء، فكل ما تريده هو لك. هذا الشعور يقتل جذور الطمع والحسد في الدنيا، فأنت تنتظر غنى لا يفنى.
· رسالة تربوية: الشوق إلى رؤية الله. كون المزيد هو رؤية الله، فهذا يجعل محبة الله هي الغاية العظمى. فلتكن عبادتك لله شوقًا إلى لقائه، لا خوفًا من عذابه فقط.
· رسالة عقلية: تفاضل النعيم. العقل يدرك أن أعظم نعيم هو ما يتصل بالله (رضوانه، رؤيته)، لأنه خالق كل نعيم. فاطلب دائمًا الدرجات العلى.

المحور الثالث: لطائف وحِكم من سياق الآيات

1/ كيف ترتبط هذه الآيات بما قبلها من أوصاف المتقين؟
في الآيات السابقة، وُصفوا بأنهم أوابون حفيظون، خاشون للرحمن بالغيب، جاءوا بقلب منيب. وهنا، جزاؤهم: {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ}. كأنه قيل لهم: "بما أنكم جئتمونا بقلب سليم، فادخلوا دار السلام بسلام". وكما أنهم كانوا يحفظون حدود الله، حفظ الله عليهم نعيمهم وأمنهم. وكما أنهم خافوا الله بالغيب، آمنهم الله يوم الفزع الأكبر. الجزاء من جنس العمل.

2/ ما سر تخصيص} لَدَيْنَا {في قوله} وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ{؟
{لَدَيْنَا} أي عندنا. لم يقل: "ولكم مزيد"، بل قال: {وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}. فالمزيد عند الله مخزون، لم يره أحد، وهو من خزائن فضله. وهذا يعطي شعورًا بأن هذا المزيد هو كنز خاص، لا يناله كل أحد، بل هو هدية خاصة من الله لخاصة عباده. "لدينا" تشعرك بالقرب من الله، وكأنه يدخرك شيئًا من عنده وحده.

3/ كيف تجمع الآيتان بين العطاء المادي) ما يشاءون (والعطاء المعنوي) السلام، المزيد(؟
الجنة ليست مجرد متع حسية، بل هي قبل ذلك سكينة نفسية، وطمأنينة قلبية، وقرب من الله. فالسلام والمزيد (رؤية الله) هما أصل النعيم، وأما {مَا يَشَاءُونَ} فهو تابع. وهكذا ينبغي للمؤمن في الدنيا: أن يجعل همه الأكبر القرب من الله وسلامة القلب، ثم تأتي باقي النعم.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات

الأمر الأول: أسئلة تدبرية تطبيقية لتوظيف الآيات في واقعك العملي

١/ سؤال الاستمداد:} ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ...{هل تستمد طمأنينتك وسكينتك في الدنيا من يقينك بأن الله سيدخلك دار السلام؟

· تطبيق عند القلق: إذا اضطربت من أحداث الدنيا، فذكر نفسك: "الجنة دار سلام، وأنا أسعى إليها. فلتضطرب الدنيا كيف شاءت، فمصيري إلى دار لا اضطراب فيها".
· تطبيق عند الخوف: إذا خفت من المستقبل، تذكر أن الله سيقول لأهل الجنة: {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ}، فهذا الوعد يبدد كل خوف.

٢/ سؤال القيمة:} ذَٰلِكَ يَوْمُ الخُلُودِ ...{كيف تجعل قيمة الخلود حاضرة في تخطيطك وقراراتك؟

· في استثمار وقتك: الوقت هو رأس مالك للخلود. فهل تستثمره فيما يبقى (العلم النافع، العمل الصالح) أم فيما يفنى (اللهو الباطل)؟
· في علاقاتك: اختر أصدقاءك الذين تحب أن تخلد معهم في الجنة. الصحبة الصالحة هي زاد الأ بدية.

٣/ سؤال التأثير:} لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا ...{كيف تضبط رغباتك وشهواتك بهذه الآية؟

· في الشهوات المحرمة: إذا اشتهيت حرامًا، قل لنفسك: "في الجنة ما تشاءين. فاصبري عن الحرام الفاني، لتنالي الحلال الباقي".
· في الطموحات: لا تجعل الدنيا كل همك، ففي الجنة {مَا يَشَاءُونَ}، وهناك ستأخذ كل ما تريد، فاجعل سعيك في الدنيا لأجل الآخرة.

٤/ سؤال اليقين:} وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ...{هل تشتاق إلى المزيد؟

· مراجعة محبتك لله: الشوق إلى المزيد (رؤية الله) هو علامة على صدق محبتك لله. اسأل نفسك: "هل أنا مشتاق للقاء الله؟". إن كان جوابك نعم، فابشر. وإن كان لا، فجدد إيمانك.
· تقوية الشوق: أكثر من قراءة أوصاف الجنة، ومن دعاء: "اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك، و الشوق إلى لقائك".

الأمر الثاني: أهم القضايا التي تعالجها الآيات

· قضية كمال النعيم: الجمع بين السلام والخلود والملك والمزيد.
· قضية نهاية المطاف: بيان أن نهاية المؤمنين هي دار السلام.
· قضية قيمة الإنسان: الإنسان كائن أبدي، يسعى لخلود، ويكرمه الله بالمزيد.
· قضية الجزاء الأوفى: أن الله يعطي المؤمنين أكثر مما يستحقون، فضلا ً منه ورحمة.

الأمر الثالث: خطوات عملية لتنزيل عظمة الآيات على أرض الواقع

١/ تذكرة "يوم الخلود":
ضع في مكتبك أو هاتفك عبارة: {ذَٰلِكَ يَوْمُ الخُلُودِ}. كلما رأيتها، تذكر أنك تخطط ليوم عظيم، فرتب أولوياتك على هذا الأساس.

٢/ تطبيق "السلام الداخلي":
حاول أن تكون مصدر سلام في محيطك. لا تخاصم، لا تغضب، كن كالجنة التي يدخلها الناس بسلام. كن أنت "جنة" صغيرة في أرض الدنيا.

٣/ مشروع "المزيد":
خصص وقتًا يوميًا للتفكر في نعم الله عليك التي تفوق ما تطلبه. اكتب كل يوم "مزيدًا" منحكه الله إياه لم تطلبه. هذا يملأ قلبك شكرًا.

٤/ تربية النفس على "الجود الإلهي":
عندما تعطي أحدًا شيئًا، أعطه أكثر مما طلب، تخلقًا بـ{وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}. كن كريمًا معطاءً، فالله يحب الكرماء.

الأمر الرابع: الدروس والعبر العملية المستخلصة من الآيات

١/ السلام في الجنة ثمرة السلام في الدنيا:
فمن عاش مسالمًا، دخل دار السلام بسلام.

٢/ الخلود هو المطلب الأسنى:
فلا ترضَ بفانٍ، واطلب الباقي.

٣/ الله أكرم من عبده:
فالعبد يطلب، والله يعطيه ما يطلب ويزيده من فضله.

٤/ رؤية الله هي الغاية:
فليكن هذا محور سعيك.

الأمر الخامس: كيف يكون تعميق أثر هذه الآية في حياتك اليومية؟

١/ في الصلاة:
إذا سجدت، تذكر أن أعظم النعيم هو السجود لله في الدنيا، والنظر إليه في الآخرة.

٢/ في التعامل مع الناس:
ألق السلام على من عرفت ومن لم تعرف، تدربًا على دخول دار السلام.

٣/ في المال والإنفاق:
أنفق ولا تبخل، فـ"المزيد" الذي وعد الله به في الآخرة يغنيك عن الحرص في الدنيا.

٤/ في مواجهة الفقد:
إذا فقدت حبيبًا، تذكر أن الجنة دار خلود، وأن اللقاء هناك أبدي.

الأمر السادس: أهم الرسائل والتوجيهات من الآيات في حياتنا العملية

· اسعَ إلى دار السلام بسلامة قلبك.
· لا تحزن على فائت، ففي الجنة ما تشاء.
· اعمل للخلود، لا للفناء.
· اطلب المزيد من الله، فأكرم كرماء الدنيا لا يبلغون كرم الله.
· الجنة سلام، فكن في الدنيا رسول سلام.

ثالثاً: أهم المفاهيم من الآيات

الأمر الأول: أبعاد الآيات وآفاقها

· البعد العقدي: إثبات دار الخلود، وإثبات رؤية الله (المزيد).
· البعد النفسي: تحقيق الشعور بالأمان والغنى المطلقين.
· البعد الأخلاقي: الدعوة إلى الكرم والعطاء اللامتناهي.

الأمر الثاني: مفاهيم البناء والتنمية من الآيات

· مفهوم "بناء الذات على أمل الخلود": حين يعلم الإنسان أنه مخلوق للأبد، يسعى لبناء ذاته بناءً يليق بهذا الخلود.
· مفهوم "تنمية الروح بالشوق إلى المزيد": أعظم تنمية للروح هي شوقها إلى الله.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية

· مفهوم "ثقافة الوفرة"):
· التفصيل: بدلا ً من عقلية الندرة (الخوف من قلة الرزق)، تعيش بعقلية الوفرة، لأنك تؤمن أن الله عنده {مَا يَشَاءُونَ} و{مَزِيدٌ}.

· كيفية التطبيق: في عملك، لا تخف من منافس، فالله عنده ما يكفي الجميع. ارزقْ غيرك، تنلْ مزيدًا من الله.
· مفهوم "الجودة الشاملة في الحياة":
· التفصيل: الجنة تجمع بين السلام والخلود والملك والمزيد. هذا يعلمك أن تسعى لحياة متوازنة، تجمع بين الأمان والمتعة والهدف.
· كيفية التطبيق: خطط لحياتك لتشمل الجوانب الأربعة: الأمان النفسي، والصحة، والعمل الهادف، و العلاقات.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيات (بشكل مفصل)

· المفاهيم النفسية:
1. مفهوم "التكامل النفسي"):
· التفصيل: شعور المؤمن بأنه سيدخل دار السلام، حيث تنتهي كل صراعاته الداخلية، يعطيه طمأنينة في الدنيا، ويجعله متصالحًا مع نفسه.
· التطبيق العملي: إذا شعرت بصراع داخلي، فاستحضر أن هذا الصراع سينتهي في الجنة. هذا يمنحك السلام الآن.
2. مفهوم "إشباع الرغبات اللانهائية":
· التفصيل: نفس الإنسان تتوق إلى اللانهاية. {لَهُم مَّا يَشَاءُونَ} و{الخُلُود} يعطي النفس ضمانًا بأن رغباتها اللانهائية ستُشبع في دار الخلود، فلا تيأس من قصور الدنيا عن إشباعها.
· التطبيق العملي: لا تحمل نفسك فوق طاقتها في طلب الكمال في الدنيا. الكمال المطلق في الجنة، فكن في الدنيا رفيقًا بنفسك.
· المفاهيم الفكرية:
1. مفهوم "النعيم التجاوزي"):
· التفصيل: النعيم في الجنة ليس فقط حسيًا، بل هو تجاوزي، يبلغ ذروته بـ"المزيد" (رؤية الله). وهذا يعطي للحياة معنى أعمق.
· التطبيق العملي: لا تختزل الدين في الحلال والحرام فقط، بل اطلب المعاني العميقة، كحلاوة الإيمان، ولذة القرب من الله.
2. مفهوم "الغنى الوجودي":
· التفصيل: المؤمن غني بنفسه، لأنه يعلم أن له ما يشاء في الجنة. هذا الغنى يجعله عزيزًا في الدنيا، لا يتعلق قلبه بما في أيدي الناس.
· التطبيق العملي: إذا شعرت أنك محتاج لفلان، فاذكر أن الله يعدك بـ{مَا يَشَاءُونَ}، فهذا يحرر قلبك من ذل الحاجة للمخلوقين.
· المفاهيم التربوية:
1. مفهوم "التربية على الكرم الإلهي":
· التفصيل: كما أن الله يعطي عباده المزيد، فربِّ نفسك على أن تعطي أكثر مما يُطلب منك. كن كريمًا في وقتك، مالك، علمك.
· التطبيق العملي: إذا سألك سائل، فأعطه وزد عليه ابتسامة ودعاء. هذه التربية تجعلك من أهل الكرم.
2. مفهوم "التربية على الأمل المطلق":
· التفصيل: {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ} يربي فيك أملا ً لا ينقطع. مهما بلغت بك الذنوب، فباب التوبة مفتوح. ومهما بلغ بك اليأس، فالجنة تنتظرك.
· التطبيق العملي: ربِّ أبناءك على أن لا ييأسوا أبدًا، فالله هو السلام، والجنة دار السلام، و الخلود ينتظرهم.

الأمر الخامس: كيف نحول مفاهيم الآيات إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية؟

.1على مستوى بناء الإنسان:
· تحويل اليأس إلى أمل: إنسان يعلم أن مصيره إلى الخلود والسلام، هو إنسان لا يهزمه يأس، و لا يغلبه قلق.
.2على مستوى بناء المجتمع:
· مجتمع السلام: مجتمع يسوده الأمن، لأن أفراده يوقنون أن دار السلام تنتظرهم، فيسعون لنشر السلام في دنياهم.
.3على مستوى بناء الحضارة:
· حضارة المزيد: حضارة تسعى دائمًا للكمال، مستلهمة وعد الله بـ{مَزِيدٌ}، فتقدم للبشرية ما هو

أكثر من الحاجة، إبداعًا وجمالا ً.

رابعاً: المهارات الحياتية المعرفية والعملية التي نتعلمها من الآيات

أولا ً: المهارات المعرفية :

.1مهارة التفكير التجاوزي :
· التفصيل: التفكير فيما وراء المادة، وفيما هو أبدي. هذه المهارة تحررك من سجن اللحظة و المادة.
· التطبيق: عند اتخاذ قرار، اسأل: "ما أثره على خلودي؟".
.2مهارة إدارة الرغبات:
· التفصيل: أن تعلم أن كل رغباتك ستتحقق في الجنة، يجعلك تؤجل رغباتك الدنيئة، وتستبدلها برغبات سامية.
· التطبيق: إذا رغبت في شهوة محرمة، قل: "في الجنة ما هو خير منها، فأنا أصبر".

ثانيًا: المهارات العملية (
.1مهارة نشر السلام:
· التفصيل: {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ} يعلمك أن تكون صانع سلام. تعلم كيف تصلح بين المتخاصمين، وكيف تزيل سوء الفهم.
· التطبيق: كن مبادرًا بالصلح. لا تنتظر أن يأتيك أخوك، بل اذهب أنت إليه بالسلام.
.2مهارة "فن الحياة الطيبة":
· التفصيل: المؤمن يعيش في الدنيا حياة طيبة، لأنه يعيش بعقلية الجنة: سلام، وخلود، وغنى.
· التطبيق: استمتع بالحياة بما أحل الله، وعش مطمئنًا، فأنت تعرف مصيرك الجميل.

الخاتمة: إلى الخلود... إلى المزيد

وها نحن نصل إلى ختام مشهد الجنة في سورة ق. {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ}. يا لها من كلمات! إنها تمحو كل تعب، وتجبر كل كسر، وتشفي كل ألم. إنها الوعد الذي طالما ردده المؤمن في قلبه، وها هو يراه عيانًا. {لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا}... فلا يبقى في القلب بقية من حاجة. {وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}... فتشرق الروح بنور الله، ويتم الأنس بلقاء الله.

قبل أن نغلق هذه الصفحات النيرات من سورة ق، قف مع نفسك واسألها: "أين أنا من هؤلاء؟". أأنت ممن سيدخل دار السلام، أم دار البوار؟ والجواب بيدك. فالله قد بين لك الطريقين، وهداك النجدين. فاختر لنفسك ما تشاء، ولكن تذكر: {لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا}. فإذا أردت أن يكون لك كل ما تشاء، فاجعل مشيئتك في الدنيا تابعة لمشيئة الله، لتفوز غدًا بكل ما تشتهي.

{ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (34) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (35)}.
القسم السابع
يا من آنستَه مشاهدُ الجنة، وذاق بقلبه حلاوة {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ}، واشتاق إلى {وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}... تعالَ بقلبك وعقلك معًا، لنعود إلى أرض الواقع، لا لنغادر رياض الجنة، بل لنأخذ بأسباب الوصول إليها. فبعد أن صور الله لنا مشهد النعيم، يأتي الآن ليوقظ الغافلين، وليذكرهم بأن الطريق إلى ذلك النعيم يمر عبر دروس التاريخ. إنها الآيات التي تربط بين مشاهد النعيم والعذاب في السورة، وتجمع خيوطها في تساؤل يهز القلوب: {أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ}، وها هي تعود هنا بشكل آخر: {أَوَلَمْ يَرَوْا}، وكأن السورة كلها بناء واحد، يبدأ باليقين وينتهي باليقين، يبدأ بالتذكير بالخلق الأول ويعيد التذكير به في الختام.

تمهيد: لماذا هاتان الآيتان الآن؟ وما صلتهما بما قبلهما؟

بعد أن عرضت الآيات السابقة (31-35) مشهد الجنة ودخول المؤمنين فيها، وما لهم فيها من النعيم و السلام والخلود والمزيد... يأتي السياق الآن ليضرب مثلا ً تحذيريًا من التاريخ. إنه أسلوب قرآني بديع: ينتقل بك من الترغيب إلى الترهيب، ومن الجنة إلى النار، ومن النعيم إلى العذاب، ليبقى قلبك بين الخوف والرجاء. فبعد أن قال: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ}، يعود ليقول: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ}.

هاتان الآيتان هما إعادة تذكير بأدلة البعث والقدرة الإلهية، لكن بطريقة تجمع بين الأدلة التاريخية والأ دلة الكونية، في ختام يتناسب مع قرب السورة من نهايتها. إنها بمثابة تلخيص لرسالة السورة كلها: الله قادر على البعث، والأمم السابقة خير دليل، فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فهذا يكفيه.

أما أهداف هذه الآيات ومقاصدها الكبرى فهي:

.1تأكيد عقيدة البعث من خلال الأدلة التاريخية) إهلاك القرون السابقة.(
.2بيان أن الله قادر على كل شيء، فلا يعجزه إهلاك جبار، ولا إحياء ميت.
.3تحذير كفار قريش من أن يصيبهم ما أصاب السابقين.
.4بيان سبب إعراض الكفار وهو غياب القلب الواعي والأذن السامعة.
.5دعوة المؤمنين إلى التفكر والاعتبار، فهم أصحاب القلوب الحية والأسماع الواعية.

أولا ً: تحليل الآيتين

هلم بنا نتدبر هاتين الآيتين اللتين تخاطبان العقل والوجدان، وتجمعان بين دليل التاريخ ودليل الطبيعة.

المحور الأول: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا} – درس التاريخ وعبرته

1/ ما دلالة "كم" الخبرية هنا؟
تأمل معي! "كم" هنا خبرية، تفيد التكثير والإخبار عن كثرة عدد المهلكين. فالله لا يخبر عن أمة أو اثنتين، بل عن أمم كثيرة لا يحصيها إلا هو. إنها تمهد الطريق لترسيخ اليقين بأن هذه سنة ماضية، لا تختص بأمة دون أخرى. "كم" هنا تحمل في طياتها تحذيرًا ضمنيًا: "انظروا كم أهلكنا! أفلا تعتبرون؟ ".

2/} قَبْلَهُم ...{من المخاطب هنا؟
الضمير في {قَبْلَهُم} يعود إلى كفار قريش، المعاندين الذين كذبوا النبي ﷺ. إنه خطاب موجه إليهم بـ الدرجة الأولى. ولكن الخطاب يمتد ليشمل كل من يسير على دربهم في كل زمان ومكان. فالمعنى: "قبلكم أيها المكذبون، أهلكنا أممًا كثيرة، أفلا تخافون أن يصيبكم مثل ما أصابهم؟".

3/} مِّن قَرْنٍ ...{ما معنى القرن؟
القرن هم الأمة أو الجماعة التي تعيش في زمن واحد. وقيل: القرن مئة سنة. والمعنى الجامع أن الله أهلك أممًا كثيرة، كانت تعيش في أزمنة مختلفة. وفي هذا تذكير بأن الزمن لا يغير من سنة الله، فكما أهلك الأولين، يهلك الآخرين إن كذبوا.

4/} هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا ...{ما دلالة هذا الوصف؟
البطش هو الأخذ بقوة وشدة، ويطلق على القوة والسطوة. فالله يخبر أن تلك القرون كانوا أشد قوة من كفار قريش. فقوم عاد كانوا عمالقة، وثمود كانوا يبنون بيوتاً في الجبال، وفرعون كان له ملك مصر. فهؤلاء الكفار المعاصرون للنبي ﷺ أضعف منهم بكثير. ولكن القوة لم تنفع أولئك، فكيف تنفع هؤلاء؟! وفي هذا تسلية للنبي ﷺ وأصحابه: لا تخافوا بطشهم، فقد أهلك الله من هو أشد بطشًا.

5/} فَنَقَبُوا فِي الْبِلَادِ ...{ما معنى التنقيب في البلاد؟
{نَقَبُوا} أي ساروا وطافوا وجالوا في البلاد بحثًا عن المهرب، وتنقيبًا عن ملجأ، وضربًا في كل طريق. و"التنقيب" في اللغة هو التفتيش والبحث. فالمعنى أنهم هربوا في كل اتجاه، وبحثوا عن ملجأ يحميهم من عذاب الله. ولكن هيهات! فلا ملجأ من الله إلا إليه.

6/} هَلْ مِن مَّحِيصٍ ...{ما معنى المحيص؟ ولماذا صيغت الآية بهذا الاستفهام؟
المحيص هو المهرب والملجأ والمفر. والاستفهام هنا استفهام إنكاري، أي "لا محيص ولا مهرب". إنه يصور شدة العذاب وعجزهم المطلق. فمع قوتهم وبطشهم، ومع تنقيبهم في البلاد، لم يجدوا مفرًا من عذاب الله. وهذا الاستفهام يزيد المشهد رهبة، فكأنهم بحثوا وسألوا: "هل من محيص؟"، فجاء الجواب: لا!

7/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الأمان باللجوء إلى الله. إذا كان من هم أشد قوة لم يجدوا محيصًا، فالملجأ الوحيد هو الله. لا تهرب من الله إلا إليه. وفي هذا طمأنينة للمؤمن، ورعب للكافر.
· رسالة تربوية: الاعتبار بالتاريخ. التاريخ ليس مجرد حكايات، بل هو مدرسة للعبر. اقرأ في قصص ا لأولين، واعتبر بما آل إليه أمرهم، ولا تكن ممن يقرأ ولا يعتبر.
· رسالة عقلية: حتمية الجزاء. العقل يدرك أن القوة المادية لا تنفع إذا جاء عذاب الله. فما حدث للأ ولين، دليل على قانون إلهي ثابت: التكذيب يؤدي إلى الهلاك.

المحور الثاني: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} – أدوات الانتفاع بـ الذكرى

1/} إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ...{ما المشار إليه؟
الإشارة إلى ما تقدم من أخبار الأمم المهلكة، ومن الأدلة الكونية في السورة كلها. ف-"ذلك" يشمل كل ما مر في السورة من آيات وعبر: الخلق الأول، والأرض الممدودة، والسماء المبنية، والنبات البهيج، و الماء المبارك، وإهلاك القرون. كل هذه الآيات تحمل ذكرى لمن كان له قلب واع.

2/} لَذِكْرَىٰ ...{ما معنى الذكرى هنا؟
الذكرى هي التذكرة والعظة والاعتبار. ففي هذه الآيات تذكير بـالله، وتذكير باليوم الآخر، وتذكير بمصير المكذبين. إنها ليست مجرد معلومات تقال، بل هي عظة توقظ الغافل، وتثبت المؤمن، وتهدي الحائر.

3/} لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ...{ما المراد بالقلب هنا؟
القلب هنا ليس مجرد العضو الجسدي، بل هو العقل الواعي، والفؤاد المدرك، واللب المفكر. فالقلب في القرآن هو مركز الفهم والإدراك. قال تعالى: {لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا}. فالمراد هنا: من كان له قلب حي، يعقل به الحق، ويفهم به الآيات، ويتدبر به العبر. فمن لا قلب له، لا ينتفع بالذكرى، لأن قلبه قد مات بالغفلة والشهوات.

4/} أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ...{ما معنى إلقاء السمع؟ وما دلالة كونه شهيدًا؟
{أَلْقَى السَّمْعَ} أي أصغى واستمع باهتمام، وألقى بأذنه إلى الحق متجردًا. فهو ليس مجرد سامع، بل هو منصت بكل كيانه. و{وَهُوَ شَهِيدٌ} أي حاضر بقلبه وعقله، متيقظ غير غافل. فمعنى الآية: "أو استمع بإنصات وكان حاضر الذهن والقلب، غير لاهٍ ولا غافل". فالإنسان إما أن يكون له قلب يفقه به بنفسه، أو يكون له أذن صاغية لما يقال له، فيفهم بعقله ما يسمع.

5/ لماذا ذكرت الآية الصنفين: من له قلب، ومن ألقى السمع؟
هذان الصنفان يمثلان طريقي الهداية: الأول: من يتفكر بقلبه ويستنبط الحق بنفسه. والثاني: من يستمع بإنصات لمن يدعوه إلى الحق. فالمؤمن إما أن يكون من أهل البصيرة الذين يهتدون بأنفسهم، وإما أن يكون من أهل التقليد الصحيح الذين يتبعون الحق إذا سمعوه. وهذا توجيه نبوي رائع: "العلماء ورثة الأنبياء". فالجميع، العالم والمتعلم، مدعوون إلى الهداية عبر هذين الطريقين.

6/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: قيمة الإنصات. إن إلقاء السمع والشهود هو مهارة حياتية عظيمة. فكم من مشكلة حلت بالإنصات الجيد! وكم من سوء تفاهم نشأ من عدم الإصغاء! هذه الآية تدعوك لتكون مستمعًا منصتًا، حاضر الذهن، لا مشتتًا لاهيًا.
· رسالة تربوية: تنمية القلب والعقل. هذه الآية تربي فيك أمرين: أن يكون لك قلب تفقه به الحق بنفسك، وأذن تسمع بها الهدى من غيرك. فلا تكن غافلا ً تائهًا، ولا مكتفيًا بمعرفتك دون استماع للعلماء.
· رسالة عقلية: شروط الانتفاع بالذكرى. العقل وحده لا يكفي، بل لا بد معه من قلب حي، أو أذن صاغية. فكم من عاقل سمع الحق، لكنه لم ينتفع به لأنه لم يلقِ السمع وهو شهيد! هذا يدعوك لتفعيل أدواتك العقلية والوجدانية معًا.

المحور الثالث: لطائف وحِكم من سياق الآيتين

1/ ما وجه الربط بين إهلاك القرون) الآية (36 وبين الذكرى) الآية(37 ؟
إهلاك القرون هو المادة الخام التي تُصنع منها الذكرى. فالذكرى هي الخلاصة والعبرة المستفادة من تلك الأحداث. وكأن الآية تقول: "ما حدث ليس مجرد أحداث تاريخية، بل هو ذكرى لكم. فانظروا إليها بهذه العين، عين الاعتبار، لا عين التسلية".

2/ كيف ترتبط هاتان الآيتان ببداية السورة) ق والقرآن المجيد(؟
في بداية السورة، أقسم الله بالقرآن المجيد. وفي هذه الآية يقول: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ}. فالقرآن هو الذكرى الكبرى، وما فيه من آيات وعبر هو ذكرى لمن كان له قلب. إنه تلازم بين القسم والمقسم به: أقسم بالقرآن لأنه هو الذكرى.

3/ لماذا خُتمت هذه الآيات بصفة "القلب" و"السمع" دون "البصر"؟
لأن القلب هو محل الفقه، والسمع هو طريق التلقي. أما البصر، فقد لا يكون كافيًا للعبرة. فكم من ناظر رأى بعينه آيات الله فلم يعتبر! فالاعتبار يكون بالقلب (عقل ما يُرى) أو بالسمع (فقه ما يُسمع). وهذا توجيه إلى أن العبرة ليست بكثرة ما تراه العين، بل بما يعيه القلب ويسمعه السمع الواعي.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيتين

الأمر الأول: أسئلة تدبرية تطبيقية لتوظيف الآيتين في واقعك العملي

١/ سؤال الاستمداد:} وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم ...{هل تستمد من قصص المهلكين يقظة لقلبك وحذرًا من الذنوب؟

· تطبيق في المخاوف: إذا خفت من ظالم، فتذكر أن الله أهلك من هو أشد منه بطشًا. استمد قوتك من الله، ولا تهن.
· تطبيق في الذنوب: إذا قسا قلبك، فاقرأ في قصص الأولين، وتذكر كيف أهلكهم الله بذنوبهم، فهذا يلين قلبك ويجعلك تخاف من الذنوب.

٢/ سؤال القيمة:} فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ...{كيف تجعل اليقين بأن لا مهرب من الله قيمة تحكم حياتك؟

· في التخطيط للمستقبل: لا تخطط للهروب من الله، بل خطط للرجوع إليه. فكل خططك التي تحاول بها التنصل من أوامر الله، ستجدها باطلة، لأن لا محيص.
· في الشدائد: بدل أن تلجأ إلى الخلق، الجأ إلى الخالق. فليس لك مهرب منه إلا إليه.

٣/ سؤال التأثير:} إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ...{كيف تجعل قلبك حيًا يتعظ بالذكرى؟

· بالتفكر اليومي: خصص وقتًا يوميًا للتفكر في آيات الله في الكون والقرآن. هذا يبقي قلبك حيًا.
· بمجانبة الغفلة: تجنب الملهيات التي تقسي القلب: كثرة الكلام، كثرة الطعام، كثرة الانشغال بالدنيا.

٤/ سؤال اليقين:} أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ...{هل أنت منصت حقًا لآيات الله أم أنك سامع فقط؟

· عند قراءة القرآن: هل تقرأ وقلبك شارد؟ جرب أن تقرأ وكأنك تسمع لأول مرة. ألقِ السمع بكل جوارحك.
· في مجالس العلم: احضر مجلس العلم بعقلك وقلبك. لا تكن مجرد جسد حاضر.

الأمر الثاني: أهم القضايا التي تعالجها الآيتان

· قضية العبرة بالتاريخ: وأن التاريخ هو مختبر الأمم.
· قضية عدم الإفلات من العقاب: ولا ملجأ من الله إلا إليه.

· قضية شروط الانتفاع بالوحي: وهي القلب الحي أو السمع الواعي.
· قضية مسؤولية الإنسان: فهو مسؤول عن فتح قلبه وسمعه للحق.

الأمر الثالث: خطوات عملية لتنزيل عظمة الآيتين على أرض الواقع

١/ مشروع "قراءة التاريخ للعبرة":
اختر كتابًا موثوقًا في قصص الأنبياء أو التاريخ الإسلامي، واقرأه بتدبر، وسجل العبر التي تستخلصها.
اسأل: "كيف أطبق هذه العبرة في حياتي اليوم؟".

٢/ تدريب "الإنصات الواعي":
اجلس مع صديق أو زوجتك، وخصص وقتًا تستمع فيه بإنصات تام، دون مقاطعة. كن "شهيدًا" حاضر الذهن. هذا التمرين يطور مهارة الاستماع لديك.

٣/ ممارسة "التفكر في آيات الله":
اخرج إلى الطبيعة، انظر إلى السماء، إلى الجبال، إلى البحر. وتفكر: "كيف خلق الله هذا؟ وكيف يهلك من كذب؟". هذا يبقي قلبك حيًا.

٤/ تطبيق "اللجوء إلى الله":
كلما شعرت بضيق أو خوف، قل: "اللهم لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك". هذا الدعاء هو تطبيق عملي لـ{هَلْ مِن مَّحِيص}.

الأمر الرابع: الدروس والعبر العملية المستخلصة من الآيتين

١/ القوة لا تنفع صاحبها إن كان مكذبًا:
فاعتمد على الله، لا على قوتك.

٢/ التاريخ يعيد نفسه:
فما حدث للمكذبين السابقين، سيحدث للمكذبين اللاحقين.

٣/ لا مهرب من الله:
فالجأ إليه طائعًا قبل أن تلجأ إليه مكرهًا.

٤/ الهداية تحتاج إلى قلب واع أو أذن صاغية:
فطهر قلبك، وأحسن الإنصات.

الأمر الخامس: كيف يكون تعميق أثر هذه الآية في حياتك اليومية؟

١/ في الصلاة:
إذا سمعت الإمام يقرأ، فأنصت. {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا}. ألق السمع وأنت شهيد.

٢/ في التعامل مع الإعلام:
لا تسمع لكل ما يقال. اختر ما ينفع قلبك، وأعرض عما يقسيه أو يلهيه.

٣/ في تربية أبنائك:
اسرد عليهم قصص الأولين، واسألهم: "ماذا نتعلم من هذه القصة؟". هذا يربيهم على الاعتبار بالتاريخ.

الأمر السادس: أهم الرسائل والتوجيهات من الآيتين في حياتنا العملية

· لا تغتر بقوتك، فمن كان قبلك أشد منك قوة فأهلكهم الله.
· اجعل من التاريخ مرآة لنفسك، ترى فيها عواقب الذنوب.

· لا مهرب من الله، فالجأ إليه.
· الذكرى لا تنفع كل أحد، بل تنفع من له قلب حي.
· كن منصتًا بقلبك قبل أذنك.
· ألق السمع للقرآن وكأنك تسمعه لأول مرة.

ثالثاً: أهم المفاهيم من الآيتين

الأمر الأول: أبعاد الآيتين وآفاقها

· البعد التاريخي: التأكيد على سنة الله في إهلاك المكذبين.
· البعد النفسي: تحليل أسباب عدم الانتفاع بالذكرى (موت القلب، غياب الإنصات).
· البعد التربوي: تعليم أدوات التلقي الصحيح (القلب، السمع).

الأمر الثاني: مفاهيم البناء والتنمية من الآيتين

· مفهوم "بناء الوعي التاريخي": قراءة التاريخ قراءة إيمانية واعية، واستخلاص السنن.
· مفهوم "تنمية مهارة الإنصات": الإنصات هو أول خطوات التعلم، وهو مهارة أساسية لبناء الذات.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآيتين في حياتنا العملية

· مفهوم "التخطيط على أساس سنن الله":
· التفصيل: بدل أن تخطط بناءً على قوتك، خطط بناءً على سنن الله. فالسنن هي القوانين الثابتة.
· كيفية التطبيق: إذا أردت النجاح في مشروع، ابحث عن السنن التي تؤدي إلى النجاح (الكسب الحلال، الصدق، التوكل).
· مفهوم "التعلم بالقلب قبل السمع":
· التفصيل: المعرفة التي تدخل السمع ولا تصل إلى القلب، لا تنفع. فانقل ما تسمعه إلى قلبك بـ التفكر.
· كيفية التطبيق: بعد كل خطبة جمعة، اسأل نفسك: "ماذا فهم قلبي من هذه الخطبة؟ وماذا سأطبق؟".

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيتين (بشكل مفصل)

· المفاهيم النفسية:
1. مفهوم "الإنصات العلاجي":
· التفصيل: {أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} هو وصف للإنصات الكامل. في علم النفس، الإنصات الكامل هو أعظم هدية تقدمها لمن تحب، وهو علاج لكثير من المشكلات.
· التطبيق العملي: عند الحديث مع شخص مهموم، أنصت له بكل جوارحك، دون أن تفكر في ردك أثناء كلامه. هذا يشعره بالتقدير ويخفف همه.
2. مفهوم "صدمة التاريخ" للاستفاقة:
· التفصيل: تذكر مصارع الأمم السابقة يحدث صدمة إيجابية للغافل، فيفيق من غفلته. هذه الصدمة محمودة لأنها تؤدي إلى التوبة.
· التطبيق العملي: اقرأ في أخبار الأمم البائدة، وتخيل نفسك مكانهم، واسأل: "ماذا لو كنت معهم ؟". هذا يهز كيانك ويجعلك تستقيم.
· المفاهيم الفكرية:
1. مفهوم "السببية التاريخية":
· التفصيل: الأحداث التاريخية ليست عشوائية، بل تسير وفق سنن إلهية. فالتكذيب يؤدي للهلاك ، وهذه سنة لا تتخلف.
· التطبيق العملي: عند تحليل حدث تاريخي، ابحث عن السنة الإلهية التي تعمل فيه. هذا يعطيك فهمًا أعمق.
2. مفهوم "معايير الانتفاع بالمعرفة":
· التفصيل: المعرفة وحدها لا تكفي، بل لا بد من قلب حي أو سمع واع. وهذا يفسر لماذا ينتفع بعض الناس بالعلم دون آخرين.
· التطبيق العملي: قبل أن تتعلم، اسأل الله أن يرزقك قلبًا حيًا يفقه به، وأذنًا واعية تسمع به.

· المفاهيم التربوية:
1. مفهوم "التعليم بالقصص":
· التفصيل: استخدام القصص التاريخية للعبرة. القصص أسلوب تربوي فعال، لأنه يربط المعلومة بالعاطفة، فيثبت في الذهن.
· التطبيق العملي: استخدم القصص في تربية أبنائك. اجعل لكل قيمة قصة من القرآن.
2. مفهوم "تربية السمع":
· التفصيل: تدريب الأذن على سماع الحق، والبعد عن اللغو. فالسمع بوابة القلب.
· التطبيق العملي: اختر ما تسمعه بعناية. استمع للقرآن، للمواعظ، للعلم النافع. وأغلق أذنيك عن الغيبة والنميمة واللغو.

الأمر الخامس: كيف نحول مفاهيم الآيتين إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية؟

.1على مستوى بناء الإنسان:
· تحويل السمع إلى وعي: تحويل الإنسان من كائن سلبي يسمع أي شيء، إلى كائن انتقائي يختار ما يسمعه، ويحوله إلى طاقة إيجابية.
.2على مستوى بناء المجتمع:
· مجتمع واعٍ: مجتمع يقرأ تاريخه ليتجنب أخطاءه، وينصت لعلمائه، ويفقه الحق.
.3على مستوى بناء الحضارة:
· حضارة العبرة: حضارتنا تقوم على الاعتبار بالماضي، والتخطيط للمستقبل في ضوء سنن الله.

رابعاً: المهارات الحياتية المعرفية والعملية التي نتعلمها من الآيتين

أولا ً: المهارات المعرفية
.1مهارة التحليل التاريخي :
· التفصيل: تعلم كيف تحلل الأحداث التاريخية لاستخراج السنن الإلهية.
· التطبيق: عند قراءة خبر في التاريخ، لا تمر عليه مرورًا، بل اسأل: "لماذا حدث هذا؟ وما العبرة؟ ".
.2مهارة الربط بين السبب والنتيجة:
· التفصيل: ربط الذنوب بالعقوبات. فهذا يجعلك واعيًا بعواقب أفعالك.
· التطبيق: في حياتك، إذا وقع فيك بلاء، فتأمل: "هل هذا بسبب ذنب؟".

ثانيًا: المهارات العملية):

.1مهارة الإنصات الفعال(:
· التفصيل: {أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} هو تعريف دقيق للإنصات الفعال: أن تكون حاضرًا بكليتك.
· التطبيق: في أي حوار، انظر إلى المتحدث، وتجنب المشتتات، ولا تقاطع. هذا يجعلك الأفضل فهمًا.
.2مهارة التعلم من أخطاء الآخرين:
· التفصيل: بدل أن تتعلم من أخطائك الخاصة، تعلم من أخطاء الآخرين. فهذا أسهل وأقل كلفة.
· التطبيق: اقرأ سير العظماء والفاشلين، واستخلص الدروس. فأنت في غنى عن تكرار أخطائهم.

الخاتمة: قبل أن تنتهي السورة...

وها نحن نقترب من ختام سورة ق. {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم}... يا له من تذكير! إنه يذكرك بأن الدنيا مزرعة الآخرة، وأن من زرع خيرًا حصد خيرًا، ومن زرع شرًا حصد ندامة. {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ}... وهل أنت ممن ينتفع بالذكرى؟ هل لك قلب تعقل به، أم أنك تسمع ولا تعي؟

اخرج من هذا التدبر وقد عزمت على أن تكون من أصحاب القلوب الحية، والأسماع الواعية. اقرأ التاريخ، لا لتتسلى، بل لتعتبر. اسمع القرآن، لا ليقال قارئ، بل لتفقه وتعمل. انظر إلى آيات الله، لا لتمتع بصرك، بل لتعمر قلبك بالإيمان.

{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ (36) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

لِذِكْرَىٰ لِمَن كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقى السَّمْعَ وَهُوَ شَهيدٌ (37)}.

المبحث الثاني

تفسير الايه الكريمه يا من طاف بقلبه في ملكوت السماوات والأرض، ورأى كيف بنيت السماء وزينت، وكيف مدت الأرض وألقيت فيها رواسيها، وعرف أن هذا كله {تَبْصِرَةً وَذِكْرَى}... تعالَ بقلبك وعقلك معًا، لنقف على آية هي من جوامع الكلم في كتاب الله، آية تجمع أدلة القدرة، وتنفي كل نقص، وتقرر حقيقة عظيمة: أن الذي خلق هذا الكون العظيم لم يمسه تعب ولا إعياء، فكيف يعجزه أن يعيد خلق الإنسان الضعيف؟ إنها الآية التي تسكب في القلب طمأنينة، وتملأ العقل يقينًا، وتجعل الروح تسجد لخالقها محبة وتعظيمًا.

تمهيد: لماذا هذه الآية الآن؟ وما صلتها بما قبلها؟

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة (36) مشهد إهلاك القرون السابقة، أولئك الذين كانوا أشد من كفار قريش بطشًا، والذين نقبوا في البلاد فلم يجدوا محيصًا ...وبعد أن قرر في الآية (37) أن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ...يأتي الآن بالدليل الأكبر والأعظم على قدرته سبحانه .إنه يعود بهم إلى أصل الخلق، إلى بداية الكون، ليذكرهم بأن الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، دون أن يمسه لغوب، قادر على أن يهلك الجبابرة، وقادر على أن يبعث الأموات.

هذه الآية هي واحدة من سبع آيات في القرآن الكريم تذكر خلق السماوات والأرض في ستة أيام . ولكنها تمتاز هنا بذكر نفي اللغوب) التعب(، مما يجعل سياقها مرتبطًا بقضية البعث ارتباطًا وثيقًا . فكأن الآية تقول لمنكري البعث: "أنتم تستبعدون الإعادة، وتزعمون أنها صعبة على الله .ولكننا خلقنا هذا الكون العظيم، ولم نتعب! فكيف يكون إعادتكم صعبة علينا؟!" .إنها نقلة نوعية في الاستدلال، تجمع بين عظمة الخلق الأول، ونفي التعب عن الخالق، لتصل إلى نتيجة حتمية: البعث أهون على الله من هذا كله.

أما أهداف الآية ومقاصدها الكبرى فهي:

1.إثبات كمال قدرة الله المطلقة: التي لا يعجزها شيء، والتي لا يحدها زمان ولا مكان.
2.نفي صفات النقص عن الله سبحانه: فهو الخالق الذي لا يتعب ولا يلغب، بخلاف البشر الذين ينهكون وتضعف قواهم.
3.الرد على منكري البعث: بأن الذي خلق هذا الكون العظيم دون تعب، قادر على بعثكم من قبوركم.
4.إقامة الحجة على المشركين: الذين يعترفون بأن الله هو الخالق، ثم يعبدون غيره، وينكرون قدرته على البعث.
5.دعوة المؤمن إلى تعظيم الله: فكلما تأمل في خلق السماوات والأرض، ازداد إيمانًا وخشية.

أولا ً: تحليل الآية

هيا بنا نتدبر هذه الآية العظيمة، حرفًا حرفًا، ومعنى معنى.

المحور الأول:} وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ{– عظمة الخلق وحكمته

1/ ما دلالة التوكيد بـ) اللام (و)قد (و)نا (في} وَلَقَدْ خَلَقْنَا{؟
تأمل معي هذا التوكيد الثلاثي!) الواو (للقسم، و)اللام (للقسم، و)قد (للتحقيق .فكأن الله يقسم على هذه الحقيقة ويؤكدها بأبلغ تأكيد .إنه يريد أن يرسخ في قلبك يقينًا لا يتزعزع: أنا الخالق! أنا الذي خلقت هذا الكون .وأما) نا (فهي ضمير العظمة، الذي يوحي بالجلال والكبرياء .إنه سبحانه يتحدث بصيغة العظمة عن فعل الخلق، ليعلم العبادُ عظمةَ هذا الفعل وعظمة فاعله.

2/ لماذا بدأ بـ} السَّمَاوَاتِ {وجمعها، ثم} وَالْأَرْضَ {وأفردها؟
السماء جاءت جمعًا) السماوات (والأرض مفردة .وفي هذا إشارة إلى عظمة السماوات وكثرتها وسعتها، فهي سبع سماوات طباقًا .أما الأرض فهي واحدة، مسخرة لنا .وتقديم السماوات على الأرض فيه إشارة إلى علوها وارتفاعها، وإلى أن خلقها أعظم من خلق الأرض .قال تعالى:} لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ .{فإذا كان الله قد خلق هذا الخلق الأعظم، فخلق الناس وبعثهم أهون عليه.

3/} وَمَا بَيْنَهُمَا ...{ما الذي بين السماوات والأرض؟

}مَا بَيْنَهُمَا {يشمل كل شيء: الهواء، والسحاب، والطيور، والجبال، والبحار، والملائكة، والجن، وكل ما لا نعلمه .إنها إشارة إلى شمولية الخلق: فالسماء مخلوقة، والأرض مخلوقة، وما بينهما مخلوق .لا يوجد شيء خارج عن خلقه وقدرته .وهذا يملأ قلبك يقينًا بأن الله هو رب كل شيء ومليكه.

4/} فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ...{ما الحكمة من خلق الكون في ستة أيام مع قدرته على خلقه ب-) كن فيكون(؟ هذا سؤال عظيم طرحه المفسرون .والحكمة تتجلى في وجوه:

· التأني في الخلق وتعليم العباد: أن يتأنوا في أمورهم، وألا يستعجلوا .فالله الذي لا يعجزه شيء، خلق الكون في ستة أيام، ليعلمنا التأني والإتقان.
· إظهار الحكمة: ففي كل يوم من هذه الأيام الستة، خلق الله ما فيه حكمة بالغة، وتقدير محكم.
· بيان أن الزمن مخلوق لله: فالله خلق الزمان مع خلق الكون، وجعله مقياسًا للخلق، ليعرف العباد كيف قدر الله الأمور.
· الرد على من يزعم أن الكون أزلي: فخلقه في ستة أيام يثبت أنه حادث مخلوق، له بداية.

5/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الشعور بالطمأنينة .أن تعلم أن هذا الكون العظيم له خالق واحد، نظمه وأحكمه، يملأ قلبك طمأنينة .فالكون ليس فوضى، بل هو نظام دقيق.
· رسالة تربوية: تعلم الإتقان والتأني .خلق الكون في ستة أيام درس عملي لك: لا تستعجل النتائج، وأتقن عملك، فإن الله جعل الإتقان سنة في خلقه.
· رسالة عقلية: الاستدلال على وجود الله .خلق السماوات والأرض هو أعظم دليل على وجود الخالق . فكلما تأملت في الكون، رأيت يد الله فيه.

المحور الثاني:} وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ {– نفي التعب عن الله

1/ ما دلالة الفعل} مَسَّنَا{؟
"مسنا" من المس، وهو أدنى درجات اللمس والإصابة .فلم يقل: "وما أصابنا" أو "وما حل بنا"، بل قال: }وَمَا مَسَّنَا {أي ولا أدنى شيء من التعب .إنه نفي قاطع لأي إعياء، حتى ولو كان يسيرًا .إنه تذكير بأن الله سبحانه هو القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، وهو الذي لا يمسه تعب ولا إعياء.

2/ ما معنى} لُّغُوبٍ{؟
اللغوب هو التعب والإعياء الشديد الذي يصيب الإنسان بعد العمل الشاق .أصل الكلمة يدل على الفتور والضعف .فالله سبحانه ينفي عن نفسه هذا كله .إنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ولم يمسه تعب ولا إعياء .وهذا رد على اليهود الذين قالوا: "إن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع" .فرد الله عليهم بقوله:} وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ .{فليس كمثله شيء، وهو القوي المتين.

3/ كيف ترتبط هذه الجملة بقضية البعث؟
إن نفي التعب عن الله بعد خلق السماوات والأرض، هو أقوى دليل على قدرته على بعث الناس .فالذي خلق هذا الكون العظيم دون أن يتعب، أيعجز عن إحياء العظام وهي رميم؟! إنه منطق قوي: إذا كان الخلق الأول لم يمسسه لغوب، فالخلق الثاني) البعث (من باب أولى ألا يمسه لغوب .وهذا هو عين ما قاله تعالى في آية أخرى:} أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.{

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الراحة في التوكل على الله .إذا كان الله لا يتعب ولا يلغب، فكيف يغفل عنك؟ وكيف يعجز عن مساعدتك؟ توكل على الله، واطلب منه ما تشاء، فهو القوي المتين الذي لا يضره شيء.
· رسالة تربوية: نفي النقص عن الله .تعليم المؤمن أن ينزه الله عن صفات البشر) التعب، النوم، الحاجة .(فهذا من صميم التوحيد.
· رسالة عقلية: إثبات البعث .إن التأمل في هذه الآية يقود العقل إلى الإذعان بحقيقة البعث، لأن من خلق بلا تعب، قادر على الإعادة بلا تعب.

المحور الثالث: لطائف وحِكم من سياق الآية

1/ ما وجه الربط بين هذه الآية والآية(15) :} أَفَعَيِينَا بِالخَلقِ الأَوّلِ{؟
إن الآيتين تتكاملان في الرد على منكري البعث .ففي الآية(15) :} أَفَعَيِينَا بِالخَلقِ الأَوّلِ{، نفي للعيي و التعب عن خلق الإنسان أول مرة .وفي هذه الآية(38) :} وَمَا مَسَنَا مِن لُغُوبٍ{، نفي للتعب عن خلق السماوات والأرض .فالآيتان تنفيان التعب عن الله في كل خلقه، دقيقه وجليله، صغيره وكبيره .وهذا يثبت أن قدرته مطلقة لا تحدها حدود.

2/ كيف ترتبط هذه الآية ببداية السورة) ق والقرآن المجيد(؟
لقد أقسم الله بالقرآن المجيد .والقرآن مليء بذكر خلق السماوات والأرض .فهذه الآية هي تفصيل لبعض ما في القرآن المجيد من الآيات الكونية .كما أن ذكر عظمة الخلق يثبت أن الذي أنزل هذا القرآن هو الذي خلق الكون، فهو رب الجميع وإله الجميع.

3/ لماذا ختمت هذه الآية بـ} وَمَا مَسَنَا مِن لُغُوبٍ{؟
لأن اليهود قالوا: "إن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ثم تعب فاستراح في اليوم السابع" . فجاءت هذه الآية لترد عليهم وتبين أن الله لم يتعب ولم يلغب .ففي هذا الختام رد على شبهة، وإثبات لكمال القدرة الإلهية.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآية

الأمر الأول: أسئلة تدبرية تطبيقية لتوظيف الآية في واقعك العملي

١/ سؤال الاستمداد:} وَلَقدْ خَلَقنَا السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ...{هل تستمد عظمتك وفخرك من انتسابك لخالق هذا الكون العظيم؟

· تطبيق في الثقة بالنفس: أنت لست مجرد إنسان عادي، بل أنت مخلوق لله العظيم الذي خلق السماوات والأرض .فامش في الأرض بثقة المؤمن بربه، ولا تحقر نفسك.
· تطبيق في التعامل مع التحديات: إذا واجهت أمرًا صعبًا، تذكر أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يفرج همك .استمد قوتك من قدرته.

٢/ سؤال القيمة:} فِي سِتّةِ أيّامٍ ...{كيف تتعلم التأني والإتقان في أعمالك من هذه الآية؟

· في إنجاز مشاريعك: لا تستعجل قطف الثمار قبل نضجها .خطط، واعمل بتأنّ، وأتقن، فالله جعل التأني سنة في خلقه.
· في تربية أبنائك: لا تستعجل نتائج تربيتك .ربِّ بالرفق والتدرج، فالنفوس تبنى في أيام وسنين، لا في لحظات.

٣/ سؤال التأثير:} وَمَا مَسَنَا مِن لُغُوبٍ ...{كيف يؤثر يقينك بأن الله لا يتعب على دعائك ورجائك؟

· في الدعاء: إذا دعوت الله، فاستشعر أنك تطلب من كريم قوي لا يتعب من كثرة العطاء، ولا يمل من سماع عباده .ألح في الدعاء، واطلب ما شئت.
· في الرجاء: لا تيأس من روح الله .فهو لا يتعب من مغفرة ذنوبك، ولا من إعطائك .فقط ارجع إليه تجده.

٤/ سؤال اليقين: كيف تعيش وكأنك ترى خلق السماوات والأرض دليلا ً على بعثك؟

· مراجعة إيمانك بالبعث: إذا ضعف يقينك بالبعث، فانظر إلى السماء .من خلقها؟ أليس الله؟ أفيعجزه أن يبعثك؟ هذه الآية مفتاح اليقين بالبعث.

الأمر الثاني: أهم القضايا التي تعالجها الآية

· قضية توحيد الربوبية: إثبات أن الله هو الخالق وحده.

· قضية تنزيه الله عن صفات النقص: نفي التعب واللغوب عنه.
· قضية إثبات البعث: الاستدلال بالخلق الأول على الإعادة.
· قضية الحكمة في الخلق: بيان أن لكل مدة قدرها الله حكمة.

الأمر الثالث: خطوات عملية لتنزيل عظمة الآية على أرض الواقع

١/ مشروع "التأمل في خلق الكون":
خصص دقائق يوميًا، أو وقتًا أسبوعيًا، تتأمل فيه في خلق السماوات والأرض .انظر إلى السماء ليلا ً، وتأمل النجوم .انظر إلى الأرض وجبالها وبحارها .وقل: "سبحانك يا من خلقت هذا كله، ولم تمسك من لغوب".

٢/ تطبيق "التأني والإتقان":
قبل أن تبدأ أي عمل، عاهد نفسك: "سأتأنى وأتقن، اقتداء بسنة الله في الخلق" .لا تتعجل الركض وراء النتائج، بل أتقن البناء.

٣/ تذكرة "لا تعب ولا لغوب":
إذا شعرت بالملل من الدعاء، أو ضعف رجاؤك، فتذكر هذه الآية:} وَمَا مَسَنَا مِن لُّغُوبٍ .{فالله لا يمل حتى تملوا.

٤/ رد الشبهات:
استخدم هذه الآية في الرد على من ينسبون التعب أو النقص إلى الله، كاليهود والنصارى .فالقرآن ينفي عن الله صفات المخلوقين.

الأمر الرابع: الدروس والعبر العملية المستخلصة من الآية

١/ الله خالق كل شيء:
فلا تخضع لغيره، ولا تخف إلا منه.

٢/ الحكمة تقتضي التدرج:
فاصبر على بناء نفسك وأمتك، فالنجاح لا يأتي في يوم وليلة.

٣/ قدرة الله مطلقة:
فلا تستصعب أمرًا، واطلب من الله كل شيء.

٤/ الله لا يتعب:
فلا تيأس من رحمته، ولا تتوقف عن دعائه.

الأمر الخامس: كيف يكون تعميق أثر هذه الآية في حياتك اليومية؟

١/ في الصلاة:
إذا سجدت، ضع جبهتك على الأرض، وتذكر أن خالق السماوات والأرض هو الذي تسجد له.

٢/ في العمل:
أتقن عملك، وكن صبورًا، فالله خلق الكون في ستة أيام، وهو القادر على خلقه في لحظة.

٣/ في الشدائد:
إذا أحاطت بك الهموم، فقل: "يا خالق السماوات والأرض، ارحمني وأغثني".

الأمر السادس: أهم الرسائل والتوجيهات من الآية في حياتنا العملية

· الكون كتاب مفتوح على عظمة الله، فاقرأه.
· تأنّ في سعيك، فالنجاح ابن الصبر والإتقان.
· لا تيأس من دعاء الله، فهو لا يتعب من العطاء.
· بعثك حق، بدليل خلق هذا الكون العظيم.

ثالثاً: أهم المفاهيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد الآية وآفاقها

· البعد العقدي: إثبات خلق الله للكون، ونفي التعب عنه.
· البعد الكوني: فتح آفاق التأمل في السماوات والأرض.
· البعد النفسي: إزالة القلق والتعب من نفس المؤمن، باليقين بأن ربه لا يتعب.

الأمر الثاني: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

· مفهوم "البناء على أساس متين": كما خلق الله الكون بإتقان، فابنِ حياتك على إتقان.
· مفهوم "التنمية بالصبر": كما خلق الله الكون في ستة أيام، فتنمية الذات والمجتمع تحتاج إلى صبر.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "القدرة اللامحدودة":
· التفصيل: الله الذي خلق هذا كله بلا تعب، قادر على حل مشاكلك.
· كيفية التطبيق: كلما واجهت مشكلة، تذكر هذه الآية، واطلب من الله الحل.
· مفهوم "الإتقان الزمني":
· التفصيل: جعل الله للخلق زمنًا، فاجعل لكل عمل وقتًا تتقنه فيه.
· كيفية التطبيق: خطط لمشاريعك بإعطائها وقتها الكافي، ولا تستعجل.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية) بشكل مفصل(

· المفاهيم النفسية:
1. مفهوم "الطاقة اللامحدودة": الله لا يتعب، وهذا يعطي المؤمن طاقة نفسية عظيمة، فربّه لا تنفد خزائنه.
2. مفهوم "السكينة باليقين": اليقين بأن الكون له خالق واحد عظيم، يمنح النفس سكينة وطمأنينة.
· المفاهيم الفكرية:
1. مفهوم "الاستدلال بالصنعة على الصانع": الكون أثر، والأثر يدل على المؤثر.
2. مفهوم "نفي النقص عن الإله": وهو أساس التوحيد الفكري.
· المفاهيم التربوية:
1. مفهوم "التربية على التأمل": تعويد النفس على التأمل في خلق الله.
2. مفهوم "التربية على الصبر": كما خلق الله الكون في ستة أيام، تعلم الصبر.

الأمر الخامس: كيف نحول مفاهيم الآية إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية؟

1.على مستوى بناء الإنسان: بناء إنسان متأمل، صبور، واثق بالله.
2.على مستوى بناء المجتمع: بناء مجتمع يتقن العمل، ويصبر على التغيير.
3.على مستوى بناء الحضارة: بناء حضارة تنطلق من التأمل في الكون، والإتقان في العمل.

رابعاً: المهارات الحياتية المعرفية والعملية التي نتعلمها من الآية

أولا ً: المهارات المعرفية)

1.مهارة التأمل والتفكر(:

· التفصيل: تعلم كيف تتأمل في خلق السماوات والأرض لتستخرج العبر.
· التطبيق: انظر إلى صورة للكون، واسأل: "من خلق هذا؟ كيف؟ ولماذا؟".
.2مهارة الاستدلال المنطقي :
· التفصيل: من خلق الأكبر دون تعب، قادر على خلق الأصغر دون تعب.
· التطبيق: استخدم هذا الدليل مع من ينكر البعث.

ثانيًا: المهارات العملية() :

.1مهارة التخطيط طويل المدى:
· التفصيل: كما خلق الله الكون على مراحل، خطط لحياتك على مراحل.
· التطبيق: ضع أهدافًا بعيدة المدى، وخطوات تدريجية للوصول إليها.
.2مهارة الصبر والإتقان:
· التفصيل: لا تستعجل، وأعطِ كل عمل وقته الكافي لإتقانه.
· التطبيق: في أي مهمة، اسأل: "هل أعطيتها وقتها؟".

الخاتمة: في حضرة الخالق العظيم

وها نحن نقف خاشعين أمام هذه الآية العظيمة، التي تختزل عظمة الخلق وكمال الخالق} .وَلَقدْ خَلَقنَا السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتّةِ أَيّامٍ وَمَا مَسّنَا مِن لُغُوبٍ .{يا له من إعلان! إنه إعلان القدرة المطلقة، والنفي المطلق للنقص .إنه إعلان يبدد كل شك، ويقيم كل يقين.

اخرج من هذا التدبر وقد امتلأ قلبك تعظيمًا لله، وقد أيقنت أن ربك لا يعجزه شيء، ولا يصيبه تعب .اعلم أن الذي خلق هذا كله هو ربك، وهو معك، وهو قريب منك .ثق به، توكل عليه، وأتقن عملك، واصبر على سعيك، وانتظر الفرج منه وحده.

}وَلَقدْ خَلَقنَا السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتّةِ أَيّامٍ وَمَا مَسّنَا مِن لُغُوبٍ

(38)}

المبحث الثالث
.يا من سار معنا في دروب هذه السورة العظيمة، من بدايتها الباهرة {ق وَالقُرْآنِ المَجِيدِ}، ووقف على أعتاب الموت، وشهد أهوال البعث والحساب، وذاق طعم الرجاء عند أبواب الجنة، وعاد ليعتبر بأخبار القرون الخالية... تعالَ بقلبك وعقلك معًا، لنصل إلى محطة التوجيه العملي. فبعد كل هذه البراهين، وكل هذه الآيات، وكل هذه المشاهد التي تزلزل الوجدان وتوقظ العقل... يأتي السؤال العملي: وماذا بعد؟ كيف نواجه الحياة بعد كل هذا اليقين؟ كيف نصبر على الباطل؟ كيف نثبت على الحق؟ هنا يأتي الجواب في هاتين الآيتين الكريمتين، اللتين تمثلان خلاصة التوجيه الرباني للنبي ﷺ ولكل مؤمن: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ}.

تمهيد: لماذا هاتان الآيتان الآن؟ وما صلتهما بما قبلهما؟

بعد أن أثبت الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة عظمة خلقه للسماوات والأرض في ستة أيام دون أن يمسه لغوب، وقرر كمال قدرته المطلقة، يأتي الآن ليوجه نبيه ﷺ والمؤمنين إلى المنهج العملي الذي يواجهون به الحياة في ظل هذه الحقائق. إنها نقلة عظيمة من التقرير إلى التوجيه، ومن الإخبار إلى الأمر. فبعد أن امتلأ القلب يقينًا بقدرة الله وعظمته، تأتي الوصفة الربانية للثبات والصبر: {فَاصْبِرْ} و{سَبِّحْ}.

هاتان الآيتان هما خاتمة التوجيهات العملية في السورة. فالسورة بدأت بتحدي المكذبين، وسارت في أدلة القدرة والبعث، وختمت مشاهد الجزاء، وها هي تختم بالإرشاد إلى كيفية النجاة: الصبر على أذى المكذبين، والتسبيح آناء الليل وأطراف النهار. إنهما بمثابة الزاد الذي يتزود به المؤمن ليواصل مسيرته في أرض التكذيب والابتلاء، حتى يلقى الله وهو عنه راض.

أما أهداف هاتين الآيتين ومقاصدها الكبرى فهي:

.1توجيه النبي ﷺ والمؤمنين إلى الصبر: على ما يقوله المكذبون من أقاويل الباطل.
.2وصف العلاج الإيماني للنفس: وهو التسبيح بحمد الله في أوقات محددة.
.3تحديد أوقات العبادة: التي تكون سببًا في الثبات والطمأنينة.
.4ربط الصبر بالعبادة: فالصبر الحقيقي يغذيه التسبيح والذكر.
.5ختام السورة بالتوازن: بين تكاليف الدعوة) الصبر (وزاد الروح) التسبيح.(

أولا ً: تحليل الآيتين

هيا بنا نقف مع هاتين الوصيتين العظيمتين، ونتدبر ألفاظهما ومعانيهما.

المحور الأول: {فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ} – وصية الصبر

1/ ما دلالة الفاء في} فَاصْبِرْ{؟
تأمل معي! الفاء هنا هي فاء الفصيحة، وهي تربط ما بعدها بما قبلها من الآيات البينات. فكأنها تقول: "بعد أن ثبت لك بالبراهين القاطعة أن الله هو الخالق العظيم، القادر على كل شيء، الذي لا يمسه تعب... إذن، اصبر". إنها نتيجة منطقية لليقين بـالله: فما دام الله معك، وما دام هو القادر على كل شيء، فاصبر على ما يقوله المعاندون، ولا تحمل همًا، فـالله حسبك وكافيك.

2/} عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ...{ما الذي كانوا يقولونه؟
لقد تنوعت أقاويل المشركين في النبي ﷺ وفي دعوته. قالوا عنه: ساحر، شاعر، كاهن، مجنون. وقالوا عن القرآن: أساطير الأولين. وقالوا عن البعث: {أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ}. فـ "ما يقولون" تشمل كل أقاويلهم الباطلة، وكل استهزائهم، وكل تكذيبهم. إنه أمر بالصبر على كل أنواع الأذى القولي. وفي هذا تسلية للنبي ﷺ: أن الله يعلم ما يقولون، وهو مطلع عليك، فاصبر ولا تحزن.

3/ لماذا جاء الأمر بالصبر بصيغة المفرد} فَاصْبِرْ{؟
الخطاب هنا موجه للنبي ﷺ بالدرجة الأولى، وهو سيد الصابرين. وفي توجيه الخطاب له، توجيه لأ مته من بعده. فالنبي هو القدوة، وهو الذي حمل العبء الأكبر، فإذا صبر هو، فعلى أمته الاقتداء به. وصيغة المفرد تعطي إحساسًا بالمسؤولية الفردية، فكأن كل مؤمن مخاطب بها: "اصبر أنت، ولا تلتفت لغيرك".

4/ ما معنى الصبر المأمور به هنا؟
الصبر هو حبس النفس عن الجزع، واللسان عن الشكوى، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب. وهو هنا صبر على التكذيب والاستهزاء، دون أن يدفع ذلك إلى ترك الدعوة أو الانتقام. إنه صبر جميل، كما قال تعالى: {فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا}. وهو الصبر الذي لا يصحبه سخط ولا يأس ولا انتقام للنفس، بل هو صبر لله، وبـالله، ومع الله.

5/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: تفريغ الهموم .عندما تعلم أن الله هو الذي يأمرك بالصبر، فإنك تلقي بأحمالك عليه، وتطمئن إلى أنه يعلم ما أنت فيه، وسيجزيك خيرًا .هذا يفرغ عنك همومك ويبدد قلقك.
· رسالة تربوية: الصبر هو زاد الداعية .طريق الدعوة مليء بالأذى، ولا يمكن سلوكه إلا بالصبر .فهذه ا لآية تربي فيك الثبات على الحق مهما كثر الباطل.
· رسالة عقلية: ربط الصبر باليقين .اليقين بأن الله قادر على كل شيء هو الذي يثمر الصبر .فكلما زاد يقينك، زاد صبرك .وهذا يربط بين العقيدة والسلوك.

المحور الثاني: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ} – التسبيح في آناء النهار

1/ ما دلالة الواو في} وَسَبِّحْ{؟ وما العلاقة بين الصبر والتسبيح؟
الواو هنا واو المعية، أي اجمع بين الصبر والتسبيح. فالتسبيح هو الزاد الذي يعينك على الصبر. إنهما متلازمان: من سبح الله، هان عليه الصبر. ومن صبر على الأذى، كان جديرًا بأن يكون من المسبحين. فالعلاقة بينهما وثيقة: التسبيح يمد قلبك بالطاقة الروحية التي تجعلك قادرًا على الصبر، والصبر يجعلك متفرغًا للتسبيح.

2/ ما معنى} وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ{؟
التسبيح هو تنزيه الله عن كل نقص، وعن كل ما لا يليق بجلاله. والحمد هو الثناء عليه بصفات الكمال. فقولك: "سبحان الله وبحمده"، أي أنزه الله عن النقائص، وأثني عليه بصفات الكمال. والجمع بين التسبيح والحمد هو كمال الذكر. فالتسبيح نفي، والحمد إثبات، وباجتماعهما يكمل الثناء على الله.

3/} قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ...{ما هذان الوقتان؟
هذان الوقتان حددهما المفسرون:

· } قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ{: هو وقت صلاة الفجر .فقبل أن تشرق الشمس، ينبغي للمؤمن أن يكون قد صلى الفجر وذكر الله.
· } قَبْلَ الْغُرُوبِ{: هو وقت صلاة العصر .فقبل أن تغرب الشمس، ينبغي أن يكون المؤمن قد صلى العصر وذكر الله.
وهذان الوقتان من أفضل أوقات الذكر، فهما وقتا انتقال من حال إلى حال) من ظلام إلى نور، ومن نور إلى ظلام .(وهما أيضًا شاهدان على قدرة الله في تقليب الليل والنهار.

4/ لماذا خص هذان الوقتان بالذكر؟
لتذكير المؤمن بأن الله الذي يقلب الليل والنهار، ويبدل الظلام بالنور، قادر على أن يبدل حالك من ضيق إلى فرج، ومن هزيمة إلى نصر. فكلما شهدت شروق الشمس وغروبها، تذكرت قدرة الله المطلقة، وجددت تسبيحك له، فازددت صبرًا ويقينًا.

المحور الثالث: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ} – التسبيح في آناء الليل وأعقاب الصلاة

1/} وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ...{ما المراد بالتسبيح من الليل؟
}مِنَ {للتبعيض، أي سبحه في بعض الليل .وقد فسر المفسرون ذلك بصلاة المغرب والعشاء، وقيام الليل، والتهجد .فالليل زمن سكون وخلوة، والتسبيح فيه أعظم أجرًا وأشد تثبيتًا للقلب .قال تعالى: }إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا.{

2/ ما معنى إعادة الأمر} فَسَبِّحْهُ {مع حرف الفاء؟
الفاء هنا للتأكيد والترتيب. فبعد أن أمر بالتسبيح في النهار، أكد الأمر بالتسبيح في الليل. وهذا يدل على أهمية التسبيح في كل الأوقات، ليلا ً ونهارًا. فالمؤمن لا ينقطع عن ذكر ربه في أي وقت.

3/} وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ...{ما معنى أدبار السجود؟
أدبار السجود هي أعقاب الصلوات. وقد فسرها جمهور المفسرين بالتسبيح والذكر بعد كل صلاة مفروضة. فبعد كل سجود، تستغفر الله وتسبحه. وقيل: هي النوافل بعد الفرائض. وقيل: هي صلاة الوتر آخر الليل. والأول أرجح، وهو الذكر عقب الصلوات.

4/ ما الحكمة من ختم هذه التوجيهات بذكر أدبار السجود؟
لأن السجود هو أعظم لحظات القرب من الله. فإذا أمرت بالتسبيح بعد السجود، فكأنك تأمر بأن يكون آخر عهدك بالصلاة هو ذكر الله. وبهذا ينتهي يوم المؤمن وليلته وهو في ذكر وتسبيح، مما يحفظه من الغفلة، ويعينه على الصبر.

5/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: علاج الهموم بالذكر .التسبيح في هذه الأوقات هو بمثابة جلسات علاجية للنفس، تزيل القلق وتطمئن القلب .قال تعالى:} أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ.{
· رسالة تربوية: تنظيم اليوم بالعبادة .هذه الأوقات) قبل الشروق، قبل الغروب، من الليل، بعد السجود (هي أوقات تحدد إيقاع يوم المؤمن .إنها تربي فيك تنظيم الوقت، وجعل العبادة هي محور الحياة.
· رسالة عقلية: التسبيح دليل الشكر .كلما تذكرت نعم الله) كنعمة الخلق والإحياء(، كلما كان التسبيح هو التعبير الطبيعي عن الشكر .وهذا يربط العقل بالعاطفة.

المحور الرابع: لطائف وحِكم من سياق الآيتين

1/ ما وجه الربط بين خلق السماوات والأرض) الآية (38 والأمر بالتسبيح) الآية(39 ؟
لما ذكر الله خلقه للسماوات والأرض في ستة أيام دون تعب، أمر نبيه بالتسبيح. فالتأمل في عظمة الخلق يدعو إلى التسبيح. فكأنه قيل له: "إذا رأيت عظمة خلقي، فسبحني. وإذا سمعت تكذيب المكذبين، فاصبر. فهذا هو الطريق".

2/ كيف ترتبط هذه الآيات ببداية السورة) ق والقرآن المجيد(؟
القرآن هو الذكرى، وهذه الآيات هي تطبيق عملي للذكرى. فالقرآن يدعوك للصبر (كما قال: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ})، ويدعوك للتسبيح (كما في أوائل سور كثيرة: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى}). فهاتان الآيتان هما تلخيص لدعوة القرآن كلها.

3/ لماذا خصت أوقات الشروق والغروب والليل؟
لأن هذه الأوقات هي أوقات تحول وتغير في الكون. فقدرة الله تظهر فيها بجلاء (إقبال الليل وإدبار النهار). وهذه القدرة هي التي تثبت المؤمن وتعينه على الصبر. فكأنك كلما رأيت تغيرًا في الآفاق، تجدد إيمانك بقدرة الله على تغيير حالك.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيتين

الأمر الأول: أسئلة تدبرية تطبيقية لتوظيف الآيتين في واقعك العملي

١/ سؤال الاستمداد:} فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ...{هل تستمد صبرك على أذى الناس من يقينك بأن الله معك؟

· تطبيق في العلاقات: إذا أساء إليك أحد بكلمة جارحة، تذكر أن الله يأمرك بالصبر .فاصبر، واعلم أن الله يسمع ويرى، وسيكافئك.
· تطبيق في الدعوة: إذا دعوت إلى الحق فقوبلت بالاستهزاء، فلا تحزن .اصبر كما صبر النبي ﷺ، فهذه سنة الدعوة.

٢/ سؤال القيمة:} وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ...{كيف تجعل التسبيح قيمة حياتية وليس مجرد عادة لفظية؟

· في صباحك ومسائك: اجعل أذكار الصباح والمساء من أهم أولويات يومك .فهي درعك الواقي من شياطين الإنس والجن.
· في تأملك: كلما رأيت شيئًا جميلا ً في الكون، سبح الله .اجعل التسبيح متصلا ً بتأملك في خلق الله، ليكون أعمق أثرًا.

٣/ سؤال التأثير:} قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ...{كيف تؤثر المحافظة على صلاة الفجر والعصر في ثباتك النفسي؟

· صلاة الفجر: هي بداية اليوم بذكر الله، مما يمنحك طاقة إيمانية عظيمة لمواجهة اليوم.
· صلاة العصر: هي نهاية اليوم بذكر الله، فتعود إلى بيتك وأنت محصن بذكر الله.

٤/ سؤال اليقين:} وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ...{كيف تعيش الليل في عبادة وذكر؟

· قيام الليل: لو بركعتين في جوف الليل، فهي من أعظم أسباب الثبات والطمأنينة.
· أذكار ما بعد الصلاة: لا تقم من مصلاك بعد الصلاة مباشرة .اجلس قليلا ً، وسبح الله، واستغفره، فهذا من أدبار السجود.

الأمر الثاني: أهم القضايا التي تعالجها الآيتان

· قضية الصبر على الأذى: منهج المؤمن في مواجهة الاستهزاء والتكذيب.
· قضية العبادة كعلاج: دور العبادة في تحقيق الصحة النفسية والثبات.
· قضية تنظيم الوقت بالعبادة: ربط اليوم والليلة بأوقات ذكر وتسبيح.
· قضية العلاقة بين الإيمان والعمل: فالتسبيح هو ثمرة اليقين بعظمة الله.

الأمر الثالث: خطوات عملية لتنزيل عظمة الآيتين على أرض الواقع

١/ مشروع "اليوم المسبح":
خطط ليومك حول هذه الأوقات: قبل الشروق (صلاة الفجر وأذكار الصباح)، قبل الغروب (صلاة العصر)، من الليل (صلاة المغرب والعشاء وقيام الليل)، أدبار السجود (أذكار ما بعد الصلاة). اجعل هذه الأوقات هي أعمدة يومك.

٢/ تطبيق "صبر جميل":
اكتب موقفًا أغضبك أو أحزنك، وتدرب على أن تقول: "اللّهم إني أصبر على ما يقولون". هذا التدريب يجعلك مستعدًا للصبر في المواقف القادمة.

٣/ تذكرة "التسبيح":
اجعل لك مسبحة في جيبك، أو تطبيقًا في جوالك، يذكرك بالتسبيح في أوقات فراغك. لا تجعل وقتك يمر في اللغو.

٤/ مراجعة أذكار الصباح والمساء:
راجع ما تحفظه من أذكار. هل تحفظها كاملة؟ إن كنت لا تحفظها، فاحفظها وداوم عليها. فهي تطبيق حرفي لهذه الآية.

الأمر الرابع: الدروس والعبر العملية المستخلصة من الآيتين

١/ الصبر والتسبيح متلازمان:
فمن أراد أن يصبر، فليسبح.

٢/ أوقات الشروق والغروب والليل هي أوقات القرب من الله:
فاحرص على أن تكون فيها من الذاكرين.

٣/ أذكار ما بعد الصلاة هي من أدبار السجود:
فلا تفرط فيها.

٤/ العلاج الإلهي للأزمات النفسية هو الذكر والتسبيح:
فلا تطلب الشفاء من القلق إلا بالرجوع إلى الله.

الأمر الخامس: كيف يكون تعميق أثر هذه الآيات في حياتك اليومية؟

١/ في الصلوات الخمس:
استشعر أنك تصلي في هذه الأوقات التي أمر الله بالتسبيح فيها، فازدد خشوعًا.

٢/ في التعامل مع الكروب:
إذا ضاقت بك الدنيا، فافزع إلى التسبيح، لا إلى الشكوى للناس.

٣/ في نشر الخير:
كن قدوة في المداومة على الأذكار، فيقتدي بك غيرك.

الأمر السادس: أهم الرسائل والتوجيهات من الآيتين في حياتنا العملية

· لكل ضيق مخرج، ومفتاحه الصبر والتسبيح.
· لا تجعل يومك يبدأ وينتهي إلا بذكر الله.
· قيام الليل هو سر القوة والثبات.
· أذكار ما بعد الصلاة تحفظك إلى الصلاة التي تليها.
· الصبر على أذى الناس هو دليل صدق الإيمان.

ثالثاً: أهم المفاهيم من الآيتين

الأمر الأول: أبعاد الآيتين وآفاقها

· البعد الإيماني: ربط القلب بالله في كل الأوقات.
· البعد النفسي: تقديم وصفة ربانية لعلاج القلق والاضطراب.
· البعد السلوكي: تنظيم حياة المؤمن اليومية حول العبادة.

الأمر الثاني: مفاهيم البناء والتنمية من الآيتين

· مفهوم "بناء الإنسان الذاكر": الإنسان الذي يذكر الله في كل أوقاته، يبني لنفسه حصنًا منيعًا من الشيطان والغفلة.
· مفهوم "تنمية الوقت بالعبادة": الوقت هو الحياة .والذي ينظم وقته بالعبادة، ينمي حياته ويجعلها كلها عبادة.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآيتين في حياتنا العملية

· مفهوم "العبادة محور الحياة":
· التفصيل: الآيتان تجعلان العبادة) الصبر والتسبيح (هي المحور الذي تدور حوله الحياة، لا العكس . فالعمل والراحة مبنيان حول أوقات العبادة.
· كيفية التطبيق: عند جدولة مواعيدك، ابدأ بأوقات الصلاة والأذكار، ثم ابن باقي المواعيد حولها.
· مفهوم "الصبر كاستراتيجية حياة":
· التفصيل: الصبر ليس مجرد رد فعل على أزمة، بل هو استراتيجية حياة كاملة، تبنى بالوعي و التدريب والتسبيح.
· كيفية التطبيق: درب نفسك على الصبر في الأمور الصغيرة) الزحام، تأخر الطلب(، ليكون سهلا ً عليك في الأمور الكبيرة.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيتين (بشكل مفصل)

· المفاهيم النفسية:
.1 مفهوم "العلاج بالتسبيح(:
· التفصيل: التسبيح هو إخراج للنفس من ضيقها إلى رحابة تعظيم الله .إنه يحول الطاقة السلبية) غضب، حزن (إلى طاقة إيجابية) ذكر، ثناء .(وهو أسلوب رباني لتحقيق الصحة النفسية.
· التطبيق العملي: عندما تشعر بالغضب، بدل الصراخ، قل: "سبحان الله وبحمده" مئة مرة . ستشعر ببرد الغضب.
.2 مفهوم "إدارة الغضب بالصبر":
· التفصيل:} فَاصْبِرْ {هو أمر بكظم الغيظ، وتحويله إلى طاقة صبر .الصبر لا يعني الضعف، بل هو قوة في ضبط النفس.
· التطبيق العملي: إذا أغضبك أحد، تدرب على الصمت لحظات، واستحضر هذه الآية، ثم تصرف بعقل لا بعاطفة.
· المفاهيم الفكرية:
.1 مفهوم "وحدة الإيمان والعمل":
· التفصيل: الإيمان بأن الله هو الخالق العظيم يقود مباشرة إلى التسبيح .فالإيمان ليس مجرد تصديق، بل هو عمل.
· التطبيق العملي: كلما تعلمت اسمًا من أسماء الله أو صفة من صفاته، ترجمها فورًا إلى تسبيح أو دعاء.
.2 مفهوم "اليوم الإيماني":
· التفصيل: تقسيم اليوم إلى فترات عبادة) قبل الشروق، قبل الغروب، من الليل، بعد السجود (هو مفهوم قرآني لإدارة الوقت بشكل إيماني.
· التطبيق العملي: ارسم دائرة يومك، وقسمها حسب هذه الأوقات، ولاحظ كيف ستتغير حياتك.
· المفاهيم التربوية:
.1 مفهوم "التربية على الصبر بالعبادة":
· التفصيل: تعويد الناشئة على الصبر يكون بتعويدهم على العبادة .فمن شب على الذكر و

التسبيح، شب صابرًا.
· التطبيق العملي: علم أبناءك أن يقولوا "سبحان الله" عندما يغضبون، واجعلها عادة لهم.
2. مفهوم "التربية بأوقات البركة":
· التفصيل: الأوقات المذكورة في الآية هي أوقات بركة .تربية الأبناء على استغلالها في العبادة تغرس فيهم تقديس الوقت والشعور بقيمته.
· التطبيق العملي: اجتمع مع أسرتك وقت الغروب، وسبحوا معًا .هذا يعمق الروابط ويغرس الإ يمان.

الأمر الخامس: كيف نحول مفاهيم الآيتين إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية؟

1.على مستوى بناء الإنسان:
· تحويل التسبيح إلى طاقة للصبر: إنسان يواجه التحديات بالصبر، ويغذي صبره بالتسبيح، هو إنسان لا يقهر.
2.على مستوى بناء المجتمع:
· مجتمع الصابرين الشاكرين: مجتمع يكثر فيه الذكر والتسبيح، يقل فيه التخاصم والتشاحن، ويسوده الصبر والتسامح.
3.على مستوى بناء الحضارة:
· حضارة الذكر: حضارتنا تقوم على ذكر الله، وهذا يجعلها متوازنة، لا تطغى فيها المادة على الروح.

رابعاً: المهارات الحياتية المعرفية والعملية التي نتعلمها من الآيتين

أولا ً: المهارات المعرفية:

1.مهارة ربط العبادة بالنتائج النفسية:
· التفصيل: أن تدرك أن التسبيح ليس مجرد طقس، بل هو وسيلة لتحقيق الصبر والطمأنينة.
· التطبيق: كلما شعرت باضطراب نفسي، ارجع إلى قلة التسبيح، وزد منه، ترَ النتيجة.
2.مهارة إدارة الوقت بالعبادات:
· التفصيل: تقسيم اليوم إلى أوقات عبادة محددة، كما في الآية، هو أفضل أسلوب لإدارة الوقت.
· التطبيق: ضع منبهات للصلاة والأذكار، والتزم بها.

ثانيًا: المهارات العملية

1.مهارة التحكم بالغضب
· التفصيل:} فَاصْبِرْ {هي أعظم تقنية للتحكم بالغضب .تذكر الآية عند الغضب.
· التطبيق: عند أول موجة غضب، قل بصوت منخفض: "فاصبر على ما يقولون" .هذا يوقف رد الفعل العنيف.
2.مهارة بناء الروتين اليومي
· التفصيل: الآية تعطيك هيكلا ً لروتين يومي صحي مبني على أذكار الصباح والمساء والصلاة.
· التطبيق: صمم جدولك اليومي بناءً على هذه الأوقات، واجعلها ثابتة لا تتغير.

الخاتمة: وصية الختام... زاد الطريق

وها نحن نقترب من نهاية المطاف في سورة ق. {فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ}... إنها الكلمة التي تختصر موقف المؤمن في زمن الباطل. إنها ليست مجرد نصيحة عابرة، بل هي أمر إلهي، وتكليف رباني، وضمان للنجاح. {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ}... إنها الزاد الذي لا ينفد، والوقود الذي لا ينقطع. هي صلتك بالله التي تجعلك قويًا مهما اشتدت العواصف.

اخرج من هذا التدبر وقد أخذت وصيتين من ربك: اصبر، وسبح. إنهما مفتاحا الفرج، وقاعدتا الثبات. إذا ضاقت بك الدنيا، فاصبر وسبح. إذا كثر الباطل، فاصبر وسبح. إذا شعرت بالضعف، فاصبر وسبح. واجعل هاتين الكلمتين رفيقتين لك في ليلك ونهارك، في سرائك وضرائك، في خلواتك وجلواتك.

}فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (39) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ.{(40)

المبحث الرابع

يا من صبر على أقاويل المبطلين، وسبح بحمد ربه في آناء الليل وأطراف النهار، وثبت قلبه بيقين الخلود، واستمد من التسبيح طاقة الثبات... تعالَ بقلبك وعقلك معًا، لتعيش المشهد الذي طالما انتظرته ، المشهد الذي هو ثمرة الصبر، وغاية التسبيح، ونهاية المطاف. إنه المشهد الذي يسمع فيه النداء الأ خير، فتقشعر منه الأبدان، وترتجف لهوله القلوب، ثم تنتفض الأجساد من قبورها، وتخرج إلى ساحة الحشر. إنها الآيات التي تختم رحلة السورة، وتعلن أن يوم الفصل قد حان، وأن موعد الخروج الذي طالما وعد الله به قد جاء.

تمهيد: لماذا هاتان الآيتان الآن؟ وما صلتهما بما قبلهما؟

بعد أن أمر الله نبيه ﷺ والمؤمنين في الآيتين (39-40) بالصبر على أقاويل المكذبين، والتسبيح بحمد الله في أوقات محددة، يأتي الآن ليختم السورة بمشهد مهيب، يربط فيه بين الصبر والتسبيح وبين الجزاء. إنه يقول لعبده المؤمن: "اصبر على ما يقولون، وسبح بحمد ربك، فإن يوم الخروج آتٍ، وحينها سترى بأم عينيك ما كذبت به أقوام، وسيتحقق ما صبرت من أجله". إنها نقلة من التوجيه العملي إلى المشهد الختامي، وكأن السورة تفتتح ب- {ق} رمز القرب، وتختم ب- {يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَكَانٍ قَرِيبٍ}، في إشارة إلى قرب يوم القيامة وقرب لقاء الله.

وهاتان الآيتان ترتبطان بأول السورة حيث قال: {أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ}. فيأتي الرد في الختام: {ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ}، فليس الرجع ببعيد، بل هو آتٍ، وقريب، تسمعون فيه الصيحة بالحق. إنه جواب عملي على شبهتهم، وختام يطابق البداية في إثبات البعث.

أما أهداف هاتين الآيتين ومقاصدها الكبرى فهي:

1. تأكيد وقوع البعث: من خلال مشهد النداء والصيحة والخروج.
2. تقريب صورة القيامة للأذهان: بوصف المنادي والصيحة والمكان القريب.
3. تحفيز المؤمنين على الصبر والتسبيح: بربط ذلك بيوم الجزاء العظيم.
4. تخويف المكذبين: بأن يوم الوعيد آتٍ لا محالة.
5. ختام السورة بمشهد مهيب: يجمع بين الخوف والرجاء، ويرسخ اليقين بالبعث.

أولا ً: تحليل الآيتين

هيا بنا نعيش مع هذا المشهد الختامي، ونصغي إلى النداء، ونسمع الصيحة، ونشهد الخروج.

المحور الأول: {وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَكَانٍ قَرِيبٍ} – مشهد النداء من مكان قريب

1/ ما دلالة الأمر} وَاسْتَمِعْ{؟ ومن المخاطب؟
تأمل معي! {وَاسْتَمِعْ} فعل أمر، والمخاطب هو النبي ﷺ، ويدخل فيه كل مؤمن. وهو أمر بالاستماع، أي الإصغاء باهتمام وتفهم. لكن المأمور به ليس شيئًا يحدث الآن، بل هو شيء سيحدث يوم القيامة. فكيف يستمع لشيء لم يأت بعد؟ إنه أسلوب بلاغي فريد، يراد به تحقيق الوقوع، فكأن هذا اليوم حاضر الآن، وكأن النداء يسمع الآن. إنه أمر للمؤمن أن يعيش بقلبه ذلك المشهد، ويستحضره كأنه أمامه. وفيه تنبيه عظيم: "يا عبدي، إن لم تستطع أن تسمع النداء الآن، فثق أنه آتٍ، وكن على أهبة له".

2/} يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ ...{من هو المنادي؟ وما هو نداؤه؟
المنادي هو إسرافيل عليه السلام، وهو المكلف بالنفخ في الصور. ونداؤه هو النفخة الثانية، نفخة البعث. وقيل: هو نداء إلهي أو ملكي يأمر الناس بالخروج من قبورهم. وقد ورد أن المنادي ينادي: "أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، والشعور المتمزقة... هلموا إلى ربكم". إنه نداء لا يُعصى، ولا يُستطاع الفرار منه. فإذا نادى المنادي، خرجت الخلائق من قبورها لا يملكون لأنفسهم شيئًا.

3/} مِن مَكَانٍ قَرِيبٍ ...{ما دلالة القرب هنا؟ وما الحكمة منه؟
المكان القريب هو صخرة بيت المقدس، فهي قريبة من الأرض. وقيل: هو مكان قريب من السماء. وقيل: هو قريب بحيث يسمعه كل الخلائق بالتساوي، فلا يسمعه أحد من بعيد فيكون أوهن، بل

يسمعه الجميع بوضوح. والمقصود من وصف المكان بالقرب هو بيان أن النداء سيبلغ الجميع، كأنه في آذانهم، لا يحول دونه شيء. وفيه إشارة إلى أن يوم القيامة قريب، وأن الله قريب، وأن لا مهرب ولا ملجأ من هذا النداء. إنه تذكير بقوله تعالى: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}، فالقرب هنا إحاطة وعلم وقدرة.

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الاستعداد للنداء .أن تتصور أن هناك نداءً سيأتي من مكان قريب، وأنك ستسمعه لا محالة، يجعلك تستعد لهذا اليوم .فهذا الاستعداد يعطيك طاقة للعمل والجد في الدنيا.
· رسالة تربوية: تعليم الاستماع الواعي .كما أمرت أن تستمع إلى نداء المنادي يوم القيامة، فأنت اليوم مدعو للاستماع إلى نداء القرآن ونداء الحق .فالذي يتعود الاستماع اليوم، يهن عليه الاستماع غدًا.
· رسالة عقلية: إثبات البعث بالقرب .النداء من مكان قريب يثبت أن البعث سهل على الله، لا يحتاج إلى مشقة ولا تعب .فالقادر على جعل النداء قريبًا من كل أذن، قادر على بعث كل ميت.

المحور الثاني: {يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ} – مشهد الصيحة ويوم الخروج

1/} يَوْمَ يَسْمَعُونَ ...{ما دلالة الفعل المضارع؟
الفعل المضارع {يَسْمَعُونَ} يفيد الاستقبال والاستمرار. فهم سيسمعون الصيحة في ذلك اليوم، وسماعهم لها دائم لا ينقطع، لأنه بداية لعالم جديد. والمضارع أيضًا يفيد الحيوية، فكأن المشهد يحدث الآن أمام أعيننا.

2/} الصَّيْحَةَ ...{ما هي الصيحة؟ وما صفتها؟
الصيحة هي الصوت الشديد الذي يسمعه الخلائق جميعًا، وهو النفخة الثانية التي تخرج الناس من قبورهم. قيل: هي صيحة إسرافيل، وقيل: هي صيحة البعث. والصيحة وُصفت بـ {بِالْحَقِّ} أي مصحوبة بالحق، الذي هو البعث والحساب والجزاء. فهي ليست صيحة باطل ولا عبث، بل هي صيحة جادة، صيحة لا لعب فيها ولا كذب. وهي حق، لأنها إيذان بيوم الحق الذي لا ريب فيه.

3/ ما دلالة الباء في} بِالْحَقِّ{؟
الباء للملابسة، أي أن الصيحة ملتبسة بالحق، مصاحبة له. فالصيحة تحمل معها الحق الذي طالما كذب به المكذبون. إنها تقول لهم: "ها هو الحق الذي كنتم به تستهزئون". فهي صيحة تعلن قدوم الحق، وتعلن نهاية الباطل.

4/} ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ...{ما هو يوم الخروج؟ وما دلالة الإشارة بـ} ذَٰلِكَ{؟
يَوْمُ الْخُرُوجِ هو اليوم الذي يخرج فيه الناس من قبورهم إلى أرض المحشر. وقد وصفه الله بـ {ذَٰلِكَ} اسم الإشارة للبعيد، تعظيمًا لشأنه وتهويلا ً لأمره. إنه يوم عظيم، يوم شديد، يوم لا مثيل له. والوصف بـ {الْخُرُوجِ} يذكرك بأن الدنيا سجن المؤمن، ففي ذلك اليوم يخرج من سجنه إلى رحاب الجنة، أو من قبره إلى عذاب النار. إنه يوم الخروج من ضيق القبر إلى سعة الآخرة.

5/ كيف ترتبط هذه الآية بقوله تعالى:} أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ{ (الآية3 ؟
في أول السورة، قالوا: {ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ}، أي مستبعدون. وفي آخر السورة، يأتي الرد: {ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ}. فكلمة {ذَٰلِكَ} التي استخدموها للبعيد المستحيل، استخدمها الله للبعيد العظيم الشأن. لقد كان عندهم بعيدًا في الاستبعاد، وهو عند الله بعيد في العظمة. وهذا يثبت لهم أن البعث حق، وسيقع.

6/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الرهبة من الصيحة .تخيل أنك تسمع صيحة عظيمة تأتي بالحق، لا مفر منها، هذا يم لأ القلب رهبة وخشية، فيدفعك للاستعداد.
· رسالة تربوية: ترقب يوم الخروج .عش حياتك وأنت تنتظر يوم الخروج .هذا الترقب يجعلك حريصًا على أن يكون خروجك إلى خير.
· رسالة عقلية: الحق آتٍ لا محالة .فكما أن الصيحة تأتي بالحق، فثق أن كل ما وعد الله به حق.
المحور الثالث: لطائف وحِكم من سياق الآيتين

1/ ما وجه الربط بين التسبيح) الآية39 - (40والاستماع للنداء) الآية(41 ؟

التسبيح هو زاد المؤمن ليقوى على سماع الصيحة يوم القيامة. فمن كان في الدنيا كثير التسبيح، كان سماعه للصيحة يوم القيامة أهون عليه. وكأنه قيل له: "سبح الآن، تستمع يومئذ وأنت مطمئن".

2/ كيف ترتبط هاتان الآيتان ببداية السورة) ق والقرآن المجيد(؟
القرآن المجيد يخبر عن البعث، وهاتان الآيتان تصفان البعث. فبداية السورة وعد، ونهايتها تحقيق للوعد. إنها دائرة كاملة تبدأ ب- (ق) وتنتهي ب- (الخروج)، وفي ذلك إشارة إلى أن القرآن هو الذي أخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور اليقين.

3/ لماذا ختمت السورة ب- {ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ}؟
لأن السورة كلها تدور حول إثبات البعث. فكان الختام بذكر يوم الخروج. وهو ختام مناسب جدًا؛ إذ يذكر المؤمن بأنه سيخرج من ضيق الدنيا والقبر إلى سعة الجنة، ويذكر الكافر بأنه سيخرج إلى شدة العذاب. إنه ختام يبعث الأمل ويثير الخوف معًا.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيتين

الأمر الأول: أسئلة تدبرية تطبيقية لتوظيف الآيتين في واقعك العملي

١/ سؤال الاستمداد:} وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ ...{كيف تستعد لسماع هذا النداء؟

· تطبيق في سماعك اليوم: درب أذنك على سماع الحق اليوم) القرآن، الذكر، العلم النافع(، تهن عليك صيحة الحق غدًا.
· تطبيق في مخافتك لله: استشعر أن النداء قريب، وأنك قد تسمعه في أي لحظة .هذا يجعلك مستعدًا دائمًا.

٢/ سؤال القيمة:} مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ...{كيف تجعل من قرب الله إليك قيمة تعيشها في حياتك اليومية؟

· في خلواتك: إذا خلوت بمعصية، فاستشعر أن الله قريب منك، يسمع ويرى.
· في حاجاتك: إذا احتجت شيئًا، فاسأل الله سرًا، فهو قريب يجيب دعوة الداع.

٣/ سؤال التأثير:} يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ...{هل أنت مستعد لسماع الصيحة بالحق؟

· مراجعة حياتك: ماذا لو سمعت الصيحة اليوم؟ هل أنت راضٍ عن عملك؟ بادر إلى التوبة والعمل الصالح.
· تقوية الخوف من الله: استمع إلى مواعظ عن يوم القيامة، ففي ذلك إعداد لقلبك.

٤/ سؤال اليقين:} ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ...{هل عشتَ عمرك وكأنك على موعد مع هذا الخروج؟

· في تخطيطك: لا تخطط للدنيا فقط، بل خطط ليوم الخروج .ماذا أعددت له؟
· في التعامل مع الناس: عامل الناس على أنك مفارقهم بيوم الخروج.

الأمر الثاني: أهم القضايا التي تعالجها الآيتان

· قضية إثبات البعث: بالأدلة السمعية والعقلية.
· قضية قرب يوم القيامة: وأنه ليس ببعيد.
· قضية الصيحة بالحق: وأنها إيذان بنهاية الباطل.
· قضية الاستعداد ليوم الخروج: وهو الدعوة إلى العمل.

الأمر الثالث: خطوات عملية لتنزيل عظمة الآيتين على أرض الواقع

١/ تمرين "استماع لنداء الآخرة":
خصص وقتًا يوميًا لسماع آيات عن القيامة، وتخيل أنك تسمع الصيحة. هذا التمرين يجعلك تعيش بيقين.

٢/ مشروع "يوم الخروج":
اكتب وصيتك، ورتب ديونك، وأكثر من الأعمال الصالحة، فأنت لا تدري متى ينادى المنادي.

٣/ تطبيق "القريب":
كلما شعرت بالغفلة، قل لنفسك: "المنادي قريب، والصيحة قريبة". فهذا يوقظ قلبك.

الأمر الرابع: الدروس والعبر العملية المستخلصة من الآيتين

١/ الصيحة آتية، فكن مستعدًا.
٢/ المنادي قريب، فاستمع اليوم لنداء الحق.
٣/ يوم الخروج آت، فلا تجعل الدنيا كل همك.
٤/ الحق سيظهر، ولو بعد حين.

الأمر الخامس: كيف يكون تعميق أثر هذه الآيات في حياتك اليومية؟

١/ في الصلاة: استشعر أنك في كل سجدة تقترب من الله القريب.
٢/ في سماع الأذان: تذكر قرب المنادي الذي سينادي ليوم الخروج.
٣/ في التعامل مع الموتى: إذا شهدت جنازة، تذكر أن صاحبها خرج إلى الله.

الأمر السادس: أهم الرسائل والتوجيهات من الآيتين في حياتنا العملية

· استعد للصيحة، فالموعد قريب.
· لا تجعل الدنيا تنسيك يوم الخروج.
· استمع للحق اليوم تنجُ غدًا.
· القريب ليس ببعيد، والبعيد ليس بمستحيل.

ثالثاً: أهم المفاهيم من الآيتين

الأمر الأول: أبعاد الآيتين وآفاقها

· البعد العقدي: إثبات البعث والنشور.
· البعد النفسي: زرع الرهبة والرجاء في القلب.
· البعد التربوي: تدريب النفس على الاستعداد ليوم القيامة.

الأمر الثاني: مفاهيم البناء والتنمية من الآيتين

· مفهوم "بناء حياة على أساس الخروج": أن تخطط لحياتك وكأنك ستخرج منها غدًا.
· مفهوم "تنمية السمع الواعي": تدريب الأذن على سماع الحق.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآيتين في حياتنا العملية

· مفهوم "القرب التحفيزي":
· التفصيل: معرفة أن المنادي قريب، والصيحة قريبة، يجعلك لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد.
· كيفية التطبيق: إذا خطر ببالك عمل خير، فبادر به الآن.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيتين (بشكل مفصل)

· المفاهيم النفسية:
1. مفهوم "الاستعداد للصدمة": التهيؤ النفسي للصيحة يجعل المؤمن يعيش يقظًا.
2. مفهوم "قصر الأمل": تذكر قرب القيامة يقصر أمل المؤمن في الدنيا، فيعمل للآخرة.
· المفاهيم الفكرية:
1. مفهوم "حتمية الحق": أن الحق آتٍ لا محالة.
2. مفهوم "السببية بين الصبر والتسبيح والنجاة يوم القيامة": فمن صبر وسبح، كان خروجه إلى الجنة.
· المفاهيم التربوية:

1. مفهوم "التربية على ترقب القيامة": تربية الناشئة على انتظار يوم الخروج.
2. مفهوم "التربية على الاستماع": تعويد الأذن على سماع الحق.

الأمر الخامس: كيف نحول مفاهيم الآيتين إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية؟

1.على مستوى بناء الإنسان: بناء إنسان دائم اليقظة، دائم الاستعداد.
2.على مستوى بناء المجتمع: بناء مجتمع يستعد ليوم القيامة بالعمل الصالح.
3.على مستوى بناء الحضارة: بناء حضارة لا تغفل عن الآخرة، فتبني الدنيا على أساس المتانة والأخلاق.

رابعاً: المهارات الحياتية المعرفية والعملية التي نتعلمها من الآيتين

أولاً: المهارات المعرفية:

1.مهارة التخيل الذهني للمستقبل :
· التفصيل: تخيل مشهد الصيحة والخروج.
· التطبيق: أغمض عينيك وتخيل النداء.
2.مهارة ترتيب الأولويات بناءً على النهاية:
· التفصيل: ترتيب الأولويات على أساس أن يوم الخروج هو النهاية.
· التطبيق: اسأل نفسك: "ما الذي سينفعني يوم الخروج؟".

ثانيًا: المهارات العملية):

1.مهارة الاستعداد للطوارئ :
· التفصيل: كما تستعد لطوارئ الدنيا، استعد لطوارئ الآخرة.
· التطبيق: أكثر من الأعمال الصالحة، فهي زادك يوم الخروج.
2.مهارة الاستماع الفعال(:
· التفصيل: تدرب على الاستماع بإنصات.
· التطبيق: في مجالس الذكر، أنصت بقلبك وأذنك.

الخاتمة: إلى أن ينادي المنادي...

وها نحن نصل إلى آخر محطات سورة ق. {وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ}... إنه النداء الذي ينهي حياة الدنيا، ويبدأ حياة الآخرة. {يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ}... إنها الصيحة التي لا يمكن إنكارها، ولا الفرار منها. {ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ}... ذلك اليوم الذي خرجت فيه من بطن أمك صغيرًا، وخرجت فيه إلى الدنيا فتعبت فيها، وها أنت تخرج من قبرك إلى الأبد، فاجعل خروجك هذا إلى خير.

اخرج من هذا التدبر وقد حملت في قلبك يقينًا راسخًا بأن البعث حق، وأن الصيحة آتية، وأن المنادي قريب. عاهد ربك أن تكون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن تكون ممن إذا سمعوا الصيحة بالحق فرحوا بلقاء ربهم. واجعل شعارك: "اللهم يسر لي يوم الخروج، واجعله خروجًا إلى رحمتك ورضوانك، وأعذني من خروج إلى سخطك وعذابك".

}وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (41) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (42){.

المبحث الرابع

يا من عاش معنا مشاهد السورة، من بدايتها الباهرة، إلى توجيهاتها العملية، إلى نداء المنادي، إلى صيحة الحق... تعالَ بقلبك وعقلك معًا، لتقف على الخاتمة. خاتمة سورة "ق"، بل خاتمة كل جدل، وخاتمة كل شك، وخاتمة كل فلسفة. إنها الآيتان اللتان تجيبان على كل الأسئلة الكبرى: من أين جئنا؟ وإلى أين نصير؟ ومن بيده الأمر كله؟ إنها الآيتان اللتان تعيدان الأمور إلى نصابها، وتضعان النقاط على الحروف، وتعلنان بكل وضوح وجلاء: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ}. إنه إعلان السيادة المطلقة، وإعلان الرجوع، وإعلان الحساب.

تمهيد: لماذا هاتان الآيتان الآن؟ وما صلتهما بما قبلهما؟

بعد أن وصف الله سبحانه مشهد النداء والصيحة والخروج من القبور في الآيتين (41-42)، وقرر أن يوم الخروج آتٍ لا محالة، يأتي الآن في هاتين الآيتين الختاميتين ليقرر أصل الحقائق كلها: إن الله هو وحده الذي يحيي ويميت، وإليه المرجع والمآب. إنها النتيجة النهائية التي يجب أن تستقر في قلب كل من سمع السورة وتدبرها. لقد بدأت السورة بالحديث عن التكذيب بالبعث، وها هي تختم بتأكيد البعث، وتؤكد أن حسابهم علينا.

ثم يأتي المشهد الأخير، في الآية (44)، ليصور لنا لحظة الخروج بصورة كونية مرعبة، تتناسب مع جـ لال الموقف، فيقول: {يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا}. إنه مشهد الخروج من القبور، حيث تتشقق الأ رض عن الموتى، فيخرجون مسرعين إلى الداعي. ويختم الله هذه الآية والسورة كلها بكلمة عظيمة، هي أصل اليقين، ومفتاح الطمأنينة، ورد على كل مستبعد للبعث: {ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ}. إنه بيان أن البعث، على عظمته، يسير على الله، لا يعجزه ولا يصعبه.

أما أهداف هاتين الآيتين ومقاصدها الكبرى فهي:

.1تقرير عقيدة التوحيد: بإثبات أن الله هو المحيي المميت وحده.
.2تذكير الإنسان بمصيره: وأنه راجع إلى الله لا محالة.
.3إثبات سهولة البعث على الله: ردًا على من استبعده.
.4ختام السورة بآية جامعة: تجمع كل ما تفرق من الأدلة.
.5إثارة الخوف والرجاء: خوف من الحشر، ورجاء في يسر الحساب للمؤمن.

أولا ً: تحليل الآيتين

لنقف مع هاتين الآيتين الكريمتين، ونتدبر ألفاظهما ومعانيهما، ونتزود منهما لرحلتنا إلى الله.

المحور الأول: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ} – إعلان السيادة المطلقة

1/ ما دلالة التوكيد ب-) إن (و)نحن (وتكرار الضمير؟
تأمل معي! {إِنَّا} للتوكيد، و{نَحْنُ} ضمير منفصل يؤكد الفاعل، وتكرار الإسناد في {نُحْيِي وَنُمِيتُ}، كل هذا توكيد متعدد الطبقات. إن الله يعلن هذه الحقيقة بأقوى أساليب التوكيد، لتستقر في النفوس، فلا يبقى مجال للشك. إنه يريد أن يوقن كل سامع أن الإحياء والإماتة بيده وحده، لا شريك له في ذلك.

2/} نُحْيِي وَنُمِيتُ ...{لماذا قدم الإحياء على الإماتة؟
الواو هنا لمطلق الجمع، ولكن تقديم الإحياء على الإماتة له دلالات:

· لأن الإحياء هو الأصل: فالله خلق الناس وأحياهم أولا ً، ثم يميتهم.
· لأنه هو المقصود الأعظم في سياق السورة: إثبات البعث) الإحياء الثاني .(فالله يحيي الموتى، كما أحيا الخلق أول مرة.
· لبيان أن الحياة والموت من الله وحده: فلا يملكهما غيره .فمن اعتقد أن غير الله يحيي أو يميت، فقد أشرك.

3/} وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ...{ما معنى المصير؟ وما دلالة تقديمه) إلينا(؟
المصير هو المرجع والمآل. فكل حي صائر إلى الله، راجع إليه. وتقديم الجار والمجرور {إِلَيْنَا} يفيد الا ختصاص والقصر، أي أن المصير إلينا وحدنا، لا إلى غيرنا. فليس للإنسان مهرب ولا ملاذ ولا مرجع إ لا الله. هذه الكلمة تجمع كل ما في السورة من وعيد ووعد، فإليه مصير الكافرين للعذاب، وإليه مصير المؤمنين للنعيم. وفيها أعظم تثبيت للمؤمن، وأعظم تخويف للكافر.

4/ كيف ترتبط هذه الآية بقوله:} وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ) {الآية(38 ؟
هناك ترابط عجيب. فالله خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسه من لغوب، وهو أيضًا يحيي ويميت وإليه المصير. فالذي لم يتعب من خلق الكون، لن يتعب من إحياء الموتى، ولن يتعب من بعثهم وحشرهم وحسابهم. هذه الآية تطبيق عملي لقدرة الله المطلقة.

5/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الطمأنينة المطلقة .إذا أيقنت أن الله هو الذي يحيي ويميت، وأن مصيرك إليه، ارتحت من القلق على الرزق، والخوف من الموت، لأن بيده الأمر كله .أنت في يد أمينة، فيد الله لا تظلم، و لا تنسى، ولا تهمل.
· رسالة تربوية: التسليم لله .هذه الآية تربي فيك التسليم المطلق لله في كل شأن .فما دام مصيرك إليه، فسلم أمورك له، وارضَ بقضائه، فهو أعلم بمصيرك وما يصلحك.
· رسالة عقلية: توحيد الربوبية .العقل يدرك أن الذي أوجدك من عدم هو الذي يميتك، وأن الذي يميتك هو الذي سيبعثك ويحاسبك .فالواحد الأحد هو المتفرد بكل هذه المراحل.

المحور الثاني: {يَوْمَ تشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ} – مشهد الحشر وهوانه على الله

1/} يَوْمَ تشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ...{ما دلالة تشقق الأرض؟
تشقق الأرض هو تصدعها وانشقاقها عن الموتى. إنها صورة مرعبة، حيث تتصدع القبور، وتخرج الأ جساد من باطن الأرض. وفي هذا التعبير بيان لعظمة قدرة الله: فالأرض التي كانت تحفظ الأجساد، تتشقق لتخرجهم. إنه مشهد مهيب، يدل على أن أمر الله نافذ لا محالة، وأن كل ما في الكون مسخر لأمره.

2/} عَنْهُمْ ...{ما دلالة هذه الكلمة؟
"عنهم" تعني أن الأرض تتشقق عنهم، فكأنهم كانوا مختفين فيها، فانكشفوا عنها .وهذا يصور خروجهم وكأنهم كانوا مكنونين في باطنها، فظهرا فجأة .وفيه معنى المفاجأة، حيث لا يملكون دفعًا لهذا الخروج.

3/} سِرَاعًا ...{ما دلالة وصفهم بالسراع؟
}سِرَاعًا {جمع سريع .فهم يخرجون من قبورهم مسرعين، لا يتباطؤون .وهذا وصف دقيق: فإذا نادى المنادي، خرج الناس من قبورهم كالجراد المنتشر، مسرعين إلى الداعي .لا يستطيعون التوقف ولا التلكؤ .إنها سرعة لا اختيار لهم فيها، بل هي سرعة استجابة لأمر الله .وفي هذا إشارة إلى أن يوم القيامة يأتي بغتة، فلا ينبغي للمؤمن أن يتلكأ في الاستعداد له.

4/} ذَٰلِكَ حَشْرٌ ...{ما هو الحشر؟
الحشر هو الجمع .{ذَٰلِكَ} إشارة إلى ذلك المشهد كله، مشهد خروجهم من القبور وسوقهم إلى المحشر. والحشر هو جمعهم في صعيد واحد، لا يتخلف منهم أحد. وهو يوم عظيم، تجتمع فيه الأمم كلها.

5/} عَلَيْنَا يَسِيرٌ ...{ما معنى يسير؟ وما دلالة هذه الكلمة؟
}يَسِيرٌ {أي سهل هين لا مشقة فيه .تأمل معي! هذا المشهد العظيم، حيث تتشقق الأرض عن مليارات الموتى، ويخرجون سراعًا، ويحشرون جميعًا ...هذا كله وصفه الله بأنه} يَسِيرٌ {عليه! إنه ليس صعبًا و لا متعبًا ولا مستحيلا ً .إنه رد قوي على من استبعدوا البعث ظنًا منهم أنه صعب على الله .فالله يقول: "بل هو علينا يسير" .وفي هذا إشارة إلى أن قدرة الله لا تتقيد بعقولكم ولا بحساباتكم .فما ترونه عظيمًا، هو عند الله هين.

6/ كيف ترتبط هذه الآية بقوله:} أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ {(الآية(3 ؟
لقد بدأت السورة باستبعادهم للبعث، ووصفهم له بأنه {رَجْعٌ بَعِيدٌ}. وها هي السورة تختم برد قاطع: {ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ}. لقد قلتم: بعيد، وقال الله: يسير. هذا هو الفرق بين تقدير البشر وتقدير الله. إنه ختام يبدد كل شك، ويقيم الحجة على كل منكر.

7/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: عدم استعظام الأمور .إذا كان الحشر العظيم يسيرًا على الله، فكل همومك ومشاكلك يسيرة على الله .لا تستعظم همك، بل ألقه إلى الله، فهو عليه يسير.
· رسالة تربوية: تعليم الثقة بالله .عود نفسك أن تثق بقدرة الله، وألا تستبعد شيئًا وعد الله به، مهما كان عظيمًا في عينيك .فالله لا يعجزه شيء.
· رسالة عقلية: بطلان القياس البشري .لا تقس قدرة الله على قدرة البشر .فالبشر يعجزون عن القليل، والله لا يعجزه الكثير .فبطلان قياسهم هو الذي أوقعهم في إنكار البعث .فتعلم ألا تقيس قدرة الله بقدرات المخلوقين.

المحور الثالث: لطائف وحِكم من سياق الآيتين

1/ ما وجه الجمع بين} وَإِلَيْنَا المَصِيرُ{الآية (43 و}ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ{الآية(44 ؟
إنهما وجهان لعملة واحدة: المصير إلى الله هو الحشر. والمصير حق، والحشر حق. فإذا أيقنت أن مصيرك إلى الله، أيقنت أن الحشر آتٍ، وأيقنت أنه يسير على الله. فالآيتان تكملان بعضهما: الأولى تقرر الهدف (المصير)، والثانية تقرر الوسيلة (الحشر) وسهولتها على الله.

2/ كيف ترتبط هاتان الآيتان ببداية السورة) ق والقرآن المجيد(؟
هذا الترابط هو من بدائع السورة. السورة بدأت بـ {ق} و{القُرْآنِ المَجِيدِ}، وانتهت بـ {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ}. فالذي أقسم بمجده وعظمته، هو الذي يحيي ويميت. والذي أنزل القرآن، هو الذي إليه المصير. والذي تحدى بالقرآن، هو الذي أعلن أن الحشر عليه يسير. وكأن السورة كلها حجة واحدة، تبدأ بالقرآن وتنتهي بالقدرة.

3/ لماذا ختمت السورة بكلمة} يَسِيرٌ{؟
لأنها كلمة جامعة مانعة، تقطع كل عذر، وترد على كل شبهة. فما دام البعث يسيرًا على الله، فقد قامت الحجة، وبطل الإنكار. وفيها إيناس للمؤمن، بأن الله لن يضيعه، وسيحشره ويجزيه خيرًا، لأن ذلك يسير عليه.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيتين

الأمر الأول: أسئلة تدبرية تطبيقية لتوظيف الآيتين في واقعك العملي

١/ سؤال الاستمداد:} إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ ...{هل تستمد قوتك وطمأنينتك من يقينك بأن حياتك وموتك بيد الله وحده؟

· تطبيق عند الخوف من المرض: ثق بأن الشفاء والمرض بيد الله، فهو المحيي المميت.
· تطبيق عند الخوف من العدو: لا تخف ممن لا يملك لنفسه موتًا ولا حياة، وخف الله وحده.

٢/ سؤال القيمة:} وَإِلَيْنَا المَصِيرُ ...{كيف تجعل من يقينك بالمصير إلى الله قيمة تحكم كل قراراتك؟

· في معاملاتك: تذكر أنك راجع إلى الله، فستحاسبه على كل صغيرة وكبيرة .هذا يجعلك تراقب الله في كل شيء.
· في طموحاتك: لا تجعل الدنيا غايتك، فمصيرك إلى الله، وليس إلى المناصب والأموال.

٣/ سؤال التأثير:} ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ...{كيف يؤثر يقينك بيسر الحشر على الله في رجائك وتفاؤلك؟

· في الدعاء: إذا دعوت الله بأمر عظيم، فاستشعر أنه يسير عليه .لا تستصعب شيئًا على الله.
· في الابتلاءات: إذا اشتدت بك المحن، فثق أن تفريجها يسير على الله.

٤/ سؤال اليقين: هل تعيش حياتك وكأنك خرجت من قبرك مسرعًا إلى الله؟

· مراجعة الاستعداد: انظر إلى سرعتك في الطاعات .هل تسارع إليها كما تسارع إلى الخروج من القبر ؟ أم أنك تتلكأ؟

الأمر الثاني: أهم القضايا التي تعالجها الآيتان

· قضية التوحيد: إثبات أن الله وحده هو المحيي المميت.
· قضية المعاد: إثبات الحشر والبعث والنشور.
· قضية القدرة الإلهية: بيان أن كل شيء يسير على الله.
· قضية التسليم: الدعوة إلى تسليم الأمر لله.

الأمر الثالث: خطوات عملية لتنزيل عظمة الآيتين على أرض الواقع

١/ تذكرة "المصير إلى الله":
علق في بيتك أو مكتبك عبارة: {وَإِلَيْنَا المَصِيرُ}. كلما وقع بصرك عليها، تذكر أنك راجع إلى الله، فراقبه.

٢/ تطبيق "السرعة إلى الخيرات":
تدرب على المسارعة في فعل الخير. إذا خطر ببالك عمل صالح، فافعله فورًا، تدربًا على {سِرَاعًا}.

٣/ مشروع "اليقين باليسير":
اكتب قائمة بهمومك ومشاكلك. ثم اكتب بجانب كل هم: {ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ}. وقل: "اللهم إنك قلت: {ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ}، وهمي هذا أقل وأصغر، فاجعله يسيرًا".

الأمر الرابع: الدروس والعبر العملية المستخلصة من الآيتين

١/ حياتك ومماتك بيد الله، فلا تخف إلا منه.
٢/ مصيرك إلى الله، فاستعد للقائه.
٣/ البعث حق، والحشر حق.
٤/ لا تستصعب على الله شيئًا، فهو على كل شيء قدير.

الأمر الخامس: كيف يكون تعميق أثر هذه الآيات في حياتك اليومية؟

١/ عند النوم: تذكر أن الله يميتك، فتصالح مع الناس، وتب إلى الله، فنومك موتة صغرى.
٢/ عند الاستيقاظ: تذكر أن الله أحيَاك بعد ما أماتك، فاشكره بطاعته.
٣/ في المقابر: إذا مررت بها، تذكر أنهم ينتظرون} يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا.{

الأمر السادس: أهم الرسائل والتوجيهات من الآيتين في حياتنا العملية

· لا تخف من الموت، فالذي أماتك هو الذي سيحييك.
· لا تحزن على الدنيا، فمصيرك إلى الله لا إليها.
· لا تستبعد فرج الله، فالحشر يسير عليه، وما دونه أيسر.
· سارع إلى الخيرات، فإنك ستخرج من قبرك مسرعًا.

ثالثاً: أهم المفاهيم من الآيتين

الأمر الأول: أبعاد الآيتين وآفاقها

· البعد العقدي: إثبات توحيد الربوبية، وإثبات البعث.
· البعد النفسي: زرع الطمأنينة، وإزالة القلق.
· البعد التربوي: الدعوة إلى الاستعداد ليوم الحشر.

الأمر الثاني: مفاهيم البناء والتنمية من الآيتين

· مفهوم "بناء الحياة على أساس المصير": الحياة دار ممر، والبناء الحقيقي هو ما ينفع في دار المقر.
· مفهوم "تنمية اليقين بيسر الأمور على الله": وهذا يحفز على العمل، ويمنع اليأس.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآيتين في حياتنا العملية

· مفهوم "إدارة الحياة بوعي المصير": قراراتك كلها تبنى على أنك راجع إلى الله.
· مفهوم "التفاؤل المطلق بقدرة الله": لا يأس مع الإيمان بيسر كل شيء على الله.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيتين (بشكل مفصل)

· المفاهيم النفسية:
1. مفهوم "الأمان الوجودي": إدراك أن الحياة والموت بيد الله يمنح الإنسان أمانًا عميقًا.
2. مفهوم "تحرير النفس من الخوف": الخوف من الموت يزول باليقين بالمصير إلى الله.
· المفاهيم الفكرية:
1. مفهوم "قياس الأولى": إذا كان الحشر يسيرًا على الله، فكل شيء دونه أيسر.
2. مفهوم "بطلان القياس الفاسد": لا تقاس قدرة الله بقدرة البشر.
· المفاهيم التربوية:
1. مفهوم "التربية على تذكر الآخرة": ربط الحياة اليومية بيوم الحشر.
2. مفهوم "التربية على المسارعة في الخير": تعويد النفس على سرعة الاستجابة لأوامر الله.

الأمر الخامس: كيف نحول مفاهيم الآيتين إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية؟

1.على مستوى بناء الإنسان: بناء إنسان واثق بالله، مطمئن لمصيره، مسارع في الخيرات.
2.على مستوى بناء المجتمع: مجتمع يكثر فيه الخير، لأن أفراده يسارعون إلى الخيرات.
3.على مستوى بناء الحضارة: حضارة لا تقوم على الخوف من الفناء، بل على الأمل في البقاء، فتبني للدنيا والآخرة معًا.

رابعاً: المهارات الحياتية المعرفية والعملية التي نتعلمها من الآيتين

أولا ً: المهارات المعرفيه):

1.مهارة التفكير بالمآل(: التفكير في عواقب الأمور ونهاياتها.
2.مهارة الاستدلال بالأكبر على الأصغر: إذا كان الحشر يسيرًا، فما دونه أيسر.

ثانيًا: المهارات العملية
1.مهارة الاستعداد للمستقبل: التخطيط للآخرة كما تخطط للدنيا.
2.مهارة تحويل الخوف إلى عمل: تحويل الخوف من الموت والحشر إلى عمل صالح.

الخاتمة: المصير إلى الله

وها نحن نصل إلى آخر آية في سورة "ق". {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ}... إنها الكلمة التي ينبغي أن تنقش في قلبك، فتعيش بها، وتموت عليها، وتبعث بها. إنها الكلمة التي تختصر رحلة العمر: من الله، وإلى الله. {يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا}... هذا هو يومك، يوم خروجك. فماذا أعددت له؟ {ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ}... نعم، إنه يسير على الله. فليكن يسيرًا عليك بالإيمان والعمل الصالح.

اخرج من هذا التدبر، وقد ختمت السورة، ولكن ليبدأ أثرها في حياتك. اجعل هذه الآيات زادك، واجعل يقينك بالله وقدرته هو مصباحك في ظلمات الحياة. وقل بقلب موقن: "اللهم إني أعوذ بك أن أكون من الذين يخافون الحشر، وأسألك أن تجعلني من الذين تحشرهم إلى رحمتك ورضوانك، إنك على كل شيء قدير".

{إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (43) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (44)}.
اخيرا
يا من صبر على أقاويل المبطلين، وثبت على الحق في زمن التكذيب، وذاق مرارة الاستهزاء، وحمل همّ الدعوة إلى الله... تعالَ بقلبك وعقلك معًا، لتقف على الخاتمة الأخيرة من سورة "ق". خاتمة ليست ككل الخواتيم، إنها خاتمة تفيض حنانًا، وتغدق طمأنينة، وتوزع الأدوار، وتريح القلوب. إنها الآية التي تضع حدًا للحيرة، وترد الروح إلى المحب الداعي، وتقول له: "وظيفتك أن تذكر، ووظيفتنا أن نحاسب. فلا تحمل همًا فوق همك، ولا تتجاوز دورك، فالقرآن كافٍ، والله كافٍ، ومن يخاف وعيد الله سينتفع بهذا القرآن". إنها الآية التي تختم السورة بالرحمة، كما بدأتها بالقسم بالقرآن المجيد.

تمهيد: لماذا هذه الآية الآن؟ وما صلتها بما قبلها؟

بعد أن أمر الله نبيه ﷺ في الآيتين (39-40) بالصبر على أقاويلهم، والتسبيح بحمده آناء الليل وأطراف النهار، ووعده في الآيتين (41-42) بيوم الخروج حين يسمعون الصيحة بالحق، وأعلن في الآيتين (43-44) أنه هو المحيي المميت، وأن الحشر عليه يسير... يأتي الآن في هذه الآية الخاتمة ليجمع كل خيوط السورة في عقدة واحدة، ويقدم الوصفة النهائية للتعامل مع المكذبين.

إنها الآية التي تريح قلب النبي ﷺ وقلب كل داعية إلى يوم الدين. فبعد أن سمع ما يقولونه من أقاويل الباطل، وأمِر بالصبر، يأتيه النداء الإلهي: {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ}، أي لا تهتم، ولا تحزن، فنحن نعلم، ونحن نسمع، ونحن سنتولى حسابهم. ولستَ عليهم بجبار، أي لستَ مسؤولا ً عن إيمانهم، ولا مكلفاً بإجبارهم. ثم تأتي المهمة الحقيقية: {فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ}، أي كل ما عليك هو التذكير بهذا القرآن. ثم يأتي التحديد الدقيق لمن سينتفع بهذا التذكير: {مَن يَخَافُ وَعِيدِ}، أي من كان في قلبه خوف من وعيد الله، فهذا هو الذي سينتفع بالقرآن.

أما أهداف هذه الآية ومقاصدها الكبرى فهي:

.1تسلية النبي ﷺ والمؤمنين: بأن الله يعلم ما يقول المكذبون، وسيجزيهم.
.2تحديد مهمة الداعية: وهي التذكير بالقرآن، لا إجبار الناس على الإيمان.
.3بيان قيمة القرآن: وأنه هو الوسيلة العظمى للتذكير والهداية.
.4وصف الفئة المستهدفة بالدعوة: وهم الذين يخافون وعيد الله، أصحاب القلوب الحية.
.5ختام السورة بخاتمة عملية: تعطي المنهج الواضح للداعية في كل زمان ومكان.

أولا ً: تحليل الآية

هيا بنا نغوص في هذه الآية العظيمة، ونستخرج كنوزها الدفينة.

المحور الأول: {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ} – إعلان العلم وتسلية القلوب

1/ ما دلالة الابتداء بـ} نَحْنُ {ضمير العظمة؟
تأمل معي! {نَحْنُ} ضمير العظمة، وهو يفيد التأكيد والقصر. "نحن" أي الله سبحانه وتعالى، هو أعلم بما يقولون، لا أنت، ولا غيرك. إنه يريد أن يطمئن نبيه ﷺ بأن العلم التام بما يقوله المكذبون هو عند الله وحده. فلا تحمل همًا، ولا تشغل بالك، فالله أعلم بما يقولون، وأعلم ببواطنهم، وأعلم بكيدهم. إنه إعلان يفيد التسليم والتفويض: "دعهم لنا، فنحن أعلم بهم".

2/} أَعْلَمُ ...{ما دلالة صيغة التفضيل؟
"أعلم" اسم تفضيل، يعني أن علم الله هو العلم التام المطلق الذي لا يحيط به أحد .فالله أعلم من كل أحد بأقوالهم، وبما تخفيه صدورهم .هو أعلم بما قالوه، وما سيقولونه، وما يضمرونه .وفي هذا إشارة إلى أن النبي ﷺ والمؤمنين قد يجهلون بعض ما يقوله المكذبون في الخفاء، لكن الله عليم به . فاطمئن، فلا كلمة تقال في سر أو علن إلا والله يعلمها.

3/} بِمَا يَقُولُونَ ...{ما المشار إليه بـ "ما"؟
"ما" موصولة، والمشار إليه هو كل أقاويل المشركين الباطلة .ما قالوه في النبي ﷺ من أنه ساحر أو شاعر أو كاهن أو مجنون .وما قالوه في القرآن من أنه أساطير الأولين .وما قالوه في البعث من أنه رجع بعيد ."ما" تشمل كل هذا وكل ما سواه من الأقاويل الباطلة .فالله أعلم بها، وسيجازيهم عليها.

4/ كيف ترتبط هذه الجملة بقوله:} فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ) {الآية(39 ؟
في الآية 39، أمر الله بالصبر على ما يقولون. وهنا في الآية 45، يعلل هذا الأمر، ويبين سببه. فكأنه قال: "اصبر على ما يقولون، لأننا نحن أعلم بما يقولون". فمعرفة أن الله يعلم، وأنه سيتولى الحساب، هي التي تعين على الصبر. إنه ينتقل من الأمر إلى التطمين، ومن التكليف إلى التسلية.

5/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: راحة البال .عندما تعلم أن الله أعلم بما يقوله أعداؤك عنك، فإنك تلقي بالحمل عنه، وترتاح نفسيًا .لستَ بحاجة إلى تتبع أقوالهم، ولا إلى الرد على كل شائعة، فالله كافيك.
· رسالة تربوية: تفويض الأمر لله .تربية النفس على تفويض الأمر إلى الله، والثقة بعدله، وعدم الا نشغال بالرد على كل مكذب.

· رسالة عقلية: كمال العلم الإلهي .العقل يدرك أن الإله الحق هو الذي يعلم كل شيء، وهذا يثبت عقيدة التوحيد في القلب.

المحور الثاني: {وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ} – تحديد الوظيفة ونفي الإكراه

1/ ما معنى "الجبار" هنا؟
الجبار هو الذي يجبر الناس على ما يريد، المتسلط، المسيطر، الذي لا يُعصى. والجبار من صفات الله، فهو الذي يقهر عباده على ما يشاء، وهو الذي يجبر الكسير. أما هنا، فالمعنى: لستَ عليهم بمسيطر تجبرهم على الإيمان، ولا بقهار تقهرهم على الهدى. إنها تنفي عن النبي ﷺ صفة الإجبار والإكراه في الدين.

2/ لماذا كان نفي كون النبي جبارًا مهمًا في هذا السياق؟
كان النبي ﷺ حريصًا على إيمان قومه، شديد الأسف على تكذيبهم، حتى قال الله له: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا}. فجاءت هذه الآية لتخفف عنه، وتبين له أن مهمته ليست إجبارهم على الإيمان، بل التذكير. وفي هذا راحة عظيمة للداعية: أنت لست مسؤولا ً عن النتائج، بل عن بذل الجهد.

3/ ما علاقة هذه الجملة بقوله:} لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ{؟
إنها نفس المعنى. فلا إكراه في الدين، ولا جبر. الدين قائم على الاقتناع والإيمان الطوعي. والقرآن في آيات كثيرة يقرر هذه الحقيقة: {فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}. فهذه الآية أصل من أصول الحرية الدينية في الإسلام.

4/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: تحرير الداعية من عقدة النتائج .ليس عليك أن تؤمن الناس، عليك فقط أن تذكر . وهذا يزيل عنك ضغطًا نفسيًا كبيرًا.
· رسالة تربوية: أدب الدعوة .الداعية ليس جبارًا ولا متسلطًا، بل هو رفيق ليّن، يدعو بالحكمة و الموعظة الحسنة.
· رسالة عقلية: الإيمان قناعة داخلية .الإيمان لا يمكن أن يفرض من الخارج، بل هو قناعة عقلية وقلبية.
المحور الثالث: {فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ} – تحديد الوسيلة والفئة المستهدفة

1/ ما دلالة الفاء في} فَذَكِّرْ{؟
الفاء هنا للتفريع والنتيجة. فبعد أن بين الله أنه أعلم بما يقولون، وأن النبي ليس عليهم بجبار، فرع على ذلك الأمر بالتذكير. فكأنه قال: "ما دام الأمر كذلك، وما دامت مهمتك هي التذكير لا الإجبار، فذكر". إنها فاء الفصيحة التي تربط النتيجة بمقدماتها.

2/} بِالْقُرْآنِ ...{ما دلالة التخصيص بالقرآن؟
التذكير المقصود هو بالقرآن. فهو الوسيلة المثلى للتذكير. لم يقل: "فذكر بالحجج والبراهين" (وإن كانت هي في القرآن)، بل قال: {بِالْقُرْآنِ} إشارة إلى أن القرآن وحده كافٍ للتذكير. إنه الشفاء، وهو النور، وهو الهدى. فالداعية ليس بحاجة إلى فلسفات ولا نظريات، بل يكفيه القرآن.

3/} مَن يَخَافُ وَعِيدِ ...{لماذا خصص التذكير بمن يخاف الوعيد؟
لأن القرآن ليس مجرد كتاب يقرؤه الجميع فينتفعون به. إنما ينتفع به من كان في قلبه خشية من الله، وخوف من وعيده. أما من لا يخاف وعيد الله، فهو ميت القلب، لا ينتفع بالتذكير. فهذا توجيه للداعية: ركز على القلوب الحية التي تخاف الله. لا تهدر طاقتك مع المعاندين الذين لا يخافون. إنه توجيه واقعي، يركز الجهد حيث ينفع.

4/ ما هو "الوعيد" الذي يخافه هؤلاء؟
الوعيد هو كل ما وعد الله به الكافرين من عذاب في الدنيا والآخرة. وهو كل ما ورد في القرآن من آيات العذاب والتهديد. فالذي يخاف هذا الوعيد، هو الذي ينتفع بالقرآن.

5/ كيف ترتبط هذه الآية ببداية السورة) ق والقرآن المجيد(؟
لقد أقسم الله بالقرآن المجيد في أول السورة، وختم السورة بالأمر بالتذكير به. فالقرآن هو البداية و النهاية. وهو الوسيلة والغاية. إنها دائرة كاملة، تبدأ بالقرآن وتنتهي بالقرآن. وكأن السورة كلها تقول:

"هذا القرآن كافٍ به ابدأ، وبه انتهِ".

6/ الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من هذا المقطع:

· رسالة نفسية: الرضا بالدور .دورك هو التذكير، لا أكثر .هذا يعطيك رضا وسكينة، لأنك لا تحمل هم النتائج.
· رسالة تربوية: جعل القرآن محور الدعوة .لا تدعو بآرائك ولا باجتهاداتك وحدها، بل ادع بالقرآن . هذا يجعل دعوتك مؤثرة.
· رسالة عقلية: تركيز الجهد .العقل الرشيد يركز جهده حيث ينفع .فالذين يخافون وعيد الله هم أولى بجهدك من المعاندين.

المحور الرابع: لطائف وحِكم من سياق الآية

1/ كيف تجمع الآية بين التسلية) نحن أعلم (والتكليف) فذكر(؟
إنهما متلازمان. فالتسلية تعطي الطاقة، والتكليف يعطي الوجهة. فلا تكليف بلا تسلية، ولا تسلية بلا تكليف. إنه منهج رباني متوازن.

2/ كيف ترتبط خاتمة السورة ببدايتها) ق والقرآن المجيد (من حيث الحروف؟
السورة بدأت بحرف (ق) وختمت بحرف الدال في {وَعِيدِ}. وكأنها تقول: "قدْ" تم كل ما وعد الله به. إنها إشارة صوتية إلى أن الأمر قد حُسم، وأن الحق قد ظهر، والباطل قد زهق.

3/ ما علاقة قوله:} مَن يَخَافُ وَعِيدِ {بقوله:} فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ) {الآية(22 ؟
الذي يخاف وعيد الله في الدنيا، هو الذي سيكون بصره حديدًا يوم القيامة على النعيم والنجاة. أما الذي لا يخاف الوعيد، فسيكون بصره حديدًا على العذاب. فالخوف اليوم أمان غدًا.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآية

الأمر الأول: أسئلة تدبرية تطبيقية لتوظيف الآية في واقعك العملي

١/ سؤال الاستمداد:} نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ...{هل تستمد طمأنينتك وسكينتك من يقينك بأن الله يعلم ما يقوله الناس عنك؟

· تطبيق عند الظلم والغيبة: إذا اغتابك أحد، أو ظلمك بكلمة، تذكر أن الله أعلم بما يقول، وسيتولى حسابك .لا تنشغل بالرد، فاللهُ كافٍ.
· تطبيق عند الدعوة: إذا كذبت وأنت تدعو إلى الله، فثق أن الله يعلم ما يقولون، وسيجزيك خيرًا.

٢/ سؤال القيمة:} وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ...{كيف تعيش قيمة "لا إكراه في الدين" في تعاملاتك الدعوية والأسرية؟

· في الدعوة: لا تجبر أحدًا على رأيك، ولا تقسُ على من لا يستجيب .بل ارفق، وادع بالحسنى، واترك الباب مفتوحًا.
· في أسرتك: لا تجبر زوجتك أو أبناءك على التدين بطريقتك، بل حببهم في الدين بالحسنى والقدوة.

٣/ سؤال التأثير:} فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ ...{كيف تجعل القرآن محور تذكيرك لنفسك ولغيرك؟

· لنفسك: اجعل وردك اليومي من القرآن هو زادك للتذكير .كلما قرأت آية، ذكر بها نفسك أولا ً.
· لغيرك: في نصائحك، استشهد بالقرآن .في خطبك، في مواعظك، في رسائلك ...اجعل القرآن هو الكلمة الفصل.

٤/ سؤال اليقين:} مَن يَخَافُ وَعِيدِ ...{هل أنت ممن يخاف وعيد الله حقًا؟

· مراجعة قلبك: هل تتأثر عندما تقرأ آيات العذاب؟ هل تخشع لذكر النار؟ هذا هو علامة الخوف من الوعيد .إن كنت لا تتأثر، فقلبك بحاجة إلى علاج.
· تقوية الخوف: أكثر من تلاوة آيات الوعيد، وتذكر الموت، وزر القبور، فهذا يقوي خوفك من الوعيد.

الأمر الثاني: أهم القضايا التي تعالجها الآية

· قضية منهج الدعوة: التذكير بالقرآن، لا الإكراه ولا الجبر.
· قضية حرية الإيمان: لا إكراه في الدين.
· قضية صفات الداعية: رفيق لا جبار، مذكر لا مسيطر.
· قضية العلم الإلهي: وكفايته في مواجهة المكذبين.

الأمر الثالث: خطوات عملية لتنزيل عظمة الآية على أرض الواقع

١/ مشروع "التذكير بالقرآن":
خصص وقتًا أسبوعيًا تذكر فيه أهلك أو أصدقاءك بآية من القرآن، وتدبرها معهم. اجعل هذا سنة دائمة.

٢/ تطبيق "كفى بالله عليمًا":
كلما سمعت كلامًا جارحًا، قل في نفسك: {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ}، وتجاوز عنه.

٣/ تدريب "لا جبار":
في حواراتك، تعلم أن تقول: "هذا رأيي، ولكن أحترم رأيك". لا تفرض رأيك، وكن ليّنًا.

٤/ تقوية خوف الوعيد:
اجعل لك وردًا أسبوعيًا من آيات الوعيد، تقرؤها بتدبر وخشوع، وتسأل الله أن يعيذك من عذابه.

الأمر الرابع: الدروس والعبر العملية المستخلصة من الآية

١/ وظيفتك التذكير، لا الإكراه.
٢/ الله أعلم بمن يكذب عليك، ففوض أمرك إليه.
٣/ القرآن هو خير وسيلة للتذكير.
٤/ الذي ينتفع بكلامك هو الذي يخاف الله، فاستهدف قلبه.
٥/ الداعية الناجح رفيق رحيم، لا جبار عنيد.

الأمر الخامس: كيف يكون تعميق أثر هذه الآية في حياتك اليومية؟

١/ في الصلاة: تذكر أنك تتلو القرآن، فتذكر به نفسك قبل غيرك.
٢/ في التعامل مع الناس: إذا اختلفت مع أحد، تذكر} وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ .{عاملهم بالرفق.
٣/ في التربية: ربّ أبناءك على حب القرآن، لا على الخوف منك .كن مذكرًا لا جبارًا.

الأمر السادس: أهم الرسائل والتوجيهات من الآية في حياتنا العملية

· لا تحزن من كلام الناس، فالله أعلم به وسيحاسبهم.
· لست مسؤولا ً عن هداية أحد، بل عن البلاغ.
· القرآن هو أعظم هدية تقدمها للناس.
· القلب الذي يخاف الله هو القلب الذي سينتفع بكلامك.
· كن داعية بالقرآن، لا جبارًا برأيك.

ثالثاً: أهم المفاهيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد الآية وآفاقها

· البعد الدعوي: تحديد منهج الدعوة ووسيلتها.
· البعد النفسي: علاج القلق والحزن من تكذيب الناس.
· البعد العقدي: إثبات علم الله المطلق، ونفي الجبر عن النبي ﷺ.

الأمر الثاني: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

· مفهوم "بناء الداعية الرسالي": الداعية الذي وظيفته التذكير بالقرآن، لا السيطرة على الناس.

· مفهوم "تنمية القلب الخائف من الله": وهو المحور الذي ينبغي التركيز عليه في التربية.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "إدارة السمعة بالتفويض":
· التفصيل: بدل أن تدافع عن سمعتك، فوض أمرك لله} .نحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ {تعني: "دعنا ندافع عنك".
· كيفية التطبيق: إذا اغتابك أحد، فلا تبرر .قل: "حسبي الله ونعم الوكيل".
· مفهوم "الدعوة المركزة":
· التفصيل: ركز جهدك على من يخافون الله، لا على المعاندين.
· كيفية التطبيق: في عملك الدعوي، استثمر وقتك مع الجادين، لا مع المستهزئين.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية
· المفاهيم النفسية:
1. مفهوم "التفريغ النفسي بالتفويض": أن توكل أمر من أساء إليك إلى الله، فهذا يفرغ عنك شحنة الغضب.
2. مفهوم "تحرير الذات من عقدة السيطرة":} وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ {يحررك من الرغبة في السيطرة على الآخرين، ويجعلك متصالحًا مع نفسك.
· المفاهيم الفكرية:
1. مفهوم "مركزية القرآن في الدعوة": القرآن هو المصدر الأول والأخير.
2. مفهوم "حرية الضمير": الإيمان قائم على الاقتناع، لا على الإكراه.
· المفاهيم التربوية:
1. مفهوم "التربية بالقرآن": جعل القرآن هو الأساس في التربية.
2. مفهوم "التربية على الخوف من الوعيد": وهو حافز للعمل، ورادع عن المعصية.

الأمر الخامس: كيف نحول مفاهيم الآية إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية؟

1.على مستوى بناء الإنسان: بناء داعية رحيم، مذكر بالقرآن، غير متسلط.
2.على مستوى بناء المجتمع: مجتمع يحترم حرية الضمير، ويقوم على الإقناع لا الإكراه.
3.على مستوى بناء الحضارة: حضارة محورها القرآن، تذكر بالله، ولا تجبر على الدين.

رابعاً: المهارات الحياتية المعرفية والعملية التي نتعلمها من الآية

أولا ً: المهارات المعرفية
1.مهارة التركيز على الأهداف) : ركز على هدفك) التذكير(، ولا تنشغل بالنتائج.
2.مهارة تحليل الجمهور(: فرق بين من يخاف الوعيد ومن لا يخاف.

ثانيًا: المهارات العملية):

1.مهارة إدارة الغضب والحزن : بتفويض الأمر لله.
2.مهارة التواصل اللاعنفي : أن تقول رأيك دون أن تكون جبارًا.

الخاتمة: آخر آية... وأول طريق

وها نحن نقف عند آخر آية من سورة "ق". {نحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ}. إنها الوصية الأخيرة، والكلمة الفصل. إنها تختصر منهج الدعوة كله، وتلخص دور المؤمن في الحياة: كن مذكرًا بالقرآن، رفيقًا رحيمًا، لا جبارًا عنيدًا. واعلم أن الله أعلم بما يقول المكذبون، وسيتولى حسابهم. فلا تحزن، ولا تيأس.

اخرج من هذا التدبر، وقد أنهيت سورة "ق"، ولكن ليبدأ أثرها في حياتك. لتكن هذه الآية شعارك: "أنا مذكر بالقرآن. أنا رفيق لا جبار. أنا أعمل لله، وأفوض أمري لله". واذهب، وادع إلى الله بالحكمة و الموعظة الحسنة، وذكر بالقرآن من يخاف وعيد الله.

}نحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ.{(45)